الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر-02-أبو القاسم سعدالله

قسم الفلسفة

مادة: الحجاج الفلسفي

مطبوعة الدروس النظرية

بعنوان:

محاضرات في الحجاج الفلسفي

Lectures in philosophical pilgrims

مقدّمة لطلبة السنة الأولى ماستر-

تخصّص: فلسفة عامة

إعداد الدكتور/ عبد الله بن جبار

أستاذ محاضر–أ-

تقرير الخبيرين:

د/ محمد غازي.

د/ فاطمة الزهراء أمغار.

السنة الجامعية: 2022 / 2023م

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Algiers-02- Abu Al-Qasim Saadallah
Department of Philosophy

Subject: Philosophical Pilgrimage

Printed courses

Lectures on philosophical pilgrimage

Introduction to first-year Master of Philosophy students

Specialization: General Philosophy

By Dr. Bendjebbar abdellah

Raport expert

Dr/ Mohamed Ghazi.

Dr /f .Zohra Amghar.

University year 2022-2023

ملخص المطبوعة البيداغوجية:

محاضرات في الحجاج الفلسفي

يتلخص مضمون هذه المطبوعة في حاجة الطالب الجامعي، بقسم الفلسفة، إلى مجموعة من المحاضرات أو الدروس البيداغوجية في مقياس "الحجاج الفلسفي"، وذلك في مرحلة الماستر. حيث تتناول بشكل عام مبحث خاص بالبرهنة في الفلسفة من خلال صناعة الحجة أو الدليل للرد على الخصوم عن طريق الجدل، أو الاستدلال على صحة القضايا عن طريق الحوار، أو كذلك تبادل الآراء والأفكار بفعل التواصل اللغوي والاجتماعي. وكل الطرق التي تثبت صحة الدليل بالبرهان الفلسفي، يجعل الفلسفة هي الأخرى تقف موقف مساواة مع باقي العلوم الأخرى. فهي تتبنى قواعد منطقية استدلالية تحاول أن تقترب من الموضوعية اللازمة. لذلك كان علينا توضيح طبيعة الحجاج الفلسفي وخصائصه والياته لمعرفة مدى أهمية التحاجج الفلسفي وتدريب الطلبة عليه من أجل امتلاك خطاب فلسفي منتج. لأنّ الحجاج هو أقرب ما يكون إلى صناعة البرهان في المنطق.

الكلمات المفتاحية : حجاج ، برهان ، خطاب ، جدل ، تواصل.

Summary of the pedagogical publication:

Lectures on philosophical pilgrimage

The content of this publication is summarized in the need of the university student, in the Department of Philosophy, for a set of lectures or pedagogical lessons according to the “Philosophical Pilgrimage” scale, at the master’s level. It generally deals with a topic related to proof in philosophy through creating an argument or evidence to respond to opponents through controversy, or inferring the validity of issues through dialogue, or also exchanging opinions and ideas through linguistic and social communication. All the methods that prove the validity of the evidence through philosophical proof also make philosophy stand on an equal footing with the rest of the other sciences. It adopts logical and deductive rules that attempt to approach the necessary objectivity. Therefore, we had to clarify the nature of philosophical argumentation, its characteristics, and its mechanisms in order to know the importance of philosophical argumentation and train students in it in order to have a productive philosophical discourse. Because argumentation is the closest thing to making proof in logic.

Keywords: pilgrims, proof, speech, controversy, communication.

مقدمة:

نضع هذه المطبوعة البيداغوجية التي هي بعنوان: "محاضرات في الحجاج الفلسفي-**Lectures in philosophical pilgrims**"، بين يدي الطالب في السنة أولى ماستر، كل التخصصات الفلسفية الموجودة في (نظام ل-م-د) بجامعة الجزائر-2 أبو القاسم سعد الله. فرع علوم إنسانية، من أجل تدعيمه بسلسلة من الدروس التي نلقيها على شكل محاضرات طوال المقرّر الدراسي الجامعي، وتأتي أهمية هذه المطبوعة نتيجة انشغال الطالب بجمع الدروس المكتوبة بعد الاستماع إلى المحاضرات، وحرصه الشديد على الإلمام بكلّ ما يعرضه الأستاذ المحاضر من معلومات، قد تفوته لحظات في فهم ما يمكن فهمه من مناقشات دائرة بين فلاسفة ومفكرين حول قضية فلسفية معينة؛ حيث لاحظنا النقائص بعد تلقين المحاضرات المتعلّقة بالوحدة المدرّسة"، هرولة الطالب(إن كان مجتهدا) نحوا لبحث عن الدروس ونسخها، لأجل ذلك قرّرنا انجاز هذه المطبوعة من باب الحرص على توصيل المادة الفلسفية لذهن الطالب بالمسموع والمكتوب معا، ولا نفرض على أحد الاستعانة بها إذا وجد البديل عنها، لكنّها ضرورية في نفسية الطالب مع اقتراب موعد الامتحان.

في هذه المطبوعة سيجد الطالب، المحاضرات جاهزة ومرتبة ترتيبا تسلسليا، توافق المقرر الدراسي الجامعي، ملخصة في محورين كبيرين وأساسيين؛ ومدعمة بنصوص فلسفية مهمة× فهي كما قلنا مجزّأة، تزامنا مع الحجم الساعي الذي يسمح بإلقاء المحاضرة في مدة ساعة ونصف، أو أقل، وننبه الطالب هنا، إلى إلزامية الأستاذ المحاضر بعرض ما يمكن عرضه من معلومات حول الحجاج الفلسفي، بل ويكتفي الأستاذ بقراءة أهم ما يتضمنه الموضوع من أساسيات، وما على الطالب إلا البحث أكثر لتوسيع دائرة فهمه، خارج إطار الدرس، وهذا الأمر يشقّ على الطالب التعوّد عليه لاستيعاب هذه الوحدة الفلسفية الجديدة. وهنا تأتي أهمية هذه المطبوعة التي أعددناها خصيصا لموضوع الحجاج الفلسفي، بالشكل المنتظم، وموثقة بالهوامش أي بالمراجع حفاظا على الأمانة العلمية، حتى نلهم الطالب بأنه يملك كتابا ملخّصا حول مدخل الى الحجاج الفلسفي. وبهذا ستزيد ثقة الطالب بالمادة الفلسفية من خلال هذه المطبوعة، وسيشعر بالارتياح أكثر، عندما يجد الأستاذ المحاضر هو صاحب المطبوعة، مما ينقص عنه عناء البحث في الموضوع في بدايته الأولى من الدراسة الجامعية.

أملنا، تقديم ما هو مناسب في المحور الأول الخاص بضبط مفاهيم الحجاج من ناحية الدلالة اللغوية من جهة، ومن الناحية الاصطلاحية من جهة أخرى، حيث تتماشى مع روح المناقشة التي تقع بين الأستاذ الملقّن والطالب أثناء إلقاء المحاضرات، وعليه يقع على عاتقنا

الاهتمام بالنص الحجاجي الفلسفي بمعية الجميع فقد نختلف في طريقة فهم النص الفلسفي، لكن الحضور واجب للتقرب أكثر من المعلومة وفهمها فهما جيدا؛ وربما تكون هناك إضافات ثريّة، يضيفها البعض حول موضوع ما، وهذا يعتبر محفزا كبيرا لتحسين المستوى العلمي للطالب، بدءا من تلقّي الدرس ثم تلخيصه، لكن المحفّز الأكبر هو الحصول على مطبوعة جاهزة تساعده على المطالعة والتركيز على ما يطلبه للمراجعة قبل إجراء الامتحان .

وننبه مرة أخرى بضرورة الاحتفاظ بخصوصية المطبوعة، وهي عبارة عن "محاضرات أو دروس وفق البرنامج"؛ تدعو إلى أنّ المعارف الموجودة، ما هي إلاّ مدخلا عاما للحجاج الفلسفي، وليس مطلوبا منّا عرض كلّ شيء عن الموضوع بحكم أنّنا نوضّح أساسيات نشأة الحجاج الفلسفي ومعالمه وأبعاده.

أردنا من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية إضافة ضرورية تكمن في توسيع دائرة التعريف بالفلسفة، منها: تقديم شروحات لمصطلحات، وأسماء الأعلام من المفكّرين والفلاسفة، وذلك من أجل اكتمال المعنى المطلوب في الدرس الفلسفي؛ فلا يعقل مثلا التعريف بالفلسفة عند فيلسوف معيّن، دون تحديد زمانه وعصره؛ فربّما من خلاله يُحدّد الموقف الفلسفي تجاه ما كان يدعو إليه، ومن ثمّ تُبنى مواقفنا نحن أيضا من المسائل التي تناقشوا فيها، خاصة إذا كانت قضايا لها علاقة بالراهن، فلابد من الإشارة إليها لمعرفتها.

نأمل أن تقدّم هذه المطبوعة، وفق المقرّر الدراسي الدعم الكافي للقارئ الجامعي في إطار المحاضرات التي نلقيها كلّ سنة دراسية، ففيها الإفادة اللازمة من الناحية المعرفية والمنهجية، جُمعت خلال سنوات عديدة من التدريس، وبالله التوفيق.

الدكتور/عبد الله بن جبار
(أستاذ محاضر–أ-بجامعة الجزائر-2، قسم الفلسفة)
الجزائر في: 2023/01/20 م

فهرس المطبوعة

الموضوع الصفحة

ملخص المطبوعة

مقدمة.....4

فهرس المطبوعة.....6

المحور الأول: الحجاج في الخطاب الفلسفي .....9_98

أولا/-مبحث خاص حول مشروعية البرهنة في الفلسفة.....10

ثانيا: الحجاج وصناعة البرهان في الفلسفة.....13

أ/ -المنطلقات الحجاجية في البرهنة.....13

ب/-العناصر الأساسية للعلاقة الحجاجية.....14

ج/-البنية الشكلية للحجاج.....18

د/-نشأة الحجاج وتطوره 20

ر/-فترات تطور نظرية الحجاج عند اليونان.....24

ثالثا/ -الدلالة اللغوية للحجاج.....25

أ/-تعريف الحجاج لغة.....25

ب/-الحجاج من الناحية الاصطلاحية.....28

ج/-مرادفات الحجاج ودلالات التمييز بينها.....36

1/-الحجة والاستدلال والدليل.....36

2/-الحجاج مرادف للجدل 38

3/-الحجاج مرادف للحوار والخطابة.....41

د/-التوجّهات البلاغية الثلاثة للحجاج.....42

رابعا/ -الحجاج البلاغي الأرسطي.....44

أ/-الحجاج في الفترة اليونانية القديمة.....44

ب/-الحجاج في عصر السفسطائيين.....47

ج/-الحجاج في عصر سقراط.....50

1/-توظيف سقراط لأسلوب السخرية.....50

2 /-خصائص السخرية 52
د/-مفهوم الحجاج عند أفلاطون 53
ر /-مفهوم الحجاج عند أرسطو..... 58
1/-علاقة الحجاج بالجدل والخطابة والبلاغة..... 62
2/ -طبيعة اللوغس أو الخطاب..... 65
3/-الحجاج قاسم مشترك بين الجدل والخطابة..... 68
4/-بين الجدل والخطابة 70
5/- علاقة الحجاج بالبلاغة 72
6/-التأويل والتلقي: بين الحجاج والبلاغة والخطابة..... 77
خامسا /-موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي..... 78
أ/-علاقة الحجاج بالخطاب الفلسفي..... 78
1/-معنى الخطاب الفلسفي..... 78
2/-الخطاب في اللغة والاصطلاح..... 80
ب/-علاقة الحجاج بالخطاب الفلسفي..... 85
ج/-نظرية النص والقارئ 89
د/_البلاغة الجديدة عند بيرلمان..... 96
المحور الثاني: نظريات الحجاج وتصنيفاته ..... 99_137
أولا / -نظرية الحجاج في اللغة..... 100
ثانيا/ -استعمالات الحجاج للغة 101
أ/-استعمال اللغة والفعل اللغوي 102
ب/-مقولة عدم مطابقة مقتضى الحال..... 102
ج/-استعمال الألفاظ مقرونة بمعنى ما..... 108
ثالثا/-منطق اللغة للحجاج..... 111
أ/_الاستنتاج عن طريق القياس المنطقي..... 111
ب/-الشرح عن طريق القياس المنطقي..... 112
ج/-التجميع : من أشكالالبرهنة..... 112
د/-الاختيار التعاقبي: شكل من البرهنة..... 112

ر/_ الإقناع 113
رابعا/-علاقة اللغة بالمنطق 114
أ/_مصطلح منطق اللغة..... 114
1 /-المقاربة الأولى 114
2/-المقاربة الثانية 114
3 /-المقاربة الثالثة (توفيقية)..... 115
ب/ -الحجج الشبه منطقية 117
1 /-الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى المنطقية 117
2 /-التناقض وعدم الاتفاق 118
3 /-التماثل والحد في الحجاج :..... 118
4/-الحجج الشبه منطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية..... 119
خامسا/ -نظرية الحجاج عند بيرلمان وديكرو وماير..... 120
أ/_نظرية الحجاج عند ديكرو..... 120
ب/_تصنيف ديكرو للحجاج..... 121
ج/_نظرية المساءلة عند ميشال ماير..... 121
سادسا/-نظرية الحجاج التداولي..... 125
أ/-المعنى اللغوي لمصطلح التداولية..... 125
ب/-المعنى الاصطلاحي للتداولية..... 125
ج/-الأصول الفلسفية للتداولية 127
د/-الحجاج في نظرية الأفعال الكلامية..... 131
سابعا/-الوظيفة التواصلية والاجتماعية للحجاج..... 134
أ/-الحجاج والتواصل..... 134
1/-مفهوم التواصل 134
2/-آليات التواصل والتبليغ..... 135
ب/-الوظيفة الاجتماعية للحجاج..... 137
ثامنا/-خلاصة عامة 138
قائمة المراجع ..... 140_139

المحور الأول
الحجاج في الخطاب الفلسفي

أولا/-مبحث خاص حول الحجاج وصناعة البرهان في الفلسفة.

ما من شكّ في أنّ الحجاج نشاط يتضمّن عدة أساليب ولكن الذي يميّز هذه الأساليب عن خصائص الخطاب الأخرى هو بالضبط اندراجها ضمن هدف مُعَقلِن(**Viséerationlisante**) وأداؤها دور البرهنة الذي يتميّز بمنطق ما وبقاعدة عدم التناقض"[1]، كما اعتقد باتريك شارودو(**Patrick Charaudeau**)[*].لأنّ الحجاج هو أقرب ما يكون إلى صناعة البرهان في المنطق، حيث يقصد بالبرهان "إثبات الحق"[2]، لا لإقناع الغير به في العادة وإنما لإقناع المرء نفسه، وتلك هي الطريقة المتوخاة عادة في البرهان"[3]، على عكس سائر الصناعات المنطقية التي يراد بها عادة إقناع الغير؛ فهي من الحجاج بسبيل"[4].

إنّ وجهة النظر التي ينهض عليها هذا العلم ليست لغوية أو قلّما تكون كذلك، فهي وجهة نظر تضمن درس الإنتاج القولي في عمقه وأعلاه. وذلك لمعرفة مقامات التواصل في شروطها وتقبُّل الكلام ألإقناعي في آلياته (فهم –تأويل-رد فعل)"[5]. عندئذ يتوجّه الحجاج رأسا إلى ملكة البرهنة في المحادث (طاقة التفكيرالموجب والفهم)؛ ولو كان ذلك للوصول إلى النتيجة نفسها. فالفاعل المحاجج يمرّ عبر التعبير عن قناعة أو أمر يستدعي التفسير يسعى من جانبه إلى نقله إلى المحادث، قصد إقناعه، ومن ثمّ تغيير سلوكه"[6]. وعليه؛ يقول طه عبد الرحمان حول خاصية البرهنة في الفلسفة: «إذا كانت المعاني الفلسفية معاني عقلية، وكان العقل النظري طريقه البرهان[*]، فإنّ المعاني الفلسفية معان برهانية"[7].أي من خلال

---

(1) باتريك شارودو، تر/ أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب (عن كتاب نحو المعنى والمبنى)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009م، بيروت، لبنان ، ص 16.

(*) باتريك شارودو (Patrick Charaudeau)؛ هو أستاذ في جامعة ب اريس13 منذ عام1979، ومدير مركز تحليل الخطاب (CAD) فيها. شغل مناصب عدة في هيئات علمية وبحثية حول قضايا الخطاب داخل فرنسا وخارجها.

(2) الشيرازي ، الموجز في المنطق، ص ص 102-103.

(3) جعفر آل ياسين، المنطق السينوي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، (ت1403هـ/ 1983م)، ص105.

(4) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، بيروت لبنان،سنة 2001م، ط2، سنة 2007م، ص26.

(5) باتريك شارودو، المرجع نفسه، ص9.

(6) المرجع نفسه، ص 13.

(*) يقول ابن رشد، الفلسفة هي النظر في الأشياء، بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان".(راجع كتابه: تهافت التهافت، ص101).

(7) طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص61.

تعبير المحادث عمّا فهمه من قول الآخر من معاني القول الموجّه إليه. بل قد يظهر القول بمظهر البرهانية، ومع ذلك لا يستفاد منه في المقام معنى الاستدلال لا برهانيا ولا حجاجيا: فقد يذكر الواحد منا دليلا صحيحا على قول يقول به من غير أن يقصد التدليل به، ولا إلزام المخاطب به، فلا يكون برهانا على قوله، وإنما مجرّد سند له، كما أنه قد يسوق برهانا على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عن دليل للتسليم بها، فيكون برهانه مفيدا مقاميا، لمعنى آخر غير التدليل"[1].

وهكذا، فلما كانت الفلسفة خطابا طبيعيا، فلا يفيدها تقليد أهل البرهان في صنع الدلالات صورية، لا هي ارتقت بها إلى درجة اليقين الرياضي، ولا هي هدتْها سُبُل التوجيه العملي. والحق أنّ الفلسفة الواعية بأصولها الطبيعية. والتداولية التي ندعو إليها لا تبغي بمسالك الحجاج بديلا، لأنّها وحدها الكفيلة في إطار مجال التداول ومقتضياته التفاعلية بأن تحصّل الإقناع وتدفع إلى العمل"[2] به من أجل البرهنة.

ومن مبرّرات الاشتغال بالبرهنة في الفلسفة، من أجل اكتساب المشروعية، يفصّلها لنا طه عبد الرحمان بقوله:" كان لابد أن يؤدّي تصادم ميتافيزيقا أرسطو(المبنية على الشرك)،وإلهيات المسلمين(المبنية على التوحيد) إلى احتراز البعض من الاشتغال بالفلسفة، وإلى تصدي البعض الآخر لها وللمشتغلين بها، فكان أن تحصّن الفلاسفة بـ "مناعة البرهان"، وألزموا غيرهم الإقرار به وحده معيارا مقوّما لكلّ عمل فكري، وشاهدا على مشروعية المقال الفلسفي"[3].نفهم من هذا القول؛ أنّ الاحتراز من الانشغال بالفلسفة كان ناتجا عن سوء القصد بفقدان الفلسفة الرّد على كل تصادم فكري، لاسيما إذا تعلّق الأمر بالمسائل الميتافيزيقية، ممّا يعني التحصُّن بعناصر البرهنة أمر وارد في تلك الفترة بالذات. ثم يبرّر ذلك بقوله:"إنّهم أخرجوا بلباس البرهان كلّ مسألة قصدوا الغلبة بها، وإن بعدت عمّا يشتغل به المنطق"[4]. وعليه؛ فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح(Valide) لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية. ويمكن التمثيل لكلّمن البرهنة والحجاج بالمثالين التاليين:

- كلّ اللغويين علماء.
- زيد لغوي.

---

(1) المرجع نفسه، ص66.

(2) طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص66

(3) المرجع نفسه، ص62.

(4) المرجع نفسه، ص62.

- إذن، زيد عالم"[1].

يتعلّق الأمر في المثال الأول، ببرهنة أو بقياس منطقي(Syllogisme)، أمّا في المثال الثاني، فإنه لا يعدو أن يكون حجاجا أو استدلالا طبيعيا غير برهاني. واستنتاج أنّ «زيدا عالم"، في المثال الأول حتمي وضروري، لأسباب منطقية، أما استنتاج احتمال نزول المطر في المثال الآخر؛ فهو يقوم على معرفة العالم، وعلى معنى الشطر الأول من الجملة، وهو استنتاج احتمالي"[2].

أمّا الخصوصية الأخرى للقياس المنطقي، فتفيد النفي، كيف ذلك؟

2-النفي: ليس النفي مثلا هو الدحض بالرغم من أنه على صلة به. فالنفي يتمثل أساسا في حدث الأطّراح(Rejeter) لقول ما:

أ/-أصبح المناخ مجنونا.

ب/-لا ليس ذلك صحيحا.

فالنفي هنا ليس هو الرد المعاكس على سبيل التفنيذ أو التهذيب، وإنما كان يدل على عدم وقوع الحدث على ذلك الشكل، ومنه نشأ عن حركة حجاجية، تمثّلت في البرهنة على أنَّ هذا الطرح أو ذاك مغلوطا:" قولك إن المناخ أصبح مجنونا ليس من الصحة في شيء"[3]. أي؛ نفي وقوع الشيء بصيغة المبالغة، حتى وإن ثبت وقوعه على الشكل المطلوب، وإنما تم ذلك على عكس التوقّعات. ومنه نستنتج وجود أساليب عديدة للبرهنة، أهمها:

- النفي والدحض مقابل الإثبات، وكلاهما يصلان إلى استنتاجات احتمالية أو ضرورية وحتمية، ومع ذلك نقول، إنّ هناك منطلقات للبرهنة الحجاجية، تتضمن مقدمات ونتائج على المنهاج الأرسطي المعتاد، وهو ما نريد توضيحه في العنصر الآتي:

---

(1) عبد الله صولة، اللغة والحجاج، ص15.

(2) المرجع نفسه، ص15.

(3) باتريك شارودو، تر/ أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص 12.

ثانيا/_ الحجاج وصناعة البرهان في الفلسفة.

أ/ -المنطلقات الحجاجية في البرهنة: إنّ مبتدأ الحجاج، مقدماته التي تتضمن القضايا الجامعة، الدائرة عليها البرهنة والجاري بها الاستدلال. والمقدمات الحجاجية التي ننوي بيان أفعالها في نظام الاستدلال والبرهنة، تتجاوز ما حدّده المنظرون، إذ هي لا تقصر على القضايا الذي يضمنها المُحاج صدور كلامه، بل تتعدى ذلك إلى ما يعقده المؤول من خطاب يفتتح به تفسيره"[1] للقضايا الجاري البحث فيها، لمعرفة مدلولاتها.

وحجاج الفلسفة. هو حجاج الدليل والبرهان لا التعليل، لأن الفلسفة خطاب يسعى لإرساء الحقيقة، وهذا الهدف المتمنّع يجعل هذا الحجاج مفتقرا إلى المظاهر الإمتاعية العديدة التي نجدها في نظيره الفني الأدبي بصفة عامة. وارتباط هذا الحجاج بالبرهان نابع من طبيعة الاستدلال البرهاني ذاته، لأن البرهان إما أن يكون صحيحا. وإما أن يكون خاطئا، وصحته نابعة من صحة نتائجه وكفايتها الذاتية، ومن مدى تلاحم قضاياه وصدقها"[2]. وإمّا أن تكون نتائج خاطئة انطلاقا من مقدمات خاطئة، وهو يعدّ حافزا لأن يكون الحجاج مرتبطا بالبرهان، من باب ارتباطه بنوعية الدليل المقدّم في شكل استدلال برهاني صحيح وصادق منذ البداية.

كما أدار كلّ من بيرلمان PerelmanوتيتكاTytecaأطر الحجاج على حدّه وتعريفه: موضوعا وغاية، فحصرا موضوعه في " درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات. ومن ثمّ كان أنجح الحجاج ما وفّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السّامعين مهيّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة "[3].و الذي يعنينا من ضبط أطر الحجاجه و تطويع العقول والأهواء حتى تُذعَن وتسلّم بما يلقى عليها من الأفكار والآراء، لغاية العمل بها أو الإمساك عنها"[4].لذلك اشترط علماء الحجاج التوافق بين المقدمات الحجاجية والبراهين الاستدلالية والمآلات التأويلية وربطوا هذا التوافق..بنجاعة العمل الحجاجي وتوفّق المسعى البرهاني"[5]،غير أنّ الحجاج بهذا

---

(1) على الشبعان، تقديم/حمادي صمود، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص245.

(2) حبيب اعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: «عناصر استقصاء نظري، ص116.

(3) المرجع نفسه، ص116.

(4) على الشبعان، المرجع نفسه، ص89-90.

(5) المرجع نفسه، ص89-90.

الشكل، يمثل مجالا من النشاط اللغوي الذي شدّ إليه الأنظار على مرّ الأيام منذ بلاغة القدامى الذين جعلوا منه الأساس ذاته للعلاقات الاجتماعية (فن الإقناع) حتى يومنا هذا، حيث أصبح من جديد أسلوب العصر"[1] في البرهنة وتحقيق التأثير والإقناع، ممّا يدلّ على نجاح البرهنة الاستدلالية لإيصال الفكرة إلى ذهن المتلقي، ولا يكون هذا إلاّ بإحداث التوافق بين المقدمات والبراهين المستدل بها، على أساس ربط العلاقات الاجتماعية، بفضل القدرة على استعمال البلاغة اللغوية المؤثرة في ذهنية المتلقي الاجتماعي.

بالإضافة إلى ذلك يوجد تقليد فلسفي ولساني عريق يتيح القول بوجود " تاريخ للحجاج". فمنذ القديم جعل اليونان من الحجاج موضوعهم الأثير، وقد أحلوه من البلاغة محلا رفيعا، وهذه الآلة العجيبة التي تغري وتقنع في آن هي "الكلام"[2]؛ الذي به، يجب "أن تؤثّر وتجلب" اهتمام طائفة من السّامعين. ومنذ ذلك الحين حصل تفريق سيظل قائما على امتداد هذا التاريخ للحجاج بين ما ينتمي إلى البرهنة التي تستخرج من إفرازات النفسية الإنسانية من ناحية، وبين ما ينتمي إلى الإقناع والذي يقاس بطاقة التأثير في طرف آخر من خلال حركات المؤثّر"[3] في استخدام وسائل الإقناع، وما تفرزه من حقائق يمكن البرهنة عليها بسهولة. وهنا نكون في حاجة إلى عناصر لتشكيل علاقة حجاجية، وهي:

ب/_-العناصر الأساسية للعلاقة الحجاجية:

كلّ علاقة حجاجية تتكون على الأقل من ثلاثة عناصر: قول الانطلاق (معطى، مقدمة منطقية) وقول الوصول (خلاصة، حاصل) وقول العبور والذي يمكّن من اجتياز قول إلى آخر (اقتضاء-دليل– حجّة)"[4]. ومنه فالحجاج "**علاقة بين طرفين تتأسّس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثّر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجّه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا**"[5]. المهم أنّه ثمّة علاقة تأثيرية بين طرفين، أحدهما يملك لغة برهانية، والآخر يملك الوسائل لفهمها، أو يظهر القدرة على الرد عليها بالدليل.

---

(1) باتريك شارودو، تر/ أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص 6.

(2) المرجع نفسه، ص7.

(3) المرجع نفسه، ص7

(4) المرجع نفسه، ص21.

(5) حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر والتوزيع، ط1، 1999م، ص8.

وربّما تكون العلاقة الحجاجية، بين عدّة أطراف تتأسس على لغة الكاتب (مؤلف الفكرة)، ومعيد قراءة لغة الكاتب، ثم اللغة الانشطارية الناتجة عن القراءات المتعددة للنص، أو الفكرة المنصوصة؛ فيكون الميل إلى قراءة دون غيرها، كما يحصل التأثير في جهة معينة دون غيرها كذلك، وتتعدد الذوات القارئة، فلا نعلم أيها قراءتها صحيحة أو خاطئة.

بينما الوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف متعددة منها ما هو متعلق بالمتكلم، ومنها المتعلق بالمخاطب، ومنها الخاص بالمقام، "ومنها وهو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها"[1]. لأنّ الحدود بين اللغة والفكر غير قائمة ولذا كانت اللغة[*] تمدّ المتكلّم الحاذق بالأساليب الكفيلة بزحزحة المخاطب من موقعه، ومن هنا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة هي[2]: البصر بالحجة، وتعني حسن الاختيار والتقاط المناسبة بين الحجّة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حتى يسدّ المتكلّم السبيل على السّامع؛ فلا يجد منفذا الى استضعاف الحجّة أو الخروج عن دائرة فعلها"[3]. وكلّ ذلك من أجل الإقناع بصحّة الدليل واختيار اللغة المعبّر بها عن الدليل.

ويكون الحجاج مثار اهتمام عندما تكون علوم أخرى؛ كالمنطق، والتواصل، والاقناع مثار اهتمام كذلك. فنظريات الحجاج من دون استثناء، تم تطورها في اطار علاقة مع البرهنة(Raisonnement)،والمنطق. وبعض هذه النظريات بُنيت على هامش المنطق، وبعضها بالتعارض معه، و بعضها الآخر كان عبارة عن ارادة لتوسيع المنطق، وأخرى غيرها تم تطويرها من خلال عقلانية لا تبالي بالمنطق الرياضي. لهذا، فالحجة يتم تعريفها غالبا،من خلال مقارنتها بالاستدلال الصوري الرياضي(**RaisonnementForme**)، أو بالبرهان (**Démonstration**). وفي كل الأحوال يتم ذلك بالارتكاز على مرجعية عقلانية"[4]. حيث، إنّ الحجاج في الدراسات الحجاجية على ضربين: ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق، فهو ضيق المجال ومرادف للبرهنة والاستدلال؛ إذ هو يعنى بتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجّة. وضرب

---

(1) حبيب اعراب،.الحجاج والاستدلال الحجاجي: «عناصر استقصاء نظري، ص103.

(2) المرجع نفسه، ص103.

(*) اللغة عند الزمخشري هي الحجة والبرهان على صحة ما يدّعي ووثاقة ما يتأوّل ، وقد تفطّن علماء التأويل في العصر الحديث الى مكانة اللغة في تعقّب المعاني والظفر بالحقائق، إذ لا حقيقة خارج محيط اللغة ، وهذا التصور القائم على أولية الرافد اللغوي في تأويل العلامات القابعة في الكون، يجعل كل الحقائق ناجمة عن عمل تأويلي يقوم على الترجيح ويتأسّس على الاحتمال "(علي الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل ، ص258).

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص276

(4) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص13.

هو واسع المجال، لانعقاد الأمر فيه على دراسة مجمل التقنيات الباعثة على إذعان السّامع أو القارئ"[1].لذلك كان دور الحجاج في كلا الضربين، هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى ، يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"[2]، وهو بذلك ينقسم إلى حجاجين: الأول قوامه العقل وهو حجاج الفيلسوف يتوجّه به إلى جمهور ضيّق، ويرمي من ورائه إلى إسكات صوت الهوى فيه، والى جعل العقل(..) قوام الاستدلال؛ فهو حجاج لا شخصي ولا زمني. والحجاج الثاني؛ يرمي إلى دغدغة العواطف وإثارة الأهواء استنفارا لإرادة جمهور السامعين ودفعها إلى العمل المرجو إنجازه"[3]. ومنه ما يتوجّب تقديم الحجج فيه، هو حجاج الفيلسوف الموجّه للجمهور، لكبح الأهواء التي يصعب التخلص منها، بل وإقناع السامع البسيط تجاوزها بسهولة. فكلما حاججنا مثلا جاهلا غلبنا مع وجود الحجة، حاججنا عالما غلبناه بالحجة؛ لأنه ملتزم بها عقليا، على حدّ تعبير الإمام الشافعي(ت150-204هـ)، على سبيل التدليل بأهمية الإقناع بوجود الحجة وقابلية السّامع العمل بها. والعكس صحيح، عندما نتحدث عن الصعوبة في عدم امتلاك أدوات الفهم لتبرير الحجة. وينتهي حبيب أعراب إلى أن القيمة الخاصة للحجاج الفلسفي تتجلى في كون عملياته تتوخّى إفحام كل عقل مهيّأ للتفكير العقلاني. ومن ثم فالطريقة الفلسفية ليس هدفها التأثير في الأشخاص، بل منح الأفكار قوتها الإفحامية"[4]. لقبول الرأي والعمل به.

وفي تحليل أرسطو لدور الاستدلال في الحجاج، نجده يتوسّل بالآلية المنطقية في الربط بين المقدمات والاستنتاجات الخاصة بكل من الأقيسة والاستقراءات"Inductions"والأمثلة"[*]؛

---

(1) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، بيروت لبنان، سنة 2001م، ط2، سنة 2007م، ص8.

(2) عبد الله صولة، اللغة والحجاج، ص.16.

(3) المرجع نفسه، ص28.

(4) حبيب اعراب،،ا لحجاج والاستدلال الحجاجي: «عناصر استقصاء نظري"، ص128.

(*) تعتبر البلاغة عند أرسطو تقنية ووسيلة لإنتاج الأشياء، وهي يُمكّن من أن نستخلص من كل موضوع درجة الإقناع التي يحتويها. ولهذا الحجاج طريقان: نفسي ومنطقي، إضافة الى الأثر التأثيري الذي يحدثه الاستدلال بدرجة تناسب قدرات المعنيين وإمكانات المقام. وتعلب الأدلة الداخلية دورا كبيرا في مختلف هذه المراحل، وهي أدلة يمكن تقسيمها الى قسمين: المثال(الاستقراء) والقياس الاضماري (الاستنباط)؛ فكل الخطباء في نظر أرسطو " من أجل إنتاج الإقناع، يبرهنون بواسطة أمثلة أو قياسات إضمارية، وليس هناك وسيلة أخرى غير هذه ". فالمثال يمكن أن يكون بأي قسم من الكلام، وهو عبارة عن تشبيه حجاجي بواسطة التشابه. ونظرا إلى ارتباطه باللذة المتأتية من علاقته بالمقارنة صارت له قوة دامغة في إنتاج الإقناع اللين السلس، وذلك على خلاف القياس الذي هو أكثر قوة وشدة وعنفا ،..بل هو الدليل في كامل قوته الخالصة". راجع لتوسيع هذه الفكر: بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص05-53 بتصرف.

لأنّها الأشكال الثلاثة الكبرى للاستدلال ونراه في غير موقع من كتابه "الخطابة" يشير إلى دور هذا الثلاثي، حيث يقول أرسطو-Aristote:" إنّ كل اقتناع إنما يحصل بالقياس أو ينشأ عن الاستقراء... فكلّ الخطباء ينتجون الاعتقاد باستخدام الأمثلة أو الضمائر، ولا شيء غيرها، كحجج"[1]، للبرهنة على ما يستدلّ به من أمثلة قياسا على الواقع الذي قد يكشف عن حقيقة ما يقول الخطيب، وبالتالي تكون بنية الاستدلال واحدة[*]، لكنها تختلف بطبيعة الحال باختلاف المقام"[2].ويتّضح لنا من خلال هذا العرض أنّ أرسطو يؤسّس فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية[**]، لا تخلو من اعتبارات نفسية اجتماعية عامة، ولعلّ هذا ما منح ذلك الصدى الكبير داخل العلوم الإنسانية عامة"[3].

إنّ وظيفة الحجاج تمكّن من بناء "التفاسير" على أقوال يقع إنشاؤها حول العالم (وهي أقوال تعالج تجربة أو معرفة) في أفق نظر مزدوج"[4] للعقل الاستدلالي[***] والعقل الإقناعي[****]. وبالمقابل؛ فإنّ الحجّة، يصادف أن تُردّ حتى من أساسها أو تبطل في صحتها في

---

(1) أرسطو، الخطابة، ص31.

(*) سبق أن بيّنا أنّ وظيفة الحجج المتوسلة بالبنى المنطقية الشكلية أو بالبنى الرياضية، كامنة في جعل المخاطب يطمئن لقبول ما يلقى على عقله من آراء وما يبسط على قلبه من أفكار، قبولا جازما، نظرا لما تتسم به تلك الحجج من دقة، تضاعف نجاعتها وتقوي عملها"(راجع : علي الشبعان ، ص147 هامش الصفحة).

2 Perelman et Tyteca, Traité de L'argumentation, op, cit,p5 ,

(**) دراسة الحجاج الذي تتمثل وظيفته في "توجيه" باقي الخطاب. فهو يمثل طريقة للفعل في الآخر(المحاور أو المرسل إليه). أما غرايز(J,B, Grize) فهو من جهته يقابل بين حجاج و استدلال، على أساس أنّ الاستدلال لا يمكن أن يضع في اعتباره المقام المحسوس للفاعل القائم بالبرهنة وللجمهور الذي يتوجّه إليه.. في حين أنّ الحجاج يضع في اعتباره السياق وفواعل التواصل، وهو بذلك يحتوي على عمليات أخرى تتجاوز الاستدلال الخالص. ويوجد كذلك اتجاه قريب من اتجاه غرايز، وتمثله أعمال بيرلمان(Perelman)الذي يسعى إلى تقديم مفهوم لبلاغة جديدة، وذلك بدرس أحد مواضيع البلاغة القديمة، والى معرفة التقنيات القولية التي تمكّن من إثارة أو تنمية انخراط العقول في الأطروحات التي تقدّم إليها لتنال رضاها"(انظر: باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص8).

(3) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص27.

(***) العقل الاستدلالي: وينهض على آلية تتصل بإقامة روابط سببية مختلفة. بين قولين أو عدة أقوال. وهذه الروابط تقوم من خلال أساليب هي شاهدة على ما نسميه "انتظام المنطق الحجاجي"، والذي تتعلق مكوّناته في الوقت نفسه(بالمعنى) الذي تتضمنه هذه الأقوال.

(****)العقل الإقناعي: وينهض على آلية تتصل بإقامة (الدليل) بواسطة الحجج التي تبرر الأخبار التي تحصل عن العالم والروابط السببية التي تصهر الأقوال فيما بينها. وترتبط هذه الآلية خاصة بأساليب الإخراج القولي للفاعل المحاجج لذلك نسميها. الانجاز الحجاجي".

(4) باتريك شارودو، تر/ أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص17.

كل الحالات. إنّ الحجة إذن تزول بفعل الطعن عندما تبدو أضعف من أن تجتاز ذلك الطعن"[1]. لكي يوجد حجاج ينبغي أن تتوفر عناصر أساسية، منها:

1-خبر عن العالم يجب أن يمثّل إشكالا بالنسبة إلى شخص ما من حيث مشروعيته.

2-فاعل يلتزم بهذه الإشكالية(قناعة)، وينشئ برهنة لمحاولة تأسيس حقيقة(...) لهذا الخبر.

3-فاعل آخر مهتم بالخبر نفسه إشكالية وحقيقة هو الذي يشكّل هدف الحجاج. إنّ الأمر يتعلّق بالشخص الذي يتوجّه إليه الفاعل المحاجج على أمل استدراجه نحو مقاسمة الحقيقة نفسها(الإقناع) مع العلم، أنّ ذلك الشخص بإمكانه قبول الحجاج أو رفضه (أن يكون مع) أو (أن يكون ضدّ)"[2].

وهكذا يتحدّد الحجاج في علاقة ثلاثية بين (فاعل محاجج) و(خبر عن العالم) و(فاعل هدف)"[3]. فهو إذن؛ هو نشاط قولي، إذا ما تأمّلناه من زاوية نظر الفاعل المحاجج ألفيناه يتعلق ببحث مزدوج عن الحقيقة"[4]. وهنا سنتعرف على البنية الشكلية للحجاج.

ج/-البنية الشكلية للحجاج:

وتقوم على تعالق النتائج والمقدمات وتسلسل القرائن ودقة ترابطها، بحيث تكون الأولى مؤدية إلى الثانية، واللاحقة مبررة للسابقة، بشكل يُبقي على طابعها الاستفهامي القابل لإعادة المساءلة"[5] على عكس الصور البلاغية التي يشكّل معظمها أجوبة مجازية، تخرق منطق البرهنة وحركية الكلام"[6].

1/-المنهج الاستدلالي للحجاج.

إذا جاز أن المحاورة تستند إلى نماذج تنتمي إلى المجال التداولي، جاز معه أنها تسلك من سبل الاستدلال ما هو أوسع وأغنى من بنيات البرهان الضيقة، كأن يعتمد المحاور في بناء النص الصور الاستدلالية مجتمعة إلى مضامينها أوثق اجتماع، وكأن يطوي كثير من المقدمات والنتائج، ويُفهِمَ من قوله أمورا غير تلك التي نطق بها، وكأن يذكر دليلا صحيحا

---

(1) المرجع نفسه، ص5.

(2) المرجع نفسه، ص13.

(3) باتريك شارودو، المرجع نفسه، ص13

(4) المرجع نفسه، ص 14.

(5) Michel Meyer, Principié Rhétorica,éd ,Fayard,2008,P103,

(6) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص8-9.

على قوله من غير أن يقصد التدليل به، وأن يسوق الدليل على قضية بديهية أو مشهورة هي في غنى عند ليل للتسليم بها، كلّ ذلك لأنه يأخذ بمقتضيات الحال من معارف مشتركة ومعتقدات موجّهة ومطالب إخبارية وأغراض عملية"[1]. بل ويعمد المحاج من خلال تكثيف الحجج وتنويع طرائق عرضها والتفنّن في بسطها الى بناء واقع قائم على تحصيل اقتناع الجمهور أوّلا وحثّه على العملبما صار لديه عقائد وثوابت ثانيا. وهذا التشارط بين الاقتناع حاصلا فرديا تتصاهر فيه أشكال البرهنة العقلية(الأشكال المنطقية/الأشكال الرياضية)، وبين العمل بمبادئ ما أفضى إليه الاقتناع، مردّه إلى قيس الأثر الحجاجي وحدّ نجاعته وهذا الأمر لا يكون إلاّ إذا عاين المُحاجّ عمل جمهوره وردّه، تقويما وتعبيرا، إلى أصل النجاعة ومبدأ الوثاقة، وهذا الواقع المحدث الذي يعمل المحاج على بنائه من خلال الحجج والبراهين ومن خلال لفت النظر إلى تعارضات ما يصرّح به الخصم، ابطالا ونفيا، هو الذي يتّخذ منه المُحاجّ أرضية عليها يقيم نظام حججه نعني الواقع باعتباره أساس البناء وقاعدة التقويم "[2].

وإذا كان الحجاج في الخطابة يُلجأ إليه لأهداف عدة منها تحقيق الإقناع العقلي والعاطفي معا في استمالة الآخر ودفعه إلى الفعل والتغيير أحيانا، فإنّنا في الفلسفة"[3]... كمعرفة أو كتفكير، نجد التقاطع والتكامل بين البعد التحليلي(العقلي)، والبعد الخطابي أمرا لا شك فيه. ومن البديهي أن تكون هناك إذا "خطابة فلسفية"، لأنّ أفكار الفيلسوف ومعانيه لا تُعرَض عارية من متطلباتها اللغوية والأسلوبية. ولكن الخطابة الفلسفية وبلاغتها لا تروم استراتيجيا تحقيق آثار عاطفية مباشرة، أو توجيه سلوك المتلقي توجيها مباشرا وعمليا"[4]. هناك إذا، حجاجان وخطابان أحدهما: فلسفي، والآخر بلاغي فني ولكل منهما أهدافه ومنهجيته، وأيضا النقاط التي يتقاطع فيها مع الآخر ويقترض منه"[5].

وبعبارة أخرى، يجب أن نترك للمستمع لذة القيام بكلّ شيء في بناء الحجّة...لأنّ إحدى الجماليات الأساسية للخطاب هي كونه مليئا بالمعنى وإتاحة الفرصة للذهن من أجل تشكيل فكر أكثر امتدادا مما عليه التعبير"[6].

---

(1) طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص46.

(2) على الشبعان، المرجع السابق، ص149.

(3) اعراب، حبيب، المرجع السابق، ص122.

(4) المرجع السابق، ص122.

(5) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص43-44.

(6) رولان بارت، قراءات جديدة للبلاغة القديمة، ص57.

د/-نشأة الحجاج وتطوره:

نظرية الحجاج هو مبحث يختص بدراسة الفعالية الحجاجية، وهي فعالية لغوية اجتماعية وعقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء، وذلك عبر تقديم جملة من القضايا الفكرية المثبتة أو النافية لما ورد في هذا الرأي من قضايا. ويتميّز مبحث الحجاج كذلك بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله، كالفلسفة والمنطق واللسانيات ونظرية التواصل والقانون، وحديثا امتدّ الأمر إلى علم النفس وعلم الاجتماع وتخصصات أخرى كثيرة"[1].

وتعود جذور هذا البحث إلى الفترة اليونانية وخصوصا مع الفيلسوف اليوناني أرسطو-**ARISTOTE**الذي تناول الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، ويظهر ذلك من خلال مدونته المنطقية، الأورغانون: كتاب الجدل، كتاب الخطابة، كتاب السفسطة، كتاب الشعر"[2]. ومنذ كونتيليان وشيشرون الرومانيان (الذي يمثل حالة الركود إلى القرن 12-عصر النهضة) كان اهتمام الباحثين منصرفا إلى دراسة الجوانب البلاغية والأسلوبية مع إهمال الجانب الاستدلالي المنطقي للغة. لأنّ الاعتقاد السّائد كان يقوم على البرهان القائم على مبادئ المنطق المعروفة وأسس الرياضيات؛ وليس بتقنيات اللغة وطرقها التعبيرية"[3].

غير أنّ هذا الفتور أو الخفوت للدرس الحجاجي في الفكر الغربي كان يوازي الازدهار الحضاري العربي الإسلامي الذي احتضن سياق الانفتاح على الثقافة اليونانية خاصة (ترجمة كتب أرسطو) كترجمة كتب الخطابة، الجدل والسفسطة، وشرحت من طرف المناطقة والفلاسفة المسلمين، ممّا ساهم في شيوع الأساليب الحجاجية في المدارس الإسلامية، بمختلف توجهاتها، ومنه توّج هذا التواصل بظهور علم المناظرة وآداب البحث، كعلم أصيل في الحجاج الإسلامي. وتبقى البلاغة العربية بلاغة حجاجية لكن يتطلب اطلاعا كبيرا للسياقات الفكرية والفلسفية والدينية والتاريخية عن طريق كشف النصوص من منظور حجاجي دون الرجوع إلى أمّهات البلاغة العربية وحجاجياتها وآلياتها"[4]. هذا، وتعتبر البرهنة

---

(1) من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(2) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص14.

(3) المرجع نفسه، ص19-20.

(4) المرجع نفسه، ص20.

منطلقا استراتيجيا في بناء النص الحجاجي، وتتجلّى بوضوح فيوالى استنباط ما هو كلّي"[1]. كذلك يعني بالقياس والاستدلال الجدلي والنسبي، التي تقوم بربط الأسباب بالمسببات. لكن ما يهمّنا نحن من خلال هذه الدراسة، هو معرفة الدلالة اللغوية للحجاج وبعدها سنتطرق للحديث عن الدلالة الفلسفية للحجاج، والتركيز عليه بشكل كبير، وبأكثر تفصيل.

عموما؛ أكثر ما يقال عن الحِجاج (لاتينية:**Argumentum**)، هو مصطلح يدل على نوع الاستدلال الخاص باللغة الطبيعية، كما تتجلى في الألسن الطبيعية من حيث إنه استدلال متميز، إلى حد بعيد، عن الاستدلال. الصوري في اللغة الاصطناعية الذي يُسمَّى البُرهان. فالحِجاج هو تبادل الخِطاب يالحُجَج (جمع "حُجَّة")، طلبا للإقناع عن طريق ما يُتيحه اللسان الطبيعي المستعمل ككفاءة لغوية مُحدَّدة من الناحيتين اللسانية والتداولية. وتتعلق دراسة الحِجاج بعدة مجالات تشمل المنطق والبلاغة وفلسفة اللغة واللسانيات والتداوليات وتحليل الخطاب وفن المناظرة والحوار"[2]. وتجدر الاشارة الى أن تطور نظريات الحجاج يتم غالبا عندما تنتشر أساليب الاستدراج (**Lamanipulation**) وأشكال السيطرة الأيديولوجية. فبلاغة أرسطو كانت رد فعل على السفسطائيين. وكثير من نظريات الحجاج الإنجلوساكسونية تدور حول السفسطائية، وبعض نظريات الحجاج في الوقت الحاضر لها علاقة بأساليب الاستدراج"[3]، واستمالة الخصم والإيقاع به، أو محاولة إقناعه، بالأساليب اللغوية والمنطقية، المهم هو الحصول على الاعتراف والتأثير مهما كان.

هذا؛ وكان لأفكار السفسطائيين عن اللغة وللمناهج الصارمة، التي دافع عنها سقراط، أثر بالغ في تعميق نظريات الحجاج الأولى، التي تشكّلت من المناهج التجريبية(empiriques). وبعيدا عن صراع الأفكار هذا، تشكّلت " ثقافة الإقناع" التي تغذّت من مهارة وحنكة الكثيرين من الخطباء الذين قاموا بعملهم في المحاكم"[4]، أو في الأماكن العامة. هذه الثورة الفكرية، التي حدثت بين القرن الثامن والقرن السابع قبل الميلاد، تحوّلت مباشرة إلى إعلاء شأن الكلام، بشكل يتجاوز كلّ وسائل السلطة والسيطرة الأخرى، إذ أصبح الكلام كما يقول فيرنان-Firnane:" أداة السياسة بامتياز، ومفتاح كلّ سلطة في الحكومة، ووسيلة القيادة والسيطرة على الآخرين"[5]. من هنا ظهرت مؤسّسات

---

(1) من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(2) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص14- 15 .

(3) المرجع نفسه، ص19-20.

(4) المرجع نفسه، ص20.

(5) المرجع نفسه، ص20.

جديدة، وشكل جديد للعدالة، " لقد كانت هذه المرافعات من نوع جديد، وينبغي عليها إقناع المحلّفين، الذين جنّدتهم العدالة من بين الشخصيات الشعبية المهمّة. ولكي يتمّ الإقناع، يجب أن يكون المرء فصيحا. هذه الفصاحة التي تشترك في الديمقراطية والديماغوجية، وما هو قضائي وما هو سياسي؛ تحوّلت سريعا لتصبح موضوعا للتعلّم"[1]، وانجذاب المتعلّمين نحو تحقيق أغراضهم الشخصية إذا ما أتقنوا فن الإقناع على أكمل وجه.

ثم إنّه يعود ظهور النظريات الأولى في الحجاج، تقريبا الى ما بين 440-450 ق-م. والاسمان المرتبطان بهذا التأسيس هما:كوراكس(Corax) وتلميذه تيزياس(Tisias). وكما يقول شيشرون، الذي يذكر أحد نصوصأرسطو المفقودة:" لم يعرف قبل ذلك أنّ أحدا ما قد اعتاد أن يترافع بمنهجية وآلية محددة، حتى وإن البعض يؤدي ذلك ببراعة ودقة"[2]. وهذه النظريات تمّ تشكّلها في سياق معين، وهي تأملات الخطباء حول ممارستهم لخطاباتهم القضائية، في مجتمع قد عرف التحوّل الى الديمقراطية. وبعد ذلك بوقت وجيز عُرف المجال الذي يجمع هذه النظريات في الاقناع بالاسم اليوناني(techné rhétoriké): أي فنّ البلاغة"[3].

كان من أوائل معلمي البلاغة، وبطريقة أو بأخرى مخترعها، اليونانيكوراكس(Corax) الذي كتب وقتها كتيبا(مفقود منذ ذلك الوقت)[*]، **صار الأساس الذي بنى عليه كل الخطباء من بعده. ولكن الى من كان يتوجّه هذا الموجز؟**

في الأساس الى الكتّاب الذين امتهنوا كتابة الخطب والمرافعات، لأولئك الذين سيتواجهون أمام العدالة. وكانت للنظام القضائي اليوناني خصوصية:هي أن على المدعي والمتّهم الحضور شخصيا والدفاع لسانيهما أمام القضاةوالمحلفين الشعبيين. وكان تقدير شرعية قضاياهم يعتمد على ذلك"[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص20.

(2) المرجع نفسه، ص19. (راجع : شيشرون، Brutus،46).

(3) المرجع نفسه، ص19.

(*) كتيب كوراكس: قدّم كوراكس مجموعة من الآليات التي تساعد على الحجاج بطريقة فعالة أمام المحاكم، مما يفيد أن البلاغة ولدت في سياق قضائي، ومن رحم التفكير في الطرق التي تسمح بوضع طريقة فعّالة للكلام. وهذا الكتيب الموجز لم يصلنا منه سوى آثار غير مباشرة، خاصة عن طريق أرسطو الذي يستشهد به. وهو كما يعتقد "بنوا(Benoit):" مصنف من الحيل والخدع لكل جزء من الخطاب، وصيغ للبداية ، واحتياطات بلاغيةللاستهلال ، ومهارات لترتيب الأحداث المسرودة للقضية، وحجج متخصصة، وألف وسيلة تفصيلية للإثبات والتفنيد، سواء أكان في الاتهام أم في الدفاع"(1983:13) .

(4) فيليب بروتون، المرجع نفسه، ص20.

لكن **كوراكس(Corax)** لا يكتفي باقتراح خطة للخطاب، وإنما يضع نسقا لصيغ الاستدلال الحجاجية النمطية. وقد اخترع أولها، وهو" الذي يحمل اسمه، والذي يقوم على دعم فكرة أن الشخص لا يمكن أن يرتكب فعلا"[1]؛ لأنّه كان من الواضح أكثر من اللازم أنه قادر على ذلك. هذه الحجة يصفها أرسطو، في كتابه "البلاغة"، الذي وضعه بعد قرن ونصف من ذلك، عندما يعلّق على فن كوراكس بالقول:" **عندما يدفع الشخص عن نفسه التهمة الموجّهة إليه، وكان شخصا ضعيفا مثلا تتم ملاحقته بتهمة استخدام العنف، فإنّ دفاعه يكون أنه ليس من المحتمل أن يكون الفاعل. ولكن إذا كان المتهم شخصا قويا، فإنّ دفاعه يكون أنه ليس من المحتمل أن يكون الفاعل، لأنه من الواضح أنّ الظروف تشير إلى أنه سيشك جدا في أن يكون هو الفاعل**"(أرسطو، الكتاب 2،24، a1402) [2].

هذه البلاغة الأولى، كما نلاحظ، كانت مهتمة أساسا بالفعالية القضائية ثم بعد ذلك السياسية. والسؤال الذي يطرح إذا هو: **كيف يمكن معرفة ما يحكم عليه بأنّه مقنع بالنسبة للمتلقين؟** [3]

والجواب؛ هو إنّه من الوسائل ما هو فكري (كالدليل والحجة والعلامة والأمارة والقياس والاحتمال والاستدلال والبرهان...الخ)، ومنها ما هو عاطفي (كالتحريك والتهييج والانفعال والأحاسيس والعواطف والطبائع والتحريض.)، ومنها اللغوي (كالوضوح والدقة والسلامة والصور والأساليب والوجوه البلاغية بمختلف أنواعها وما تلعبه من أدوار علامية دلالية وتزينية)"[4]. فهذه الوسائل كلّها؛ مثّل تأسس فن الإقناع عند اليونان القدامى كما هيّأتها الظروف السياسية والثقافية في تلك الحقبة، وليس على سبيل الصدفة أن تهتم بالإنسان لتصنع منه مفكرا بارعا في الخطابة، ويجيد الدفاع عن نفسه أمام المحاكم، بالأساليب اللغوية الموجودة، مثل الخطابة ومن هنا يتعيّن علينا حصر تلك الفترة التي ظهر فيها مدلول الحجاج، كنظرية لغوية بلاغية امة بذاتها. ولقد مرّت نظرية الحجاج في الفترة اليونانية بمراحل ميزة، كلّ منها جعلت من الحجاج يكتسي خاصية جديدة عن سابقتها من حيث الموضوعات كما سنرى، ولعلّ أهمّ فترة، وهي:

---

(1) المرجع نفسه، ص21.

(2) المرجع نفسه، ص22.

(3) المرجع نفسه، ص22.

(4) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص12.

ر/ -فترات تطور نظرية الحجاج عند اليونان:

فترة النضوج، وهي أوج فترة أرسطو. وقد قام هذا الفيلسوف الكبير بعملية قطع مع ميراث "صناع الكلام"(technologues)، الذين كان سلوكهم في الفترة السابقة منافيا للأخلاق. وساد كتابه "البلاغة" الذي من المحتمل أن يكون قد كتبه بين عامي **323-329**ق-م، من الناحية النظرية. في هذا المجال حتى يومنا هذا. فكانت هذه البلاغة الأوروسطية المرشد لثقافة الحجاج، التي انتشرت في طار الجمهورية وبداية الإمبراطورية والتي شهدت كبار الخطباء كـ: شيشرون(Cic2ron) وكنتيليان(quitilien) وهم ينسقون وينظمون ويعممون معايير الخطاب الاقناعي"[1]. وإن كان حكمنا على هذه الفترة ، على أنها تمثل النضج الحقيقي للنظرية الحجاجية، فلا يمكننا حينئذ انكار الخلفيات التي رسمت الطريق لظهور الحجاج الأرسطي، ونقصد بذلك دور البلاغة السفسطائية، ثم جهود تلميذهم سقراط في وضع المنهج في المناظرة ، ومن ثمّ المنهج النقدي لأفلاطونفي كشف الأغاليط اللغوية، حتى غاية التقعيد للنظرية الحجاجية مع أرسطو من خلال منهجه الاستدلالي المنطقي في تأسيس العلاقة الحجاجية الثلاثية (الخطيب والرسالة والمتلقي).

-**فترة الانحطاط**: وهي مرحلة الفتور والاختفاء أو التراجع عن الاهتمام بموضوع البلاغة والخطابة حيث تمثّل مرحلة تدهور نظرية الحجاج في داخل البلاغة، وتمتدّ من نهاية الإمبراطورية الرومانية حتى منتصف القرن العشرين. وفيها تحوّلت البلاغة الى مجرد نظرية في المحسنات والصور الأسلوبية، أما جزء الحجاج منها؛ ففقد مكانه تدريجيا في ظل التصاعد القوي للبرهان(في العلوم البحتة والتجريبية) وبعض فلسفة الوضوح(évidence).

-**فترة التجديد**، وهي مرحلة انبعاث "البلاغة الجديدة"، خاصة مع كتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكي شاييم بيرلمان، وكتابات "تولمين حول الحجاج في النطاق **الأنجلو-سكسوني**"[2]، حيث عرفت انتعاشا واضحا وعودة مفاجئة للاهتمام بوظيفة اللغة الاجتماعية والتواصلية، وبذلك أعيد موضوع الحجاج إلى الواجهة من جديد، كضرورة لعودة الحوار، فانبعثت بلاغة جديدة في التواصل مغايرة لما عرفناها عند اليونان القدامى، لكن هذه المرحلة كانت الأكثر إثارة وتفاعلا من حيث المواضيع المدروسة وعلى نطاق واسع. هذه العودة القوية للاهتمام بالنظرية الحجاجية البلاغية بالأساس؛ هو حاصل نصّي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي. فهذا النص كلّه أو بعضه سيكون

---

(1) فيليب بروتون، تاريخ نظريات الحجاج، ص18.

(2) المرجع نفسه، ص19.

بالإمكان ظهوره في شكل حواري (حجاج حواري) مكتوب أو شفوي (حجاج أحادي الحوار)، وفي هذا الإطار ستسخر تعابير من قبيل: "**أنشئ محاجّة قوية**" و "**اعتمد حججا قوية**" و"**حاجج جيدا**". إنّ الحجاج باعتباره شكلا من أشكال انتظام الخطاب يكوّن الآلة التي تمكّن من إنتاج أنواع من الحجاج في مظاهر مختلفة"[1].

وهو كذلك؛ سيتمّ عودته في شكل نشاط لغوي حواري على هيئة خطاب موجّه يمكنه من صناعة كلامية خطابية جديدة مركبة. وتؤدي وظائف لغوية في مظاهر مختلفة، لكن هذه المرة على خلاف الفترة اليونانية، أي سيكون حجاجا متعدد السياق، حيث يتم تسخير تعابير لغوية شفوية ومكتوبة تؤدي أفعالا إنجازيه ترتبط بالواقع أكثر. ومع هذه المرحلة التجديدية، سيعرف المنطق الحجاجي تصانيف جديدة من النظريات الحجاجية وبأشكال مختلفة، ومناهج متعددة في دائرة تأويلية واسعة جدا

ثالثا /-الدلالة اللغوية للحجاج:

أ/-تعريف الحجاج(Argumentation):

يعتبر الحجاج مقولة لغوية مركّبة، لها وصل بمقامات الخطاب وسياقاته، وليس مقصورا على رصد تقنيات الخطاب ووسائله التي يعمد إليها المحاجّ لدحض رأي أو ترشيح معتقد يقتنع به المخاطب أو يحمل على تجنّبه واطّراحه"[2]. ويظهر من التحديد اللغوي أعلاه، أنَّ الحجاج يدور في فلك الغلبة أو المغالبة على الأصح، التي تنطلق من اللغة، وتتغيّا حصول التأثير والإقناع، ويحاقل من حيث اللغة، كما من حيث الاصطلاح، مع بعض الفرق الذي يبدو أحيانا ويلطف أخرى، مفردات أخرى من قبيل؛ البرهان، والجدل والاستدلال"[3]، والتواصل والحوار والمناظرة .

إنّ مفهوم الحجاج المنبثق عن اللسانيات الحديثة، عصي عن الضبط، بالنظر إلى تعدد مظاهره واستعمالاته، ومرجعياته النظرية، وخضوعه في دلالته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من رخاوة وليونة تداولية وتأويلات متجددة"[4].

---

(1) باتريك شارودو، المرجع نفسه، ص 16 -17

(1) علي الشبعان، المرجع نفسه، ص86.

(2) للمزيد من التفصيل في مسألة محاقلة الحجاج لهذه المفردات عد إلى: طه، عبد الرحمان، الإضمار في الدليل، مجلة المناظرة، [ع.3] ، ص91 - 105.

(3) أعراب، حبيب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي: «عناصر استقصاء نظري"، عالم الفكر، [ع.1]، المجلد 30 ، يوليوز سبتمبر 2001م ، ص97- 98.

ويذهب طه عبد الرحمن(ت1946) إلى أنّ الحجاج " لا يدور على الألسن بالدرجة نفسها التي يدور بها عليها لفظ التواصل"[1]، ويحدّده بقوله: "**إنه فعالية تداولية جدلية؛ فهو تداولي، لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي؛ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية، أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة** "[2]. أي؛ أنّ الحجاج يبقى طابعه جدلي محدد بسياق معين، الهدف منه هو الوصول إلى إقناع الآخر، وعليه يطالب صاحبه الإتيان بالحجة أو الدليل.

والحجة في اللغة تفيد الدليل؛ يقول العلامة الجرجاني في هذا الشأن: "**الحجة ما دلّ به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد**"[3]. ومن حيث المقتضيات كشروط لإمكان الحجاج، يقتضي الأمر وجود طرفين بينهما سجال أو جدال. وعليه يقول العلامة ابن منظور في كتابه الشهير لسان العرب: "**الحجة ما دُوفع به الخصم، وهو رجل مِحجاج أي جدل، والتّحاجّ: التخاصم، وحاجه مُحاجة وحجاجا، نازعه الحُجة**"[4].

والحجاج؛ جملة من الحجج، التي يُؤتَى بها للبرهان على رأي أو إبطال، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها. والمحاجة؛ هي إنتاج مجموعة حجج مرتّبة بطريقة ما، قصد إثبات أو تفنيد قضية من القضايا. وقد تعني المُحاجة بتوسيع دلالتها كلّ وسائل الإقناع باستثناء العنف والإكراه"[5].

ومن حيث البناء؛ فالحجاج ينبني على منطلقات غير يقينية، فميدانه هو الاحتمال وليس ميدان الحقائق البديهية المطلقة، فهناك دائما قسط من الشك ممّا يدفعنا دائما إلى البحث عن حجج من أجل تحقيق درجة أعلى من الإقناع. أمّا من حيث الوظيفة والدور. فالحجاج أداة تسعى إلى إقحام الخصم وإقناعه بمشروعية وصلاحية الموقف"[6] المراد إتباعه، ومن ثمّ الاقتناع به، أو تبنّيه والعمل به في كلّ الأحوال.

---

(1) طه عبد الرحمان، التواصل و الحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس العاشر 1993م / 1994م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، [د.ط]، ص.5.

(2) طه، عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، [ط.3]، 2007م، ص.65.

(3) ابن منظور، لسان العرب، المجلد 02، ص570.

(4). المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) ابن منظور، لسان العرب، المجلد 02، ص570.

فالحجة[*] **Argument** كانت ولا تزال تعتبر محتوى، أو شكلا من المحتوى التواصلي من خلال فحص الفرضية التاريخية التي تقول إنّ نظريات الحجاج هي الرحم الذي حمل نظريات التواصل. وفي كل حال، يبدو واضحا أنّ السّمة الأساسية في الحجة، التي تميزها تماما عن التفكير المنطقي، هي أنها تظهر في لحظة تشكّل علاقة بين أكثر من طرف. وهذا ما يبرر الدفاع عن الحجاج كاساس لعلوم المعلومات والتواصل"[1]. وبذات الطريقة، فإنّ الحجة تُحدّد البعد الأخلاقي للحجاج؛ ففي بعض النظريات، يتمُّ التعامل معها بصورة معيارية، بحيث تكون المبرر المناسب المستخدم للإقناع، وعندها يتم تقديمها، وفقا لتعارضها مع أسلوب الاستدراج، وعلى العكس من ذلك نجد في نظريات أخرى، أنّ الحجة يتمُّ تعريفها بصورة تقييمية محايدة. فكلّ سبب، يقدم لهدف إقناعي، سواء كان جيدا أو سيّئا يعتبر متعلّقا بالحجاج"[2].

ويحصل هذا التوجيه في مستويين: مستوى السامع ومستوى الخطاب نفسه خاصة مع ما بين المستويين من تداخل. والآلية في توجيه السّامع"[3]. أي؛ إنّنا حين نتكلّم، إنّما نروم في العادة، "التأثير في هذا السّامع أو مواساته أو إقناعه، أو جعله يأتي عملا ما، أو إزعاجه أو إحراجه، وغير ذلك"[4]. المهم أنّنا في حاجة إلى كلام مؤثر، يقوم بأداء عمل ما ، يظهر من خلال ردة فعل السّامع له، ليكون الكلام إنجازي، لكن قد يحتاج إلى تقنيات بلاغية، بسيطة ومفهومة. لذلك؛ تهتمّ نظريات الحجاج، بالطريقة التي يتمّ من خلالها تقديم أسباب من أجل إقناع محاور، أو مستمع، ووحدات هذه العملية، هي الحجج. وإذا تجاوزنا هذا الاهتمام المشترك؛ فإنّ نظريات الحجاج تختلف فيما بينها حول بعض الأسئلة الجدلية، وأهم هذه الأسئلة هي: تعريف الحجة، وعلاقتها بالبلاغة، والمنطق، وصلتها بالأخلاق"[5]. ولها في ذلك **تقنيات، فما هي :**

(*) الحجة: Argument"، وظيفتها دعم الأطروحة، والبرهنة على مصداقيتها، وضمان انسجام أعضائها"(راجع: أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص169).

(1) فيليب بروتون، المرجع نفسه، ص13.

(2) المرجع نفسه، ص16

(3) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص36.

(4) المرجع نفسه، ص36.

(5) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص15.

ب/ -الحجاج من الناحية الاصطلاحية:

للحجة[*]**؛ ثلاثة معان أساسية:**

-الحجّة بوصفها بناء استدلاليا يستقل بنفسه": الحجة المجرّدة/الحجّة التجريدية.

-الحجّة بوصفها فعلا استدلاليا، يأتي به المتكلّم": الحجّة الموجّهة/ الحجّة التوجيهية.

-الحجّة بوصفها فعلا استدلاليا يأتي به المتكلّم، بغرض إفادة المستمع مع نهوض المستمع بتقويم هذا الفعل": الحجّة المقوّمة/الحجّة التقويمية"[1].

والتجريد والتوجيه والتقويم، هي محطات لوصف الحجّة في بنائها الاستدلالي المنطقي، وتكون مرتبطة أساسا بالمتكلم أولا؛ لإنجاز فعل لغوي لإفادة السّامع له بالفكرة المطلوب إيصالها للإفهام.

وهذه الأشكال الاتصالية، من الحجج؛ هي: الحجج شبه المنطقية التي تستمد طاقتها الإقطاعية في مشابهتها للطرائق الشكلية، والمنطقية والرياضية في البرهنة، والحجج المؤسّسة على بنية الواقع، من قبيل الربط السببي وحجة السلطة، والحجج المؤسّسة لبنية الواقع، شأن المثل والشاهد والتمثيل والاستعارة"[2].

ونشير إلى أنّ مفاهيم الحجة والنتيجة كانت، في التصور السابق الذي نجده عند **ديكرو**Dicrot، وخاصة في كتابه "**السّلميات الحجاجية**" عبارة عن أقوال، أمّا في التصوّر الذي نجده في أعماله الأخيرة، فإنّ هذه المفاهيم أعطيت لها دلالة واسعة ومجرّدة، فالحجة، حسب هذا التصوّر الجديد، عبارة عن عنصر دلالي يقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، والحجة قد تردّ في هذا الإطار على شكل قول أو فقرة أو نص، أو قد تكون مشهدا طبيعيا، أو سلوكا غير لفظي، إلى غير ذلك.

والحجة؛ قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق، والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما"[3]. ومثال ذلك:

أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.

أي؛ وجود رابط حجاجي منطقي (إذن) بين المقدمة والنتيجة. لأنّ مجرّد النطق بعبارة "التعب"، يأتي التفكير في الراحة، أو الحاجة إليها في مشهد طبيعي، أو سلوك غير لفظي. ومثال

(*) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، للوقوف على معاني لفظ حجة في السياق التداولي النظري، راجع كتابه فصله الثاني " نماذج التواصل وأنواع الحجج"، ص254 -255-272.

(1) على الشبعان، تقديم/حمادي صمود، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص133

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص32.

(3) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص18-19.

آخر يشابهه، حين نشعر "بالجوع"، فستكون الحاجة مباشرة إلى "الطعام". وهكذا تقتضي الحجة إلزاميتها، وجود لفظ معبّر عنها أو سلوك طبيعي، يكون بمثابة ردة فعل مباشر، ولا يكون هناك أيّ خيار لقبول غير تلك الحجة.

وتتّسم الحجج اللغوية بعدة سمات، نذكر بعضها:

أ/-إنّها سياقية: فالعنصر الدلالي الذي يقدّمه المتكلم، باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإنّ السياق هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثمّ إنّ العبارة الواحدة، قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق الذي نختاره لموضع تقديم الحجة، المتزامنة مع حادث أخر مشابه له. وهنا تظهر عبقرية المتكلّم في حسن اختياره، للعبارة الدلالية ما دامت تشبه مصير دلالة أخرى، وهكذا قد تكون العبارة السياقية حجة في طبيعتها، والاستئناس بها كنتيجة في سياق آخر، ومثال ذلك: الحديث عن عاقبة الكذب ... وخيمة.

ب/-إنها نسبية: فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدّم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية، والحجج الضعيفة والحجج الأوهى"[1]. ومع هذا تبقى الحجة مفروضة على كلّ متكلّم يريد إفحام خصمه بالدليل، وإن كان مطلوبا منه إقناعه؛ فهذا يعني؛ عدم الوصول إلى نتيجة، بحكم نوعية الحجج التي تفتقر إلى البرهنة عليها.

ج/-إنّها قابلة للإبطال: وعلى العموم، فإنّ الحجاج اللغوية نسبي، ومرن وتدريجي وسياقي، بخلاف البرهان المنطقي والرياضي، الذي هو مطلق وحتمي. بينما العلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة هي التي تدعى "العلاقة الحجاجية"، وهي تختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي"[2]. أي ؛ النتيجة تكون مرتبطة بمدى قوة الحجة المقدمة، سواء من أجل إثبات قول، أو الرد وإبطاله بحجة مضادة أقوى منهلكن في سياق مناسب لذلك. وما دمنا نتحدث عن الحجج التي **تفيد البرهان (هو الرد بالحجة على الحجة)**، فهو الموضوع الذي خصصنا له بالدراسة والتحليل في العنصر الآتي من البحث:

---

(1) أبو بكر العزاوي، المرجع نفسه، ص18-19.

(2) المرجع نفسه، ص20

-تفيد الحجة : البرهان.

ويدل تحديد اللفظ أنّها تدور في فلك الغلبة والمغالبة التي تنطلق من اللغة وتتغيا حصول التأثير والإقناع، ولها مسمّيات أخرى: الجدل، الاستدلال، التواصل، الحوار"[1]. ويُقال: " حاججته، أحاجه، حجاجا وحاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها"[2].

لقد ذكر الحجاج في القرآن الكريم بعدة دلالات، أهمها:

1-**دلالة الحجاج تبقى لغوية بالدرجة الأولى**؛ فقد ورد لفظ الحجاج في عدة آيات منها:

قال الله تعالى :<<**هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُم فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْم وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**>>(آل عمران ، آية 66). وقوله تعالى :<<**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُونِي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَان وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلّ شَيْءٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ**>> (الأنعام، آية80). وقوله تعالى :<<**وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اُسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**>> (الشورى، آية 16).

من خلال هذه الآيات الكريمات، يتبيّن لنا ذكر الحجاج بدلالة لغوية، تفيد الجدل وإتباع سبيل العناد في الاعتراف بالحقيقة أو الحجة الواضحة، حتى وإن وجد البرهان في الردّ على المزاعم الباطلة. لأجل ذلك توعّدهم الله تعالى بالعقاب المحتوم، فقد خاطبهم: " وأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ، أَفَلاَ تَشْكُرون، وَلَهُم عَذَابٌ شَدِيد، أفَلاَ تَعْقِلُونَ، أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ، أَفَلاَ يَتَدَبّرُون، الخ...

وصيغة المخاطبة هنا؛ كلّها جاءت بعد تقديم الحجة، ولا مجال للإنكار، وهنا كانت الحجة في مقام البرهان، كأن نقول: أقيمت الحجة على هؤلاء، ولا سبيل لهم سوى الاقتناع بما سيحصل لهم من ذمّ، أو لوم، أو عتاب، أو خزي، أو عقاب، أو عذاب، لأنّ ردة فعل المنكرين والمعاندين للحجّة البالغة، هو عبارة عن تحدّي للحقيقة والجحود بها. **فالحجّة بهذا المعنى هي برهان**؛ كما ورد لدى محمد بن أبي بكر الرّازي (ت 660 ه)، و"حاجّه، فحجّه من باب ردّ عليه بالحجّة"[3]. وعليه يقوم فعل الحجاج على البرهان والدليل، دون النظر في الإقناع أو لزوم التأثير، بحكم أنّ الجاحد للحجة المبرهن عليها، يدرك ما سيؤول إليه عناده، حتى وإن لم يظهر ذلك. ونرى **الشيخ الطاهر ابن عاشور(ت1393ه/1973م)**، يعتبر الحجاج هو

---

(1) مرجع سبق ذكره، ص20.

(2) نور الهدى دشاش، منطلقات تأسيس نظرية الحجاج عند عبد الله صولة في كتابه، الحجاج في القرآن، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، ال عدد26، 2018، ص9.

(3) المرجع نفسه، ص9.

"الخصام، **إذ معنى حاجّ بمعنى خاصم... والأغلب أنّه يفيد الخصام بالباطل**"[1]. وهذا ينطبق على ما تناولته الآيات القرآنية الواضحة، من صيغة الحجاج اللغوية التي تنحصر في مدلول الخصام بالباطل فقط، وكأنّه خطاب حجاجي موجّه لفئة معينة من الناس دون غيرهم.

ومن الناحية التاريخية، الكثير من العلماء المسلمين القدامى يستعملون المناظرة والجدل والحجاج كمترادفات للمعنى نفسه، من بينهم العلامة **عبد الرحمان بن خلدون(1333-1406)**حيث يعرف الحجاج في مقدمته على أنه مناظرة يستعمل فيها لفظ الجدل حيث يما هي فيه بين هذه الألفاظ: «وأما الجدل، وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً، ومنه ما يكون خطأً، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً"[2]، يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وأين يجب عليه السّكوت ولخصمه الكلام والاستدلال. ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب في الاستدلال، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه، كان ذلك في الفقه أو غيره"[3].

وهذا المقام الثاني من الناس الذين يتوجّه إليهم بالحجاج، لكن وفق آداب وقواعد استدلالية، إذا وجدت فيهم الرغبة في الحصول على الدليل، من باب معرفة قواعد المحاججة والمناظرة، للوصول الى توافق حول حقيقة معينة.

إنّ مصطلح الحجاج يتضمن تداخلا بين عدة مصطلحات فلسفية هامة، منها: **الإقناع– التأثير-البرهان– الدليل– الجدل – الحوار.**

والحديث عن هذه التداخلات اللغوية لمصطلح الحجاج، غرضه هو معرفة مدى قرب أحدها من المفهوم الدقيق للمصطلح، وللترجيح بينها، يكون من باب الإشارة إلى أنّ البرهان هو المصطلح الأنسب والأقرب من بين تلك المصطلحات لمدلول الحجاج اللغوي، ومع ذلك تحتفظ باقي المصطلحات بالمعنى المؤدي إلى ضبط معنى الحجاج بصفة عامة.

---

(1) المرجع نفسه، ص9

(2) نور الهدى دشاش، منطلقات تأسيس نظرية الحجاج عند عبد الله صولة في كتابه، الحجاج في القرآن، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، ال عدد26، 2018، ص9.

(3) المرجع نفسه، ص10.

لقد ظهر هذا المنطق من البلاغة البرهانية الجديدة مع "حاييم بيرلمان" و" أولبريخت تيتكا"، ثم تبنّته مدرسة بروكسل، وهو مقال في البرهان بعنوان: البلاغة الجديدة[*]، وقد اعتمد محاولة إعادة تأسيس البرهان أو الحجة الاستدلالية. والسبب هو تبيان:

1-**أصل الكلام هو صفته الخطابية**، وأصل الخطاب هو صفته الحجاجية؛ وبناء على أنه لا خطاب بغير حجاج الذي هو طبيعة في كل خطاب.

2-**الأصل في الحجاج هو المجاز**، ومن هنا يقدّم " بيرلمان " تعريفا للحجاج، يركز فيه على وظيفته، وهي:<<**حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أوزيادة في حجم هذا الإقناع**>>[1].

إذن؛ يتعلق الخطاب الحجاجي بالتعامل مع الآخر، وهو المتلقي أو المستمع، وأنّ المنطوق به الذي يستحق أن يكوّن خطابا، هو الذي يقوم بتمام المقتضيات الواجبة في حق ما يُسمّى بالحجاج، " **إذ حدّ الحجاج أنه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها**"[2]، كما يعتقد طه عبد الرحمان.

وهذا الذي أدّى بـ"بيرلمان " بأن يطلق عليه مصطلح " الخطابة الجديدة " عام 1958م، وهي دراسة تتناول الحجاج بوصفه خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي والتأثير في سلوكه، وبهذا يتخذ الحجاج مفهومين:

أولا: <u>طريقة تحليل واستدلال</u> يقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك.

ثانيا: <u>عملية اتصالية</u> يُستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين"[3].

من هنا، بدأ الحديث عن وجوب تحديد مفهوم للحجاج من الناحية الفلسفية، على أنّه طريقة تحليل لمدلول الكلام الموجه بين الطرفين، يتضمنه تقديم أدلة على صحة الاستدلالات المقدّمة، وهي وسيلة تواصلية من أجل إحداث التأثير، وتحقيق الغرض المطلوب من الاتصال.

وبالنظر للحجاج وكيفية تطبيقه، كأن تعرض المقدمة ثم الحجة فالنتيجة، وهو التعرّف على آراء وسلوكات المخاطب أو المستمع في الاتصال اللغوي. ونرصد هنا، تعريف للحجاج بالنظر إليه على أنه:" **وسيلة المتكلّم في جعل المتلقي يتقبّل آراءه واتجاهاته وانتقاداته**

وتوجيهاته"[1]. وهذه الوسيلة طبيعية في المتكلم، وهي اللغة التي تجعل المتلقي من خلالها يلتفت اليه من أجل فهم ما هو مطلوب منه، بالرد عليه، وهو بذلك يحدث الاتصال.

وهو أيضا:" طريقة عرض الحجج وتنظيمها، ويدل اللفظ على مجموع الحجج الناتجة عن ذلك العرض"[2]. وهذا التعريف يأتي في المرحلة الثانية من توجيه الكلام، حيث يفكر المتكلم في الطريقة المناسبة لإحداث التأثير في المتلقي، بواسطة اختيار أدلة واضحة، وتنظيمها في سياق مناسب لعرضها. وبين التعريف الأول والثاني، يجتمع مفهوم الحجاج في مدلول واحد مشترك وهادف، في طريقة كلامية تشترط تقديم الدليل حول فكرة معينة، وحصول التأثير والإقناع من أجل العمل بها.

وأمّا المفهوم العام للحِجَاج المترجم باللغة الفرنسية Argumentation في الموسوعة العالمية، فهو: «الطريقة التي تعرض بها الحجج، والمصطلح يحيل أيضاً إلى مجموع الحجج التي تنشأ عن هذا التقديم»[3]، أي طريقة تنظيم واستعراض الحجج للمخاطب، ليتكوّن لنا في النهاية نسق منظم من الحجج الموجّهة نحو السامع أو المتلقي، قصد التأثير فيع، وإقناعه بفحوى الفكرة المطلوب اتباعها والعمل بها.

وفي المعاجم الفرنسية يقابل كلمة الحجاج لفظ Argumentation ويعني:

1-فعل أو فن الحِجَاج.

2-مجموعة من الحجج، التي تؤدي نفس النتيجة، ويقابله لفظ Argument في الإنجليزية[4].

وفي المعجم الخاص بتحليل الخطاب لباتريك شارودو Patrick Charaudeau، نجد وصفاً لبعض التطورات التي صقلت الحجاج عبر مراحل تطور تحليل الخطاب:" فالحِجَاج كان في قلب المفهوم القديم للخطابة"[5]. وقد عرف نوعاً من التراجع المرتبط بتراجع الخطابة في مقابل تطور بعض المجالات العلمية، إلَّا أنّ الدراسات الحِجَاجية عادت في النصف الثاني

من القرن العشرين، مع أعمال ش. بيرلمان وتيتيكاه 1970م، س.تولين 1958، أمبلين 1970، إضافة إلى كل من غرايس، وديكرو في السبعينات، وبلونتين في التسعينيات1990 – 1996م"[1].

إنّ الدرس الحجاجي تخصَّصَ وارتسم بطريقة استدلالية داخلية من طرف أشكال مختلفة من البنى وبطريقة استدلالية خارجية من طرف الفعل وتأثير القوى الإنجازية المتصلة به كالإقناع"[2].

وفي مقام آخر؛ فإنّ المظهر الحجاجي للخطاب كثيراً ما يوجد مخبوءاً فيه على نحو مضمر مثلاً، ما يبدو من الملفوظ التقويمي: يمكن تحقيق الأفضل» والمثبت بدفتر التلميذ إذ يمكن أن يفهم منه: " **لما كان لهذا التلميذ بما له من إمكانيات يمكنه تحقيق نتائج حسنة شريطة أن يكثف العمل**"[3].

لقد وضع كل من ميشال ماير M. Meyer وشاييم بيرلمان CH. Perelman، مفهوماً جديداً للحِجَاج جمعا فيه ملكة اللغة وهي ملكة يشترك فيها العام والخاص من الناس، وملكة الكلام المتمثلة في الخطاب وهي فردية، وملكة الإقناع، وهي ملكة يتمتّع بها النخبة الخاصة من الناس، فعبرا عن ذلك بأنّ: "**الحِجَاج عادة، يعتبر كونه جهداً إقناعيًّا (إفحاميًّا)، ويعتبر البعد الحِجَاجي بعداً جوهريًّا في اللغة، لكون كل خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه**"[4]. فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه، فضلاً عن استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه"[5].

فهذا المفهوم يمكن اعتباره بعثاً جديداً للخطابة الأرسطية، فهو يزاوج بين مفهوم الخطابة عند أرسطو والطرح اللساني التداولي للحِجَاج"[1]، وهذا ما سنشرحه وفق مخطط توضيحي، لمعرفة دلالات تطور مفهوم الحجاج، وصولا إلى ما هو عليه في العصر الأوروبي الحديث والمعاصر.

وبالنسبة للعالم اللغوي ماير Meyer؛ فيعرّف الحِجَاج في مصنفه بأنه: «**دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام ومضمونه**»[1].

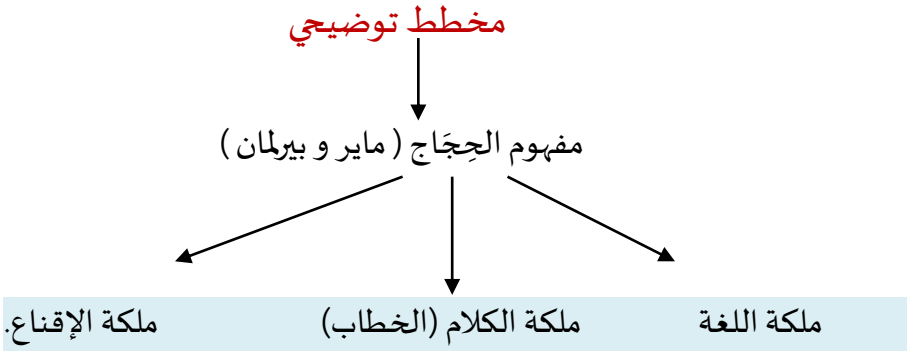

مزاوجة ـــــ بين (الخطابة الأرسطية = الطرح اللساني التداولي للحجاج)

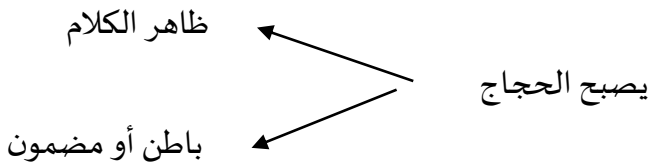

ومعنى هذا، أنّ الحجاج لا يقتصر على ظاهر النص وحده أو المضمون وحده، بل يتعداه إلى دراسة تلك العلاقة التي جمعت بينهما في سياق معين، لذلك يستوجب الوقوف عليه والبحث عن دلالة الاقتضاء للملفوظات التي ترمي إلى الإقناع أو التفنيد.

ج/-مرادفات الحجاج ودلالات التمييز بينها:

1/-الحجة والاستدلال والدليل:

يصرح حبيب أعراب في مقاله المذكور آنفا(*) بأن الفرق بين الحجة والاستدلال والدليل ليس دقيقا واضحا لدى كثير من البلاغيين، بينما هو غير ذلك بالنسبة إلى الفلاسفة والمناطقة؛ فالحجاج عند أرسطو مثلا أنواع، لكنه لا يفضي إلى نتائج يقينية ولا يؤسّس علما، لأنّ نتائجه ظنية تعليمية أو جدلية أو تطبيقية أو استشارية، ولذلك رسم خطا فاصلا بين الحجاج والاستدلال البرهاني. وهذا المنظور للحقيقة الحجاجية هو الذي قاد "**غرينيي H grenier**" إلى الشك في هشاشة العقلانية الحجاجية، طالما أن كلّ حجّة هي حِجج "[1] ومن هنا وجب التمييز بين الاستدلال(**Raisonnement**)والحجاج(Argumentation)؛ لأنّهما ينتميان إلى نظامين جدّ مختلفين، نظام ما نسميه عادة بـ "المنطق". ونظام الخطاب. إنّ استدلالا ما (القياس الحملي أو الشرطي مثلا) لا يشكّل خطابا بالمعنى القوي الذي يعطيه ديكرو لهذا المصطلح"[2].

فالأقوال التي يتكوّن منها استدلال ما، مستقلة بعضها عن بعض، بحيث أنّ كلّ قول منها يعبّر عن قضية ما، أي يصف حالة ما، أو وضعا، من أوضاع العالم، باعتباره وضعا واقعيا أو متخيّلا. ولهذا فإن تسلسل الأقوال في الاستدلال ليس مؤسّسا على الأقوال نفسها، ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة فيها، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم. أما الحجاج فهو مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب"[3].

وقد وقع اختيارنا على مصطلح الحجاج نعرب به مصطلح(**Argumentation**) في الفرنسية دون مصطلح الاستدلال. لأسباب أهمها أنّ "**الحجاج"... يرادف الاستدلال أو البرهان** (**La démonstration**)، فإنه قد يوجد في أي خطاب فيه منازعة للرأي وخصومة سواء كان هذا الحجاج في شكل استدلال أو غيره. ثمّ إنّ كلمة الحجاج بحكم صيغتها الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهوما مهما جدا تقوم عليه النظرية الحديثة(**L'argumentation**) وهو مفهوم المناقشة والحوار. فظهر من ذلك أنّ

(*) يقصد به: الحجاج والاستدلال الحجاجي.

(1) انظر: حبيب اعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص138.

(2) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص17.

(3) المرجع نفسه، ص17.

الحجاج أشمل وأوسع من الاستدلال"[1] من هذه الناحية.

وهذا معناه؛ إنّ الترابط بين الحجاج والتواصل، يتوسّع ليشمل ذلك الذي يقوم بين الحجاج والإقناع؛ فالحجة لها غاية اقناعية أصيلة، لأنّها تبحث عن إقناع المتلقي بفكرة ما، أو جعله يتخذ سلوكا معينا. أي أنّ الاهتمام بالحجة يقتضي ضمنيا الاهتمام بالإقناع، والتوقف عند أسباب حصول الموافقة على رأي ما لا يكون إلا من خلال الالتفات للآليات التي يمكن عبرها الحصول على تلك الموافقة"[2] في إطار التواصل، حيث يعرف **بلانشي Blanché**(-) الاستدلال بأنّه عملية ذهنية متواصلة، يتم بها الانتقال من المقدمات الى النتائج، بالاستناد الى علاقة منطقية تربط الأولى بالثانية"[3]، بطريقة تواصلية يتم فيها تقديم الحجة بالحجة .

أمّا عن دراسة أرسطو للحجاج فقد تأسّست على دعامتين كبيرتين: الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال**Raisonnement** ، والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي[4]. ففيما يتعلّق بمفهوم الاستدلال[*]؛ نلاحظ أنه يحمل شحنة منطقية صورية، فهو "تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم". لكن هذا الاستدلال لا ينطلق من الفراغ، بل من معارف سابقة أهمها المبادئ والتعريفات، أو حتى مسلّمات شائعة. من هنا كان تركيزه. على أكثر صور الاستدلال أهمية والمتمثلة في الصور القياسية... فهو يعرّفه بأنّه "**قول مؤلف من أقوال إذا سُلم بها لزم عنها بالضرورة قول آخر**"[5]. وبالتالي يمكن أن نستعمل الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي عامة والبلاغي خاصة، بوصفه تلك المنهجية أو الطريقة العقلية التي يسلكها الفيلسوف والبلاغي والناقد والمبدع أيضا بهدف إرساء "حقيقة" معينة، وما يقتضيه ذلك الإرساء من عمليات عقلية –منطقية تدعم ذلك الطرح دعما حجاجيا من جهة، وأساليب

---

(1) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص9

(2) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص14

3R, Blanché, Le raisonnement, Paris, éd, P, U, F ? 1973,1er chap.

(4) راجع: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر، يوليو 2001م، ص 124 -125.

(*) تناول البلاغيون العرب القدامى مفهوم الاستدلال ضمن مباحثهم البلاغية، وخاصة المعاني والبيان، وبالتالي فهو عندهم ليس عملية عقلية استنباطية محضة، بل هو أيضا عملية خطابية يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية وجعلها شاهدا ومثالا على شيء أو صفة من صفاته. لذلك قد لا يخرج الاستدلال عندهم من دائرة التشبيه والاستعارة وبشكل أعم من دائرة المجاز. وهذا ما نجده في آراء الجرجاني والسكاكي.

(5) حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص126-127.

إفحامية توجهية من جهة أخرى." والواقع أن الاستدلال**Raisonnement** والحجاج **Argumentation**[*]؛ يلتقيان ويتقاطعان تكامليا في الفلسفة-إنتاجا وتعليما-ضمن مدار واحد. ومركز هذا المدار هو عرض الحقيقة العقلية/اللفظية عرضا استدلاليا متماسكا، تواكبه إجراءات حجاجية معروضة في تناسق مع انجازات لسانية وبلاغية وتداولية وغيرها"[1].

2/-الحجاج مرادف للجدل في اللغة والاصطلاح:

نبحث في الحجاج، من جهة علاقته بالجدل من ناحية، وبالخطابة من ناحية أخرى، ففي ما اطلعنا عليه، وان كان غير كثير، وجدنا للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل: مفهوم يجعله مرادفا للجدل، ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة خاصة، ونجده عند اليونان(أرسطو على سبيل المثال)، ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب؛ وهو مفهوم أدقّ وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين"[2].

الحجاج، لغة، من حاجّ. قال **ابن منظور(ت711هـ/1311م)**:" **حاججته أحاجّه حجاجا ومحاجّة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها(..) وحاجّه محاجّة وحجاجا نازعه الحجّة(..) والحجة الدليل والبرهان**"[3]. فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين والحجج، فيكون مرادفا للجدل، إذ حدّ الجدل حسبه أيضا:" **مقابلة الحجة بالحجّة**"[4]. على أنّه يجعل الحجاج مرادفا للجدل صراحة بقوله:" **هو رجل محجاج أي جدل**"[5].

(*) الحجاج: Argumentation " نواته وجود خلاف جزئي بين ممثلات المتخاطبين لنفس القضية، تعمل الأطراف المتحاجة بواسطته على تعديل أو تحويل جهة النظر المختلفة إلى وجهة أخرى، بهدف الإقناع بها داخل إطار احتمالي غير ملزم، مشروط باحترام القواعد الأخلاقية والمعرفية للمحاجة.

(1) المرجع نفسه، ص37.

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، بيروت لبنان سنة 2001م، ط2، سنة 2007م، ص8

(3) نقلا عن: المرجع نفسه، ص10. راجع بالتفصيل: ابن منظور، لسان العرب، مادة

(4) نقلا عن: المرجع نفسه، ص11 ابن منظور، لسان العرب، مادة

(5) المرجع نفسه، ص11.

لكن فرقا دقيقا رقيقا بين معنيي اللفظين في استخدام القرآن إياهما أشار إليه محمد **الطاهر بن عاشور**(ت1393هـ/1973م)، فقد قال في شأن "حاجّ" وما اشتق منه عند تفسير قوله تعالى :<<**أَلَمْ تَرَ إِلَى الذِي حاجَّ إبراهيمَ فِي رَبِّه**>>[1].

في هذه الآية الكريمة؛ "معنى حاجّ، أي خاصم، وهو فعل جاء على زِنة المفاعلة، ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها. ومن العجيب أنّ الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أنّ حاجّ لا يستعمل غالبا إلاّ في معنى المخاصمة(...) وأنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل.

وقال في شأن "الجدل" عند تفسير قوله:<<**وَلاَ تُجَادِل عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ**>>[2]. بمعنى:" المجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك"؛ وقال في موضع آخر: «المجادلة: المخاصمة بالقول وإيراد الحجّة عليه، فتكون في الخير كقوله: "يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوط"، وتكون في الشر كقوله " وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِ"[3].

المهم؛ إنّ المجادلة تقتضي طرفين متخاصمين حول قضية معينة، يتحتم منها وجود غالب ومغلوب من خلال قوة الحجة المقدمة من أحد الطرفين وهذا ما ذكره القرآن الكريم وفصّل فيه بشأن ذم الجدل، لأصل وجود المنازعة في غير فائدة منها ما عدا إن كان الجدل من أجل إحقاق الحق، ودرء الباطل من الكلام.

يفهم من كلام ابن عاشور السابق أنّ الإنسان إذا كان قادرا على الحجاج سمّي مجادلا. وارتباط الجدل بالقدرة على الخصومة لم يفت ابن منظور؛ فقد قال:" **والجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها**"[4]، فكأنّ هذا هو الذي أهّل لفظة "**الجدل**" على صعيد الاصطلاح، دون لفظة "الحجاج"، لتكون المصطلح الذي يطلق على العلم الذي مداره على **قواعد المناظرة** في مجال الفقه وغيره. قال ابن عاشور رابطا بين معنى كلمة "جدل" اللغوي ومعناها الاصطلاحي، وأول الشاهد سبق إيراده: "المجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على

---

(1) عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص10.

(2) المرجع نفسه، ص11.

(3) المرجع نفسه، ص11.

(4) ابن منظور، المرجع نفسه، مادة (ج د ل).

الخصام والحجة فيه. وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك. ومنه سمّي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه علم الجدل (وكان يختلط بعلم أصول الفقه وعلم آداب البحث وعلم المنطق)"[1].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الحجاج والجدل يكثر ورودهما مترادفين في اصطلاح القدماء. من ذلك أنّ أبا **الوليد الباجي** (-) أسمى كتابه، وهو من علم أصول الفقه بسبيل، المنهاج في ترتيب الحجاج مستخدما في العنوان لفظة " الحجاج " كما نرى"[2]. لكنّه، في المقدمة ينعته بكونه " **كتابا في الجدل**". وهو ما عني أنّ الحجاج عنده مرادف للجدل... قال المؤلف في مقدمة كتابه: «. **أمّا بعد فإنّي لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين(...) أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل**..."[3]. ويعني، الحجاج والمناظرة.

إنّ اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفا للجدل، ومراوحتهم بينهما في الاستعمال واستخدامهم أحدهما معطوفا على الآخر باعتبارهما، من شأنه أن يضيّق مجال "**الحجاج**" ويغرقه في "**الجدل**"، من حيث هو صناعة منطقية سبق تعريفها، ومن حيث هو على العموم، في علم أصول الفقه وعلم الكلام، وغير ذلك "معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصّل بها إلى حفظ رأي وهدمه"[4].

ولقد أشار الهادي حمّو في كتابه: "**مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم**"، إلى وجوب الربط بين الجدل أو الحجاج وبين الأسلوب، فقال: " أرى أن تتبع مواضع الجدل(..) في القرآن، من غير التفات الى نواحي البلاغة وخصائصها في التعبير القرآني هو ابتعاد عن المنهج القويم، ابتعادا لما فيه من قطع الصلة بين متلازمات في الدلالة المعنوية والأسلوبية أو لما فيه من تفكيك بين عناصر متكاملة في إبراز المواقف الحجاجية"[5].

---

(1) ابن عاشور، المرجع نفسه، ج5، ص194.

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص12

(3) صادق الحسيني الشيرازي، الموجز في المنطق، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط3، 1401هـ/1981م، ص 104.

(4) عبد الله صولة، المرجع نفسه، ص12

(5) الهادي حمو، مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم، ص 193.

3/-الحجاج بمرادف للحوار والخطابة:

يعد الحوار[*] أنجع سبيل ينتهجها مرسل الخطاب لدراسة حجج ومواقف مخاطبيه بطريقة مقبولة تمنح حجاجه في النهاية النفاذ والمصداقية، وهما أمران لا يتمّان إلاّ عن طريق الحوار المؤسس على الاحترام والحقيقة، والبعيد عن القسر والاحتيال... ويدخل في الاحترام إشراك المخاطب في الحجاج عن طريق وضوح الأدلة، والبعد عن التناقض واحترام المسلمات الخاصة به، والبعد عن التركيز على الأمور والقضايا التي يبنى فيها الحجاج على أمور حدسية خاصة، يصعب توصيل مضمونها الحجاجي إلى المخاطب، وبالتالي يكون إبرازها إليه ضربا من التعمية، حيث إنّ التعمية والغموض من الأمور التي تدعم العناصر المضادة لكل حجاج جاد، فلابد من محاربتها ومحاولة التغلّب عليها"[1].

كذلك قد يرتبط الحجاج بالبلاغة، أشدّ الارتباط؛ فقد عرف اليونان القدامى الحجاج بالبلاغة؛ وهما يظهران كأنّهما مترادفان، بحيث يمكن إحلال أحدهما مكان الآخر. وفي بعضها نجد أنّ مصطلح " **البلاغة غير موجود**"، على الأقل في بعض الحالات. وذلك لكيلا يفهم أنّ الحجاج مختزل في آليات التعبير. وهناك نظريات في الحجاج نجد أن المصطلحين فيها متعايشين في علاقة غير ثابتة. والواقع أن التطور غير المستقر للبلاغة هو السبب الرئيس في هذه العلاقات المتعددة بين الحجاج والبلاغة. فإذا كانت هذه الأخيرة في أصولها كما عند أرسطو مثلا، تعتبر جزءا مهما أو على الأقل لها علاقة بمحتوى التواصل، فإنّها بعد ذلك قد تداعت لتصبح "**فنّ التعبير الجميل**"، أو آلية للفصاحة المهتمة بالشكل فقط" [2]. لكن سرعان ما سيعود هذا الترادف للوجود في العصر الحديث، بمعنى أكثر حيوية وتطور، بحيث يكون أكثر عمقا، خاصة مع نظرية البلاغة الجديدة، وما تحمله من دلالات لغوية. وعليه؛ **فالبلاغة والحجاج مظهران خطابيان** غير متعارضين، ومعرفتان متكاملتان متصلتان اتصال الفرع بالأصل والاحتمال بالحقيقة "[3].

(*) يميز بيرلمان بين الحوار Discussion والنقاشDébat: فالحوار تتم فيه مراعاة آراء ومواقف الطرف الآخر، لذلك فهو الكفيل بالوصول الى نتائج جيدة وحاسمة، لأنه عبارة عن "بحث جاد" في سبيل تبيان الحقيقة؛ أما النقاش؛ فهو سعي بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة، لإظهار فرضية ما على أنها هي الصواب المطلق وما سواها باطل، وبالتالي فهو لا يولي أهمية تذكر لآراء المخاطبين ومواقفهم".

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص119.

(2) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص15.

(3) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص9.

فالبلاغة تمثل منذ القدم وحتى عودتها من جديد في القرن العشرين، الاطار المثالي لنظريات الحجاج. فهي في جوهرها تأمّل شامل حول الطريقة التي تبدأ من اكتشاف حجة ما وحتى قبولها، أو رفضها من متلقّيها "[1].

د/-التوجّهات البلاغية الثلاثة للحجاج:

لقد سلك الحجاج عبر مراحل تطوره، ثلاثة توجهات بلاغية أو أكثر، ذلك بأنّ نشأته كانت بلاغية لسانية لغوية بالدرجة الأولى، ونقصد بهذه التوجهات، هي الفترة الأكثر تقدّما من الحضارة الإنسانية، وهي الحضارة العربية الإسلامية التي شهدت فيها نظرية الحجاج مراحل التقعيد الحقيقي لها، وليس انتظار العصر الحديث المتأخّر الذي يروج فيه على أنّ الزميلين برلمان وتيتكا هما من أبدعا هذه النظرية الحجاجية على المستوى الفلسفي.

ففي التراث العربي الإسلامي، سيهتم أبو عمرو عثمان المعروف **بالجاحظ**(في سياق حضاري ساخن، وبسند كلامي مذهبي، باستراتيجية التبليغ ونجاعة الخطاب. إذ ركّز مشروعه البلاغي على الإفهام والإقناع، وما يقتضيانه من مراعاة للمقام، وتكييف للغة خدمة للتواصل والتأثير"[2]. ويكون توجّهه البلاغي الخطابي له تأثير كبير في صياغة نظرية بلاغية جديدة للحجاج. وبميول مذهبي واضح، سيبني **إسحاق بن وهب** مشروعه في البيان المعرفي، ويكون توجّهه البلاغي البياني ظاهرا وواضحا إذ القول عملية عقلية تنهض على الحجة، وتقتضي الاعتقاد والاعتبار. وعلى خلفية استدلالية، سيهتم **السكاكي** " في مفتاح العلومّ، مشروعه لبلاغة تداولية، ومقصدية، تهتم بالمقام والمستمع"[3]. وهو ما يعرف بالتوجّه البلاغي المنطقي لتأسيس نظرية منطقية في الحجاج اللغوي.

مرحلة القراءة النقدية:

الحدث الجاحظي كان وراء إرساء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج والجدل المنطقي بدلا من القتل والعراك، وتعطي لأول مرة في تاريخ النقد العربي مكانة للحدث الكلامي من جهة وللمتكلم من جهة ثانية بوصفه المبدع للخطاب، على اعتبار أن عملية الإبداع والتأليف ليست سهلة، بل تتضمن الى جانب المعايير المعرفية عوامل أخرى نفسية واجتماعية ومقامية متعددة .وهو يرى أن أهم قضايا التفكير البلاغي حتى القرن السادس يمكن أن تتلخص تحت

---

(1) فيليب بروتون، المرجع نفسه، ص17.

(2) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، ط1، 2013م، بيروت –لبنان، ص120

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثلاثة أقسام كبرى: المفاهيم والمنهج والإجراء .ويقصد بالمفاهيم "... جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم ماهيته وسعي القائمين عليه الى إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها أدق أبعاده الأصولية، ومن أهم هذه المفاهيم ثنائيتا الحقيقة والمجاز –البلاغة والفصاحة، على اعتبار أن الثنائية الأولى ترجع الى التمييز بين الخطابين الأدبي وغيره، كما يتصل بها التصرف في الأساليب وطرق الصياغة غير المباشرة التي يتطلب فهمها إعمال الذهن"[1].من هنا كان لزاما على مرسلي الخطابات –نقادا ومبدعين ومتكلمين-التسلح بعدة آليات حجاجية يتم تأسيس النصوص عليها، بحيث تشكّل بؤرا دلالية تجذب القرّاء والمؤوّلين، وتلعب دورا مهما في التوليد المعنوي"[2].

فمن أهداف التأويل أن يتحوّل القراء الأكفاء في نهاية عملية التواصل مع المبدعات إلى مؤلفين، مثلما كان المؤلفون قراء، ومن ثم يكون التأويل والتفسير المقدمان جزئين لا يتجزّآن من تاريخ النص ودلالته العامة"[3].

والآن؛ ننتقل للحديث عن الحجاج البلاغي الأرسطي، وهو الموضوع الأهم في هذه الدراسة، حيث سنعرف مدى مساهمة الفلسفة اليونانية عموما، والفلسفة الآرسطية، خاصة، في ظهور وتطور نظرية الحجاج الفلسفي.

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص272-273.

(2) المرجع نفسه، ص62.

(3) المرجع نفسه، ص62.

رابعا /-الحجاج البلاغي الأرسطي:

أ/-الحجاج في الفترة اليونانية القديمة:

عرف الكثير من فلاسفة اليونان القدامى ممارسات حجاجية عديدة، مكنتهم من التنظير لفنون الجدل والحوار، والخطابة وأدبيات المناظرة، على رأسهم السفسطائيين أهل الجدل والمغالطات، فهم أول من أنزلوا الفلسفة من السماء إلى الأرض عن طريق الاهتمام بالإنسان، فهو بالنسبة لزعيمهم بروتاغوراس(**Protagoras**)(**480-408**)ق.م مقياس كلّ شيء"[1]، والموجود هو موجود، واللاموجود هو اللاموجود في نظر زعيمهم جورجياس، ومن هنا يتبين لنا مدى اهتمام هؤلاء بالإنسان، لاسيما في تواصله بالأخر، حيث عمدوا إلى توجيه عنايتهم به إلى ممارسة فن من فنون الجدل والحوار، تمثلت في المفارقات أو أدبيات الجدل من أجل كسب قوت يومهم، عرفت بمفارقات المحامي التي أسسها بروتاغوراس، ومعناها أنّ السفسطائي يعلّم الناس فن الجدل والمغالطة مقابل أجر يحصل عليه المعلم، لكن لا تنتهي عملية التعلّم إلى هذا الحد، وإنما يشترط على المتعلّم في حالة ما إذا تحصّل على عمل أن يدفع للمعلّم أيضا أجر الحصول على الوظيفة، وهكذا يبقى المتعلّم بين المطرقة والسندان، أي بين حالتين، في كليهما سيدفع المتعلّم للمعلم أجر التعلّم مع أجر الحصول على الوظيفة، وهنا كانت المغالطة، قلّما يتخلّص منها المتعلّم.

لقد ظلّت هذه الطريقة في التعلّم مسيطرة على الوضعية، إلى أن قام سقراط بحلّ اللغز وإنهاء أسلوب المفارقة أي: فضح مغالطات السفسطائيين، عن طريق استحداث منهج فلسفي جديد في الحوار والجدل، عُرِف بأسلوب التوليد والتهكّم"[2]،معلنا عن ميلاد **الخطابة**(**Rhétorique**) خلال الفترة اليونانية، والتي على نهجها واصل تلميذه أفلاطون في توضيح معالم أستاذه سقراط، تجسّدت في شكل محاوراته الشهيرة (بلغت **36** محاورة)، كلّها كانت تعني شخصية سقراط في معرفة الحقيقة الفلسفية، ومهما كان الحال، فإنّ هذه التطورات في طريقة الخطابة، مهّدت لها ظروف فكرية وثقافية وأخلاقية للتنظير لها وجعلها القاعدة الصلبة قامت عليها الفلسفة اليونانية ككل. ولا أدل على ذلك ما سنعرضه من دلائل منها مجهودات أيقونة الفكر الفلسفي اليوناني وهو **أرسطو طاليس**(**Aristote**)، وتحديدا سوف نكشف إسهاماته فيما تعلّق بموضوع البلاغة وعلاقتها بالحجاج الجدلي.

---

(1) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص23..

(2) المرجع نفسه، ص23.

وفي ضوء الطرح الأفلاطوني تحدد موقف الكثير من المفكرين في الغرب طوال قرون من الخطابة، بما هي ممارسة لقول حجاجي، وبناء لمعرفة في مجال القيم"[1]. ومن هذا المنطلق؛ نقول بأنّ الخطابة هي قول التفاعل بين الإنسان والإنسان بالقياس إلى الأقاويل الأخرى، التي يهتمّ فيها أصحابها بفحص جوانب مختلفة من الوجود، وبالأخص الجانب الكلامي الإقناعي القائم على مقدمة ونتيجة.

ومن مستلزمات هذا التصور؛ ألا يكون الهدف المقصود من الحجاج فحص الأفكار أو المواقف والبحث عن أقربها إلى الصواب بل التفاعل بين الإنسان، والإنسان وبلوغ المقاصد المرسومة مسبقا لحركة الحجاج"[2].

ومع العلم بأنّ السفسطائيين كانوا يمارسون سلطة الحجاج ويقصدون بذلك الحصول على سلطة في المجتمع، وكانوا يعلّمون الشباب مسالك الاقتدار على الخطابة ويهيئونهم بذلك للسلطة"[3]. لذلك كانت الفتنة بالحجاج السفسطائي مبدأ المحاورة والمحاورة المضادة. مثلما وقع للشاب "فيدر" الذي كان معجبا بالسفسطائي، في إحضار الحجة وجمال أسلوبه، حتى أنشأ سقراط نصّا أول حاكى فيه بعض حجاج "**لينرباس**( )" للخروج من الرأي الشائع إلى ما يريد أن يستدرج سامعه إليه"[4]. والحقيقة أنّ فلاسفة اليونان اعتمدوا في حواراتهم على الحجة والحجة المضادة وفق أسلوب استدراج الخصم، ليس بنية الإقناع والتأثير، وإنّما الإيقاع في الخطأ، وما وصلنا عن السفسطة من مغالطات هي من صنيع خصومهم، وعلى رأسهم أفلاطون. فصناعة القول الحقيقية تستدعي حصول شرطين حسبه، وهما:

أمّا الشرط الأول: فهو معرفة منتج القول للحقيقة؛ فقد قال **سقراط Socrate**:"صناعة الأقاويل ليست حينئذ يا صديقي إن كنّا نجهل للحقيقة ونتّبع الظن سوى صناعة تستثير السّخرية"[5]. والمعنى المقصود حول طابع الجدل اليوناني، يشير إليه على أنه كان عبارة عن صناعة أقاويل بعيدة كلّ البعد عن نية القائل في تقصّي الحقيقة، بقدر ما يريد إظهار الغلبة فقط على الخصم، وعليه فصناعة القول الحقيقية لابد أن تكون لها غاية نبيلة لكي تقنع الخصم والتأثير فيه، وإلاّ لما كان هناك إقناع فعلي، وهذا ما جعل سقراط يؤسّس

---

(1) حمادي صمود، المرجع نفسه، ص53.

(2) المرجع نفسه، ص59.

(3) المرجع نفسه، ص61.

(4) المرجع نفسه، ص 69.

(5) المرجع نفسه، ص74.

لفكرة التعريف المنطقي في مجادلة الخصوم، حتى لا تكون ألاعيب لفظية تشوّش على الآخر فهم القول المقصود.

وأمّا الشرط الثاني: فهو قدرة منتج القول على جعل قوله نظاما مكتملا، لذلك قال سقراط: «كل خطاب ينبغي أن يسوّى كما الكائن الحي بجسم خاص به فلا يكون دون رأس أو رجلين، ينبغي أن يكون له وسط وأطراف تناسب بقية أجزائه. فحركة القول في النص ينبغي أن تزاوج في نظر أفلاطون حركة الفكر في تفريغ لوازم الحقيقة المدروسة"[1].

وفيما يخصّ هذا الشرط، فهو صريح إلى درجة أنّ ثمّة تكاملا في خطاب القائل، بين المعنى والمبنى في حركة القول، حتى ننتج حقيقة من خلال الخطاب الموجّه للآخر، أي هناك هدف مقصود من توجيه القول يحصل فيه الانسجام بين ظاهره وباطنه، فلا تكن فيه مغالطة أو التباس أو غموض في اللفظ. ويكفي الإشارة هنا، إلى أنّ الحجاج اليوناني كان يعتمد الأساليب الإنشائية، بدليل اهتمامهم بالقول والدليل من أجل الحصول على الحقيقة"[2].

ومع أرسطو؛ كان لهذا الموضوع شأن آخر. بحيث تبدأ بوادر التقعيد لأساليب الكلام معه، من خلال كتابه الخطابة، وهذا يؤكد مرة أخرى اهتمام فلاسفة اليونان ككل باللغة الحجاجية التي كانت لها أهمية بالغة عند السفسطائيين أولا، وعليه يكون لزاما أن نخصص مبحثا كاملا لمساهمة هذه المدرسة في تطوير نظرية الحجاج، حتى نعرف البداية الحقيقية لتعلّم فن الخطابة، وأساليب الجدل والحوار والتواصل، ومعرفة مدى مساهمة اللغة في الوصول إلى استحداث وسائل الإقناع والتأثير، من خلال وظيفتها التواصلية، والاجتماعية. فقد كان لها تأثيرا مميزا في المناظرات التي كانت تقام على شرف التعريف بقضايا العصر اليوناني، والتعبير عنها في محاورات تركها لنا الفلاسفة لتكون شاهدة على رقي اللغة في صناعة فكرة المجتمع اليوناني وتعامله مع قضاياه، وقد نقلت إلينا في شكل حكم وأمثال.

إنّ ما يهمّنا؛ هو التركيز أكثر على الفلاسفة المهتمين بتطوير نظرية الحجاج عند اليونان القدامى، لذلك ينبغي أن نبدأ من اهتمام السفسطائيين باللغة الحجاجية قبل أن نمر مرور الكرام إلى الأقطاب الثلاثة (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، وحتى تعمّ الفائدة أكثر، ويكون الموضوع أشمل.

---

(1) المرجع نفسه، ص74.

(2) المرجع نفسه، ص74.

ب/-الحجاج عند السفسطائيين :

إنّ إسهام السفسطائيين في نظرية الحجاج تبقى جوهرية، فلقد وضعوا على سبيل المثال، نظاما لاستخدام محسنات التأطير(**Figures de cadrage**) التي تسمح بتقديم وجهة نظر، أو تصويب رؤية، أو ميزة لموضوع، أو لرأي ما"[1]، إلى أن دخلت النظريات الأولى للحجاج، سريعا في الرهانات التي نتجت من النقاشات الفكرية الحادة، التي كانت تتميز بها أثينا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. فالسفسطائيون أو الحكماء استولوا على البلاغة، وأدخلوها في مدوّنة أوسع من المعارف، وكانوا أول من وضع نظرية لقوة الكلام. وقد قاموا بذلك من خلال الاهتمام بجمالية وقدرة اللغة الاقناعية، وبالنظر للكائن الإنساني ككل يحتويه القول. وهذا ما يساعد على فهم النص الوحيد المحفوظ للسفسطائي الأول بروتاغوراس **دابدير** (**d'Abdère Protagoras**)، الذي يقول فيه:" إنّ الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء: تلك التي لها وجود، وتلك التي ليس لها ماهية ليس لها وجود"[2]. ولأجله؛ لم يكتف السفسطائيون بأن يكونوا منظرين أو مفكرين، وإنما:" اختاروا أن يكونوا معلمين محترفين، غرباء متنقلين، يتاجرون بحكمتهم وثقافتهم وقدراتهم، ولكنهم في الوقت ذاته كانوا أشخاصا لهم قوة، يعرفون كيف يقنعون القضاة، وكيف يغيّرون رأي الجموع، وكيف يؤدون المهام على أفضل وجه، وكيف يضعون القوانين لمدينة جديدة، وكيف يؤهلون الناس"[3] في وظائفهم، وإن كان هذا الفعل يشوّه سمعتهم، ويقوّي حجة خصومهم في الإثارة عليهم؛ فقد حملوا هذا الفعل صورة سيئة عنهم، وإن كانوا هم أرباب الجدل والخطابة.

ولا أدلّ على ذلك جهود بروديكوس دو سيوس(**Prodicos de Céos**:460-465)، وهو أحد أشهر السفسطائيين، يذهب من مدينة إلى أخرى لإعطاء الدروس، يقول عنه جان فوالكان(JeanVoilquin):" **كان يطلب خمسين دراخمة للدرس الكامل عن ملاءمة المصطلحات في الأسلوب، ودراخمة واحدة للدروس المعدّة للاستخدام الشعبي العام... لم يكن عالما ولا فيلسوفا. لقد اكتفى بأن يكون بارعا في فن الكلام عن "معرفة" في الكثير من المواضيع. لقد اتخذ تخصصا في مسائل المفردات والنحو، وهي جزء مهم من البلاغة التي كان يعلمّها**"[4].

---

(1) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص24.

(2) المرجع نفسه، ص23.

(3) المرجع نفسه، ص23.

(4) المرجع نفسه، ص24

ويدعم هذا الموقف قول روبان**(Robin)**:" كان مشروعهم تسليح التلميذ، لمواجهة كل الصراعات الفكرية، أو الأحداث التي يمكن أن تحدث في الحياة الاجتماعية. فكان منهجهم أساسا هو تناقض الأفكار، ومعارضة الأطروحات المحتملة والمتعلقة ببعض المواضيع، أو الفرضيات، المعرّفة والمصنّفة كما ينبغي. لقد كان الهدف هو تعليم كيفية النقد والمناقشة وترتيب المناظرة بين العقول"[1].

وفي كلّ الأحوال، فإننا نشارك **روبان** وجهة نظره في أنّ سفسطائية القرن الخامس تمثل مجموعة من الجهود المستقلة للوفاء بحاجات متطابقة (Identiques) من خلال وسائل متماثلة(Analogues)، إنّها حاجات الزمان والمكان، حيث لكل مواطن موقع للمشاركة في إدارة أو تصريف شؤون المدينة، ولا يحتاج إلاّ للكلام لكي يتفوّق في فعله الشخصي؛ لذا، فإنّ هذا المواطن يحتاج للمربي الذي يعلمه فن النجاح الشخصي في الحياة الاجتماعية، وذلك بتجنيبه ضياع الوقت وخيبات التجربة. إنه هذا الفن الذي يعتبر السفسطائيون[*]من حيث المبدأ معلّميه؛ **إنّهم يدرسون علم النصيحة الجيّدة في العلاقات العامة والخاصة**"[2]. وربّما كان هذا مبررهم الوحيد للرّد على التّهم الموجهة إليهم، وما يحققونه من ثروة في سبيل ذلك، أي من باب حاجة المواطن إلى التعلّم للنجاح في حياته الخاصة والعامة معا. لذلك يعتبر السفسطائيون حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية، برزت في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد تميّز روادها بالكفاءة اللغوية البلاغية، ـوبالخبرة الجدلية، ويتجلّى ذلك من خلال تسميتهم التي كانت تعني الحكيم الخبير بكل فن وأسلوب"[3].

وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة القولية التواصلية خاصة، والحياة الفكرية اليونانية عامة؛ فقد كانوا يعقدون نقاشات فلسفية ذات منزع لغوي "توليدي" للأفكار، الأمر الذي أسفر عن اهتمام بالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية من ناحية، وأدى إلى تراكم معرفي كبير شكّل النواة لمعظم الدراسات القديمة، والحديثة للفلسفة اليونانية من ناحية ثانية؛ سواء في ذلك الدراسات التي دخلت متأخّرة. وقد نبعت شهرتهم البلاغية

---

(1) فيليب بروتون، المرجع نفسه، ص24.

(*) تعتبر السفسطة Sophisme "من هذا الباب؛ استدلال يقوم على التضليل، يتميز بصعوبة دحضه وبخدمته أهواء ومصالح المتكلم، الى جانب تدريسهم للنصيحة في العلاقات الفردية.

(2) المرجع نفسه، ص25.

(3) انظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف/حمادي صمود، منوبة، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب، ص51.

الخطابية من أنّهم "كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة **بالمدينة"**[1]، وفي القول ومآتيه؛ فكان بين هذين وأولئك نوعان من الحجاج:" حجاج في مسائل فلسفية مختلفة، وحجاج فيما ينبغي أن يكون به الحجاج؛ خطابان مختلفان ناشران لنظريتين مختلفتين إلى وضع القول في علاقته بمسألتي المعرفة والقيم الحاضنة للاجتماع الإنساني"[2].

وبالفعل؛ اهتم السفسطائيون ببنية كل من الكلمة والجملة، وبحثوا في السبل الممكنة التي بها يتحقق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، وقد استعانوا في سبيل تلك الغاية بخبرة بالغة في مقامات الناس والقول معا، وأيضا بآليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية، مما حتّم على محاوريهم التوسل بمناهج حجاجية مختلفة. وقد ظهر ذلك في منهج أفلاطون في محاورته المشهورة فيدر**Phèdre**، وكذلك أرسطو في مصنفاته المتعددة"[3].

ويشار في هذا المقام إلى أنّ السفسطائيين قد اهتموا إلى حد كبير ببلاغة القول ومتعلقاتها، حتى إنهم اتخذوها حرفة يلقنُونها أبناء الأعيان، وغيرهم من الراغبين فيها، وقد دفعهم هذا التوجّه إلى التركيز على "الخطابة"؛ فالمدينة وكذا المدنية، إنّما تؤسّسان في نظرهم، اعتمادا على بلاغة القول وأهل القول، وليس على أعمال أهل الصنائع والحرف"[4]. وإلى هنا علينا أن نتّخذ موقفا بخصوص إسهامات السفسطائيين، ودورهم في تطوير اللغة، كوسيلة لتعلّم الحجاج أو فن الجدل؛ **فهل هو سلوك سويّ له ما يبرّره في قصدية التعلّم، أم أننّا نبني سلبيات الممارسة الحجاجية عند السفسطائيين، بحكم أنّهم كانوا يهتمون بالثروة أكثر من اهتمامهم بنظرية المعرفة ؟**

خير دليل على صدق توجّههم، في تعلّم المواطن اليوناني آنذاك أساليب الجدل للدفاع عن حقوقه، فهو بذلك علم نافع، والشاهد الكبير على نجاح التعليم السفسطائي، هو تلميذهم سقراط البارع في ممارسة فن الإقناع وفق منهاج جديد، لم تعرف اليونان قبله. وهذا ما سنوضّحه في العنصر الآتي:

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص24.

(2) المرجع نفسه، ص24.

(3) المرجع نفسه، ص25.

(4) المرجع نفسه، ص25.

ج/-الحجاج في عصر سقراط:

في الواقع، إنّ سقراط-**Socrate**" لم يرفض البلاغة، لكنّه عرض توسيع دائرة استخدامها من جهة، وربطها بمناهج البحث عن الحقيقة من جهة أخرى. فعندما يعرّف فن البلاغة في "**فيدر**"، وهو نص مفصلي لعرض وجهة النظر، بأنّه: «امتلاك التأثير على الأنفس"(فيدر: **143**)؛ فإنّه يضيف أنّ هذا لا يتعلّق فقط بالخطابات التي توجّه في المحاكم، والاجتماعات العامة، وإنّما تلك التي تستخدم في الاجتماعات الخاصة"[1].

لقد أعطى سقراط، لفيدر "درسا في المنهجية". فشرح لصديقه الشاب أنه، لم يكن يستخدم الخطباء سوى تقنيات غير متقنة. وقد اقترح بداية "نهجين من المفيد أن يتيح لنا الفن اكتساب قوتهما"[2]. والمقصود هنا هو: أولا، التوليف(**Synthése**)، الذي يسمح بتجميع عناصر مشتتة في كلّ الجهات صوب شكل واحد، وثانيا، "التقسيم"(التحليل)، الذي يسمح بعملية "معاكسة"، وهي تقسيم العناصر باتباع ترابطها الطبيعي، وببذل ما في الوسع لعدم كسر أي جزء، خلافا لما يفعل الجزار السيء الذي يقطع قربانا"[3]. ومن يتبع هذه الطرق سيسمّى "جدليا-(**Dialecticien**). وبعد ذلك اقترح سقراط أن يتم اكمال هذا المنهج من خلال معرفة الجمهور المراد اقناعه"[4].

1/-توظيف سقراط لأسلوب السخرية:

لقد تقلّبت السّخرية[*] بين تحديدات عديدة، وخضعت لمقاربات متنوعة بتنوع التنظيرات التي انبثقت عنها، فمنذ نشأتها الأولى في حقل الفلسفة الإغريقية، أي انطلاقا من إعادة مساءلتها للحسّ المشترك مع الحكيم سقراط، ثم انتقالها من مجالها الأخلاق بهذا إلى البلاغي مع البلاغيين الرُّومان، لتقترن بالمفارقة الدلالية عند شيشرون وكينتليان، وليغدو هذا التضاد بين الفكرة والتعبير عنها، مرتكز لتحديدها بالنسبة للتقليد البلاغي الفرنسي بعد ذلك؛ مشفوعا بعناصر سياقية مع "**دومارسي**- » وأبعاد مجازية مع **فونتاني**- . ثم تطور مفهومها إلى أداة لمواجهة علماء العالم من قِبل الرومانسيين الأمان،

---

(1) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تر/ محمد صالح ناجي الغامدي، تاريخ نظريات الحجاج، ط1، 1432هـ-2011م، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص156.

(3) المرجع نفسه، ص 157.

(4) المرجع نفسه، ص26.

(*) ال سخريةEronie صورة بلاغية تقوم على المفارقة الدلالية، والتفاوت بين المعنيين الظاهر والمجازي.

بما يسمح به تعددها من عدم مطابقة القول لمعناه، ولما تخوّله من مسافة نقدية تجاه التعاقدات الاجتماعية وضوابط الحوار. لذلك اعتبروها برزخا فاصلا واصلا بين عالم منشود غير متحقق وواقع مفروض، يقوم السّاخر فيه بدور إدراك مفارقته، ونقائصه بوصفه "مصلحا" أخلاقيا"[1].

ولعلّ السّخرية بحكم كونها "الكلام الذي يذمّ مادحا ويمدح قادحا"، اعتبرت ثالثة في النوع البرهاني، وأحد أجناسه الدنيا المتفرعة عنه، لأنّها تجمع بين المدح والذمّ. فمقاربة السّخرية من وجهة الذمّ والمدح؛ يمنحها مدّا دلاليا ملتبسا، يسلّمها إلى عالم المعنى المزدوج، الذي يصلها بالملفوظ الشعري حينا، ويوقعها على الطرف النقيض من الخطاب الجاد حينا آخر، ويضعها في صميم الوجهة المفارقة الخارقة للمعنى المشترك"[2].

إنّ السّخرية من حيث هي حجة مفارقة مبنية على العلاقات العقلية الباحثة عن الحقيقة كما صنفتها البلاغة الغربية الكلاسيكية، وتعدد صوتي غائب عن علامات النص ومناقض لها، بحسب معظم المقاربات المعاصرة، وحجة شبه منطقية"[3] من منظور البلاغة الجديدة، قادرة على البحث في أصل المفاهيم والظواهر، لتقصي خصائصها الجوهرية، من جهة"[4]المكوّن البلاغي للسخرية، الذي يقوم على النظر إلى السخرية بوصفها تقنية خطاب...مبنية على "إثبات الشيء ونفيه، أو التعبير عن القول بضدّه، كما جاء في التعريف المثبت بكتاب" **La rhétorique Alexandre** " لصاحبه "**Anaximène**"المنسوب إلى أرسطو. فالسخرية عنده، تجمع بين التعريض، أي الأداة التي لا تصرّح بقوة شيء مع أنها تلفت الانتباه إليه، والقلب الدلالي المستعمل للكلمة بالشكل المناقض لمعناها الحقيقي والتقنيتان تمكنّان الخطيب من إنكار ما أثبته"[5] الخصم أو السّامع.

و**السخرية** بوصفها مجازا، "**يقول شيئا آخر غير ما يقصده المتلفظ**"[6]، ويوهم بالإيجاب حيث السلب العكس، ينقلها من مستوى الجملة إلى مستوى الخطاب، حيث لا يفي بقصدها وأبعاده إلا سياق القول.

---

(1) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص25.

(2) المرجع نفسه، ص31.

3-Perelman, et L,O,Tyteca, Traité de l'argumentation, p279 280

(4) المرجع نفسه، ص33

(5) المرجع نفسه، ص26

(6) المرجع نفسه، ص27.

لقد عمل كلّ من شيشرون" و"كينتيليان" على التفريق بين السخرية المفارقة دلاليا، قاعدتها التضاد؛ والسخرية المجازية، وأساسها التعبير عن شيء آخر غير ما يذهب إليه القول. ولعلّ اعتبارها مواراة للحقيقة والتظاهر بغيرها، كما جاءت عند **الإيرون**، أو ذمّا بما يشبه المدح، يخرجانها من مفهوم القلب الدلالي، الذي هو أضيق من أن يحدّد مجموع أنواع السّخرية"[1].

فالسخرية بوصفها شكل تفكير، يتجاوز إجراءات الخطاب (حالة السخرية الفلسفية)، مرورا بسخرية القلب الدلالي (التقليد البلاغي الروماني)، وصولا إلى اعتبارها تقنية خطابية ذات بعد تواصلي مفارق يميز بين المتكلّم والمتلفظ (تعدد الأصوات) أو بين المتكلم وكلامه (نظرية الصدى)[2]، أو احتمال نفس الملفوظ للإثبات والنفي، للحجّة والحجّة المضادة"[3]. أي؛ للسخرية قيمة حجاجية مضافة، نكتشفها من خلال الخصائص التي تتمتّع بها في طريقة الجدل أو الحوار بين الطرفين.

2-خصائص السخرية:

للسّخرية خصائص ظاهرة، وأخرى باطنة؛ لذلك يكون الأثر المفارق حجاجيا للسّخرية، حين يحدث لدى المتكلّم ازدواجية، تتأرجح بين القول ومناقضته بشكل متزامن، ويولّد من نفس الكلام، معنى مفارقا ناجما عن قيمتين حجاجيتين متعارضتين، تخرقان مبادئ الانسجام الخطابي العقلاني، القاضي بعدم الجمع بين الحجة السالبة والموجبة. وهو ما يصل هذا المنظور في مظهر من مظاهره بنظرية الصدى، بما أنّ المتكلّم يمثّل صوته ونقيض صداه[4]. والملاحظ أنّ "هذا التوجّه يركّز على المؤشرات الخطابية، كعلامات دالة على الأثر السّاخر، أكثر من السياق التلفظي الذي يبدو ضروريا، بالنسبة لنظرية تعدّد الأصوات"[5] في لفظ واحد.

ولعلّ نظرية الصدى باهتمامها المنصب أساسا على التلفظ بدل الملفوظ، تركز على البعد الهجين للسّخرية الذي سيتبلور بشكل دقيق مع المنظور المتعدد الأصوات للعالم اللغوي «يكرو-Ducrot؛ إذ العملية الحوارية السّاخرة عنده متميزة الإخراج «فالمتكلّم حين

---

(1) المرجع نفسه، ص169.

(2) المرجع نفسه، ص169.

(3) المرجع نفسه، ص25.

(4) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص29.

(5) المرجع نفسه، ص29.

ينطق ساخرا، فإنما يجعل التلفظ معبّرا عن موقف المتلفظ، هذا الموقف الذي يتبرّأ منه، بل يعتبره عبثا.. ومن ثمّة لا يتحمّل تبعاته"[1]. فإذا كان المتكلّم مسؤولا عن فعل القول-Le dire"، فإنّ المتلفظ مسؤول عن وجهة النظر المعمول بها أي المقوّل-Le dit"،تمييز ينطق بالمظهر المفارق للسخرية، لا يفسره إلا أثرها البالغ كلما ازدوجت وتفاوتت الأصوات وتفاوتت وجهات النظر"[2].

ولعلّ البعدين البلاغي والتداولي سيمتدان إلى تحديد "**فونتاني**"، إضافة إلى اهتمامه بجانبها الهزلي، يقول:" تقوم السخرية على قول عكس المُفكَّر به بواسطة الدعابة"[3]. وإذا كان تأكيده ملمحها الدعابي الذي لم تركز عليه التحديدات السابقة عليه، يولجها في أحكام القيمة، فإن نتيجة توسيعه مجال البحث فيها الممتد إلى الأعمال الأدبية التي اقتطف منها الشواهد المستدل بها لم يبقها حكرا على المخاطبات العامة كما عند شيشرون و كينتيليان، ولا على الحوارات الفلسفية كما هو الشأن عند الإغريق"[4].

وكخلاصة حول السخرية، نقول بأنَّ القيمة الحجاجية للسخرية متعددة الملامح، تتراوح بين تجاوز المألوف والتظاهر بين المواجهة(بما تثيره من انفعالات) والموازاة بين الهزل والجد"[5].وإن كان يُنظر إليها من باب الهزل والدعابة أثناء الجدل أو المغالبة من باب الترويح عن النفس، لبيان القدرة على الخصم، أو كمحاولة استفزازه وكشف المنفذ للإيقاع به، ومن ثم الاستسلام والإذعان للحجة المعاكسة أو المضادة. هي علامة على مرحلة الحسم والغلبة

د/-الحجاج في عصر أفلاطون:

أمّا **أفلاطون-Platon**؛ فبانتصاره لدواعي النظام والخضوع، ودفاعا عن العقل والحقيقة والأخلاق، سيواجه حجاج الظن والرأي والمنفعة، الذي شاع لدى السوفسطائيين. ذلك أنّ حلمه بدولة الفلاسفة، دفعه إلى ربط الإقناع بغايات الخير والعدل. ومن ثم ألحّ على ربط الخطابة بالفلسفة، حتى تتّصل بالمثل والفضيلة. مع أرسطو طاليس، ستتحقّق لبلاغة الإقناع شروط النضج، بحيث حوّل الإسهامات السابقة عليه. بشكل نقدي ليبنى أورجانونه"

1-Minuit, 1984 , p210Ducrot , Le dire et le dit, Paris, .

(2) أمينة الدهري، مرجع سبق ذكره، ص30.

(3)انظر بالتفصيل: ot, Stylistique de la prose,Belin,1993, p151 Herschberg Pierr

(4) المرجع نفسه، ص28.

(5) المرجع نفسه، ص34.

الحجاجي، الذي تتضافر فيه الأبعاد الجدلية والخطابية والتبكيتية"[1]. وهذا ما دفع بأفلاطون إلى ممارسة النقد الذي هاجم به نسبية السفسطائيين، حيث كان يرغب بجعل البلاغة أداة فكرية لخدمة البحث عن الحقيقة، وليس فقط آلية للإقناع بالآراء التي تتشكّل خارجها. و"الواقع أن نقد أفلاطون أصبح في النهاية مفيدا للبلاغة، إذ أثراها في طرقها وحججها الجديدة"[2].

ويتركز نقده للسفسطائيين كذلك، في اعتباره إيّاهم أدعياء على العلم والمعرفة، وأن ما يقدّمونه لا يعدو كونه نتائج ظنيّة مبعثها الهوى واللذة، وهي أمور ومفاهيم ضارة بالقيم والأخلاق واليقين والإيمان، إذ نجده يصرّح في محاورته المعروفة بـ(جورجياس) أنّ: "القول الخطابي(السفسطائي) لا ينحصر في جنس الخطابة، وإنما هو قول زئبقي يمكن له أن يتسلّل ليحرّر الخطابة من شرط تحديد الموضوع إلى فضاءات أجناس من القول أخرى،

فهو قول إثباتي غير جدلي لا يقوم على المساءلة، يعقده صاحبه على "الظنّ" لا على العلم، ويقصد به الإقناع، معتمدا في ذلك ما يوافق "اللذة"، لذة السّامع والقائل لا "الخير". فالخطابة السفسطائية، كما يبدو من محاورة جورجياس هي حجاج استهواء"[3]. وهذه الفكرة تفضي إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار، وذلك اعتمادا على توظيف سلطة القول-Force **du Langage**" في الاحتيال على الحقيقة والخير إذا كانا لا يخدمان غرض المحاجج. وتعتبر هاتان–**التوجيه** -**Orientation** والتوظيف **Fonctionnement** أيضا من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة"[4]. لأجل ذلك أفرد أفلاطون لمواجهة تلك الممارسات الحجاجية، محاورتين هما:(**جورجياس**) و(**فيدر**)، حيث نقد فيهما البلاغة السفسطائية بصورة عامة، واعتمد في نقده استراتيجية واحدة سمّاها هشام الريفي "استراتيجية الكشف[5]، لأنه-أي أفلاطون-رأى أن مقارعته لهم لم تعد على نحو معيّن كشفا للقناع عن أغاليطهم ومزاعمهم وتلاعباتهم اللغوية، التي يعلّمونها للناس مقابل غرض مادي معين.

---

(1) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص120.

(2) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص27.

(3) نقلا عن هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف، حمادي صمود، منوبة، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب. ص56

(4) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27.

(5) هشام الريفي، المرجع نفسه، ص62.

في محاورة "**جورجياس**" مثلا؛ نجده يحلّل "موضوع الخطابة في ضوء المقابلة بين العلم **Science**والظنّ **Opinion**، مؤكدا وجود إقناع: يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن، وهذا الثاني هو موضوع الخطابة السفسطائية. فالإقناع المعتمد على العلم مفيد، إذ يكتسب منه الإنسان معرفة. أمّا الظنّ فلقيامه على **الممكن –Probable** ، والمحتمل **Vraisemblable**، فهو لا يُكسب الإنسان معرفة، بل يُنشئ لديه اعتقادا**Croyance**"[1] خاطئا قائم على الظن والاحتمال، وعليه تكون المعرفة المكتسبة نسبية بعيدة عن اليقين العلمي.

لقد كان معظم النقد الذي وجّهه أفلاطون" إليهم، يدور حول " منطلق الحجاج ومقصده في ضوء قيمتي" الحق والخير،" وأراد بذلك جميعا أن يبيّن أنّ الحجاج السفسطائي لا يحرّر فكر الإنسان، ولا يحقق له ما به يكون "الخير"[2].وجملة القول إنّ أفلاطون في نقده لخطابة السفسطائيين لم يعالج الحجاج بما هو "صناعة قول"، وإن كان هذا البعد حاضرا في مشروعه بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع"[3].ونحن نقف موقف قدم من هذا النقد، على أنّ من صناعات السفسطائيين في الخطابة، هو إنتاج شخصية سقراط الحكيم وليد المدرسة التي علّمته قواعد الجدل والمناظرة ولا يمكن إنكار ذلك أبدا. وحتى أفلاطون نفسه، يعتبر امتدادا لهم أيضا؛ لأنّ الجدل في حد ذاته صناعة سفسطائية بدليل النظر والممارسة.

وهذا الرأي في **الخطابة** مباين لرأي تلميذه أرسطو، الذي ألحّ على هذه الصناعة، واعتبرها مدار الرقي والمدنية. لكننا نجد عند أفلاطون، تعريفا للخطابة، بأنّها صناعة قيادة النفوس بالقول، لكن إلى الحق والخير لكي تكون جميلة، لأنّ الجمال عنده قرين بالحقيقة، أمّا إذا كانت القيادة نحو الزينة والزخرف والظاهر، كما هو حال الخطابة السفسطائية فينظره، فإنها تكون قبيحة"[4]. لأنّها ترمي إلى غاية دنيئة، وهي تربية الناس على حبّ المادة والجاه، لا حبّ الخير للغير.

من هذا النقد؛ تتّضح لنا معالم التصوّر الأفلاطوني لصناعة الخطابة، وهو تصوّر بناه على ثلاثة أركان هي:" اعتماد المنهج الجدلي، ومعرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل،

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص27.

(2) هشام الريفي، المرجع السابق، ص72.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص28.

(4) المرجع نفسه، ص28.

ومعرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب"[1] اقناعية مدروسة، تكون قريبة من نفسية السّامع أو المتلقي.

ويلخّص **ريكور**-(-) المشكل قائلا:" إنّ الحجاج السفسطائي يزيف –حسب أفلاطون- استعمال القول، القول بما هو قول الأشياء في الوجود.. ويجعل بسلطة القول الأشياء الكبيرة، تبدو صغيرة والأشياء الصغيرة تبدو كبيرة، لقد شبّه أفلاطون الإنسان في حقيقته بالقول، من حيث قدسيته ومثاليته وترابط أجزائه، وجعل الفضيلة قوامه، وبنى على هذه الفرضية شرطين أساسيين استبعد بموجبهما الحجاج السفسطائي من دائرة الأهمية"[2] في بناء المعرفة على قواعد اللغة المنتجة للفكرة المفيدة، واستعمالها في معالجة أية مشكلة معرفية. فهناك شرطان هما أساس صناعة القول الحقيقية،"...الأول منهما معرفة منتج القول للحقيقة-لأنّ جهلها هنا مثير للسخرية-أما الثاني فهو قدرة منتج القول على جعل قوله نظاما مكتملا"[3].

إنّ شرط إنتاج القول يتوقف بهذه الطريقة على قدرة المتكلم على التأثير في السّامع، وبالمقابل جعله يقتنع بالقول، حين يعيد إنتاجه على نحو يبرهن فيه على مدى فهمه للقول الموجّه. وعليه يكون الشرط المنجز في الحالة الثانية ضرورية من الأولى. فربما يتحقق الشرط الأول في المتكلّم صاحب القول، ولا يفهمه السامع، بينما اكتمال الشرطين يكون بحصول شرط السامع الذي يفهم فيه قصدية المتكلّم من القول عن الأشياء. فقد قال سقراط:" **إنّ كل خطاب ينبغي أن يسوّي كما الكائن الحي بجسد خاص به رأس، وسط، أرجل، وهذا الشرط الثاني يرجع الى نظام الفكر في الحقيقة "**[4].

ومعنى القول؛ هو أنّ شرط اكتمال نظام الفكر لمعرفة مدى قدرة منتج القول على إيصال الفهم للسامع بطريقة معينة، مثله مثل الجسد الذي لكل عضو فيه وظيفة تكمّل الآخر، في عملية تواصلية، يحصل فيها التبليغ في تناسق جماعي تام.

---

(1) المرجع نفسه، ص30.

2Histoire et Vérité, op,cit,p"300 ,302.

(3) هشام الريفي، المرجع السابق، ص74.

(4) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص29.

-الحجاج كسخرية عند الرومان:

فـ " شيشرون" يعني بالسخرية القلب الدلالي، كما جاءت في "البلاغة إلى الإسكندر وبجانبها الدعابي، كما يجعلها مجال بحث المحادثات اليومية والخطابات العامة...وبالنسبة لعموم البلاغيين الرومان، لم يعد مقترنا بإيحاءات سلبية، كما كان عند الإغريق، بقدر ما صار محطّ إعجاب. فالاختلاف في تقويم هذه الشخصية راجع، لا محالة إلى تطور الضوابط الأخلاقية إضافة إلى إعجابه الشديد بسقراط". تضيف مقاربة "كينتيليان " إلى سابقتها معطى المجاز، أو نوعا منه، حيث يدرك عكس تقوّله الكلمات، فيسمى سخرية"[1].

اعتبر الحقل البلاغي بحكم الانتماء إلى أصوله الفلسفية الأولى، إثارة الأهواء حجة مضادة استخدمها السفسطائيون لنشر معارف يحكمها منطق الاحتمال البعيد عن صرامة الحقل وبرهنتها. فقد كانوا –بلا شك-يحكمون من أساليب الكلام وصناعته ما أهّلهم لاحتماء النفوس، ولا غرو، فالمعنى الاشتقاقي لـ(**Sophistes**) هو الحكيم والرجل ذو القدرة المتميزة، والواقع أنّ "فن التأثير" ظل عديل الاستهواء حتى زمن قريب، ولعلّه حدا بالمشروع البرلماني ربط التأثير "بموافقة العقول" بدل الأفئدة خلال تحديده للبلاغة الحجاجية، وتركيز بحثه على حجاجية الصور البلاغية أكثر من طبيعتها المجازية"[2].

ذلك أنّ "كينتليان" في" **Rhétorique a Hernius**(المنسوب إلى شيشرون)يقدم تعاليم للخطباء بخصوص ضرورة خوضهم في قضايا ذات شرعية جماعية، إضافة إلى وجوب تحاشيهم الإطالة وحشو الكلام في مقدمات خطبهم وحسن التخلص إلى ما يليها. وبما أنّ البلاغة في نظره-جامعة بين الإدراك واللغة، وهما الخاصيتان المميزتان للإنسان، فإنّه لا يمكنها أن تنحو سوى منحى الفضيلة. إذ الكلام الجيد لا يصدر إلاّ عن امرئ ذي خلق طيب، والعكس صحيح.

هذا يعني أنّ البلاغة الرومانية كانت تقع في قلب الفضيلة الاجتماعية، وان كان الإيتوس ببلوغه الصدارة، يسلّم المشعل الى مرحلة لاحقة عرفت بسيادة الخطاب الممتع المنمّق"[3].

---

(1) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص26.

(2) المرجع نفسه، ص138.

(3) المرجع نفسه، ص93.

ر/- مفهوم الحجاج عند أرسطو:

لعلّ الخطابة عند "**أرسطو**" بمثابة الحجاج، شأنه في ذلك شأن الجدل، وهنا يعتقد الكثير أنّ الحجاج اليوناني هو الجدل نفسه، المهم هو وجود طرفين متجادلين، أحدهما متكلّم والآخر سامع، وبينهما رسالة، والنتيجة غالب ومغلوب. لذلك فإنّ مفهوم الحجاج عنده يجد قاسما مشتركا بينه وبين الخطابة والجدل؛ ذلك أنّ الخطابة أو الريطوريقا (la rhétorique)، وهي بالمفهوم اليوناني مترجمة تعني «**فن الإقناع عن طريق الإقناع**"، وأنّ الوظيفة الإقناعية هي الوظيفة الأساسية، كما أكّد ذلك أبو نصر الفارابي في قوله:" الخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع"[1].

من هذا القول يكتشف القارئ مفهوم الحجاج عند اليونان على أنه فن الإقناع، لكنه يقوم على الجدل، وهو ما يشترط فيه إيجاد طريقة للتأثير في السامع، وهذه النقطة نشير إليها على أساس أنّ الحجاج المقصود يتجاوز طابع الجدل إلى طابع الحوار بالحجة. أي أنّ الحجاج لا يقتصر على طابع الجدل وحده، وإنما نريد أن تكون له مفاهيم تأسيسية أخرى تشترك جميعا فيوما نقصده هنا؛ هو أنّ الحجاج اليوناني في تلك الفترة قامت على أبجديات الجدل السفسطائي الموروث، إلى أن جاءت مرحلة أرسطو من خلال مدونته، وهي تضمّ مبحث السفسطة ثم الشعر ثم الجدل، والجديد الذي أضافه في هذا المجال جليّ وواضح، فقد عمد إلى تفصيل حيثيات الحجاج من خلال قوله: " **كما إنّ للجدل ضربين من الحجاج، هما الاستقراء والقياس الحقيقي أو الظاهري، فالأمر كذلك فيما يتّصل بالخطابة، لأنّ المثل استقراء، والضمير قياس ظاهر، وتبعا لذلك فإنّي أسمّي ضمير القياس الخطابي، وأسمّي المثل استقراء خطابي**" [2].

وتظهر العلاقة بين الحجاج والجدل عند أرسطو على أساس أنّ الأول ضرب من الثاني، وكأنّ أحدهما ظاهر والآخر باطن، من أجل تشكيل عام يسمّيه خطاب، الذي هو عبارة عن لفظ أو كلام موجّه قصد التأثير والإقناع، مستعملا أساليب بلاغية ودلالات لغوية استدلالية لا نريد التفصيل فيها. لذلك فإنّ الإجابة على الانتقادات الأخلاقية والفلسفية الموجهة

---

(1) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب/ أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الآداب، تونس، 1998، ص 142).

(2) المرجع نفسه، ص142.

للنظريات الأولى في الحجاج، قدّمها أرسطو(**384-322**) ق.م. فقد كانت تصوراته الجديدة تتعارض مع الآلية السفسطائية، ومع مسلماتها المجهزة سلفا، ومع إجراءاتها، ووقاحتها المستخدمة من قبل بعض مريديها"[1].

لذلك، أجرى أرسطو عملية فصل ثانية ميزته عن صُنّاع الكلام. وهكذا يطح الفيلسوف اليوناني بنفسه الهوة الموجودة بينهم:"**تيزياس**، بعد المؤسسين، ثم **ترازيماك**(**Trasymaque**) بعده، وبعد ذلك تيودور(**Theodore**) وآخرون كثر، قدّموا إسهاماتهم الخاصة. ولهذا فليس من المفاجئ أن هذا الفن قد اتسع كثيرا جدا"[2].

ومنذ أرسطو كان الحجاج البلاغي كما يتم تعريفه عبر مجالات تطبيقه، يختلف بشكل واضح عن أساليب الاقناع الخاصة بالخطاب العلمي. فهو يهتم بالعبارات أو بصفة عامة بلحظات التواصل التي تنتمي للحياة الاجتماعية، والدينية، والسياسية، سواء كان ذلك في الاطار العام أو في المحادثات الخاصة"[3]. حيث يرى أنَّ الحجاج لا يكتمل إلاّ إذا صار القارئ طرفا مشاركا في بناء القول وإكماله، وهو الأمر الذي عبّرت عنه جماعة التلقي بفكرة ملء القارئ فراغات النص بما يلائم المقام.

إنّ أفكار أرسطو هذه تدور حول استراتيجيتين، أولاهما: تعتمد الإخفاء ويكون المحاجج مصدرها، أما الثانية فتعتمد إظهار المضمر وتكون صادرة عن المحاجج الذي يحاول بواسطتها وعي المخفي بطريقة تتلاءم مع مسلكه الحجاجي"[4] .

وفي انتقاده للسفسطائيين نجده يركز على إنتاج الحجاج عندهم وما يتعلق به من آليات، وخاصة الشراكة القولية التي كانوا ينصبونها للإيقاع بخصومهم. فقد ذكر أنّ لحجاجهم خمسة أهداف: **التبكيت، والإيقاع في الخطأ**. وقام بصياغة أنماط من الحجاج المضاد لكلّ مغالطاتهم اعتمادا على منهج تفكيكي لأقوالهم للوقوف على خلطها، لأنّه يرى أن خطابهم مبني على أغاليط دلالية متنوعة يتمّ فيها أحيانا التلاعب بمعنى المقدمات، أو إحداها، كي

---

(1) هشام الريفي المرجع نفسه، ص 142.

(2) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص27

(3) المرجع نفسه، ص29 .

(4) المرجع نفسه، ص17. (راجع المقالة الثانية من تلخيص الخطابة لابن رشد، تحقيق بدوي، دار القلم، (د.ت).

(5) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص29

يكون القياس مخالفا للمتوقّع وموافقا لمآرب السفسطائي، الذي يعتمد بالأساس في حجاجه هذا على التفنن في توجيه اللغة"[1].

لقد أشار أرسطو إلى عمليتين تعتمدان في بناء الدلالة اللغوية في هذا النوع الحجاجي:".. فلإنجاز العملية الأولى يعتمد السفسطائي ثلاث وحدات لغوية تتميز بما تحمله وتنشئه من تعدد دلالي، وهذه الوحدات بعضها معجمي(الاسم المشترك) وبعضها صرفي(شكل اللفظ) والثالث فوق تقطيعي(النبر)"[2]، فبهذه يظهر السفسطائي حجاجه متناسقا رغم ما بداخله من عوامل التفكك والتناقض؛ أما لإنجاز العملية الثانية فيستخدم ما أسماه أرسطو "التركيب"، وبه يوهم السفسطائي بأنّ القول الصادق يجب أن تكون أجزاؤه صادقة ، ويتمكّن بناء على ذلك من إحداث انزلاق في الحكم الذي يتوافق مع هواه، وإن كان يخالف المقدمة الكبرى التي ركب عليها الحكم الصادق"[3].

وقد نبّه أرسطو من خلال بحوثه اللغوية البلاغية إلى قضية مهمة من قضايا الدلالة ذات صلة وثيقة بالحجاج، ألا وهي التعمّق والتصرف في قواعد التأويل الدلالي لتحقيق أغراض حجاجية. لأنّ التأويل؛ "هو في الحقيقة عملية حجاجية بالغة العمق، تتطلب التسلّح بعدة آليات معرفية يتمكّن المؤولون بواسطتها من استغلال ما في اللغة من علاقات دلالية، ومن التأكد من انسجام المعاني ولنتائج والصور المقدمة في النصوص النقدية والإبداعية والفنية عامة"[4].

أمّا الدعامة الثانية من دعائم الحجاج الأرسطي فتتمثل في البحث اللغوي في علاقته بالإنسان والوجود؛ فقد أكّد أرسطو أنّ الإنسان لا يحيا الا باللغة وأن إدراكه لذاته ولوسطه رهن بمدى وعيه للغة، ويلخص أوبانك (**Aubenque**) تصوّر أرسطو في قوله: «. **إنّ اللغة ليست ضرورية للتعبيرعن الشيء فحسب، بل هي ضرورية أيضا في بنائه** "[5].

والمتتبع للمفاهيم الأرسطية يلاحظ أن المفاهيم اللغوية التي يستعملها ذات دلالات وجودية عميقة، فضلا عن الطابع الرمزي الذي يضيفه هو عليها.

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص34.

(2) هشام الريفي، مرجع سابق، ص 227-237.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص35.

(4) المرجع نفسه،، ص35 -36 .

(5)Aubenque, Le problème de létre,op , cit, p132 133

يقول أرسطو حول السفسطائيين ودرء آلاعيبهم في الخطابة: « **ينبغي أن يكون الخطيب قادرا على إثبات المتضادات كلها في الحجج المنطقية، لا لأنه ينبغي علينا أن نبرهن على كل المتضادين**"[1]. إذ لا ينبغي أن نقنع الناس، بأن يفعلوا ما هو خطأ). ولكن من أجل أن نرى بوضوح ما هي الحقائق. وإذا حاجّ شخص آخر مُحاجة خاطئة فإننا نستطيع من جانبنا أن نفنّده، وليس يوجد فن آخر يستنتج نتائج متضاربة، وإنما الجدل والخطابة، وحدهما اللذان يفعلان ذلك"[2].

أمّا عن مراحل إنتاج القول الحجاجي عند أرسطو فهي ثلاث، وقد رتّبها بحسب تتاليها في زمن الإنشاء كما يلي: المرحلة الأولى، مرحلة البحث عن مواد الحجاج (مصادر الأدلة) [3]، والمرحلة الثانية، ترتيب أجزاء القول، أمّا المرحلة الثالثة فتتعلق بالأسلوب من حيث اختيار الألفاظ والمحسّنات؛ وقد أضاف مرحلة رابعة سمّاها "**Hipocrisis**"،وهي تتعلق بـ "الأخذ بالوجوه"[4]-حسب ترجمة ابن رشد- ويعني بها الوجوه التي على الممثل –أساسا- أو الخطيب أن يتبنها كي يصور جيدا الحالة التي يريد للمخاطبين إدراكها"[5].

أمّا الحجج التي يبنى بها الاستدلال الخطابي، وتلك التي تؤسس من خارج الاستدلال الخطابي، فتتعلّقان أساسا بالأقوال الباعثة على **تأسيس الخطاب** من جهة، وبالقضايا والمؤثرات النفسية المشاركة **في بناء الحجاج والإقناع** من جهة ثانية.

إنّ المطالع للتراث الأرسطي ليُلاحظ أنه سعى في تصوراته هذه لطرح بناء حجاجي جديد يكون فيه الإقناع والحجاج متقدّمين على عوامل التأثير التي عُنيَ بها السفسطائيون"[6]. بحيث، "يشتق الخطيب ما يحتاجه في حجاجه من مواد المقدمات الخاصة المناسبة لكل جنس من الأجناس الخطابية الثلاثة؛ فمن هذه المواضع ينشئ الخطيب"[*]. مواد حجاجه. ولا

---

(1) أرسطو، الخطابة، ص27-28.

(2) المصدر نفسه، ص27-28.

(3) المصدر نفسه، ص193.

(4) راجع: ابن رشد، تلخيص الخطابة، المقالة 03.

(5) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص56.

(6) المرجع نفسه، ص47.

(*) يسمي أرسطو بعضا من هذه المواضع بالمواضع المشتركة، وهي لا تعني عنده المعاني الجاهزة المستعملة، وإنما تعني مقدمات عامة تختزل أنساقا من علاقات الاقتضاء يبني منها الخطيب بحسب حاجته قضايا يجعلها مقدمات في نوع من الضمائر يكون حاضرا في نسيجه الحجاجي. ويختلف دور هذه المواضع المشتركة عن نظيراتها الخاصة، فكل منها تضطلع في الخطبة بدور معيّن في بناء الحجاج. إذ إنّ المواضع الخاصة تعدُ مقدمات عامة يشتق منها الخطيب ما يحتاجه من أدلة وأقوال مؤكدة تناسب كل مجموعة منها أحد الأجناس الثلاثة. فالمواضع إذن هي بمثابة المنجم الذي تستخرج منه مواد الحجاج. راجع: الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص290-295. وراجع أيضا ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص222-246.

تكون الموضوعات. صور معان متشكلة جاهزة للاستعمال. بل تكون جذورا تُبنى منها المعاني في حركة الدلالة التي لا نهاية لها"[1].

هذا؛ ويعتبر أرسطو كل ركن من أركان عملية التواصل (سواء على مستوى الكتابة أو المشافهة) عنصرا تصديقيا حجاجيا[*] له إطاره الإقناعي الخاص؛ وهذا ما جعل الحجاج الخطابي، عنده عملية تقوم فيها الحركة ".... الساعية إلى تحقيق الإقناع على جوانب متعددة بعضها صوري (أشكال الاستدلال)، وبعضها قيمي (المواضع الخاصة)، وبعضها الثالث اجتماعي (انفعالات المقول إليه). ومن هذه الجوانب نتبيّن أنّ القائل في هذا النمط الحجاجي يتورط ويورط المقول إليه (والتوريط هنا ليس بمعناه الاستهجاني). فالقول الخطابي (إذا، والذي هو) واسطة بين السامعين والعالم...يمثّل العمود في الحجاج، إذ يحتج فيه للحكم **Jugement** والحكم هو منتهى الخطبة "[2] وغايتها.

1/-علاقة الحجاج بالجدل والخطابة والبلاغة:

يقول أرسطو:" كما إنّ للجدل ضربين من الحجاج، هما الاستقراء والقياس الحقيقي أو الظاهري، فالأمر كذلك فيما يتّصل بالخطابة، لأنّ المثل استقراء، والضمير قياس ظاهر، وتبعا لذلك فإنّي أسمّي ضمير القياس الخطابي، وأسمّي المثل استقراء خطابي"[3] .

تعود **علاقة الخطابة بالجدل عند أرسطو** من جهة نوعية الحجج التي تجعل الخطابة كما يعتقد أرسطو نفسها فرعا من الجدل. وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج: (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس) في علاقتها بالفعل الخطابي: **الخطيب، المستمع، الخطاب.**

1/-الإيتوس(ethos)"الخطيب/ الباث/ المتكلّم: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه.

---

(1) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص288-289.

(*) يعتبر تعبير "المتكلم أو القائل" عند أرسطو مفهوما يقترب من " أفق الانتظار"، فهو صيغ وأفكار يُضيفها الخطيب إلى شخصيته ليحرز بها القبول لنفسه ولخطابه. وقد عبّر أرسطو عما يصدر عنه من كلام بأنّه "... ضرب من الإقناع مثل سائر الضروب ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم لا عن طريق ما يظنّه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم. (وإن كان) الخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة... فخلقه ينبغي أن يعد أقوى عناصر الإقناع لديه". أنظر: أرسطو، الخطابة ص30

(2) هشام الريفي، المرجع نفسه، ص145.

(3) أرسطو، الخطابة، تر/ عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1986م-1356، نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص17).

2/-الباتوس(pathos) "المستمع/ المتلقي: ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

3/-اللوغوس(logos)"الرسالة/ الخطبة: ويمثل الحجاج المنطقي الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي"[1].

على هذه الثلاثية بدأت تظهر معالم الحجاج الفلسفي، أي وجود فعل خطابي ثلاثي وليس ثنائي، فإلى جانب وجود متكلم وسامع متلقي،

إنّ الإيتوس: Ethos» يمثل صورة الخطيب المتمثلة في قدرته الإقناعية؛ والتي يفترض أن يفصح عن خطابه، إضافة إلى الصورة التي يحركها له المتخيل الجماعي؛ كلتاهما تمنحه مشروعية القول، فالأولى: خطابية موروثة عن التصور الأرسطي، والثانية قبلية سابقة للخطاب، عملت على تطويرها كل من البلاغتين اللاتينية والعربية فيما بعد.

وأمّا الباتوس:Pathos "؛ فهو الجمهور المتلقي لخطاب الخطيب؛ ومكمن ممارسة تأثيره وإثارة الانفعال وتحريك الأهواء بهدف إيقاع الإقناع. للجمهور أو المخاطب صورتان: فعلية قائمة الواقع، وأخرى افتراضية يكونها عنه الخطيب، وفي كلتيهما يأخذ بالاعتبار قيمه ومعتقده"[2].

إنّ أرسطو، حين يتحدث عن الإيتوس، فإنه يذكر "**خاصيته الأخلاقية**"، باعتبارها وسيلة إقناعية إذا ما استطاع خطابه الإيحاء بالثقة إلى مخاطبيه، بما أنّ الإنسان اعتاد على الوثوق بالآخر بخصوص القضايا الإشكالية والدقيقة "[3].

الخطاب البلاغي الأرسطي

شرح للعلاقة بين اللوغس والايتوس والباتوس

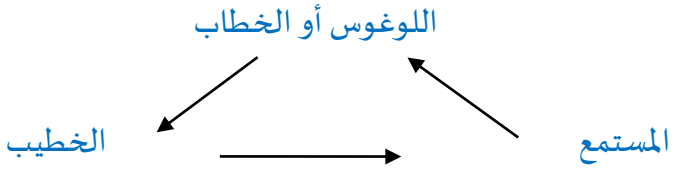

(1) المصدر نفسه، ص 17.

(2) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 15-18.

(3) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص92.

الشرح:

تتميز هذه التركيبة الثلاثية (التقليدية من حيث تداولها من قبل مختلف التوجهات المنهجية بصيغ الإرسال أو الإلقاء أو التلفّظ.) بازدواجية كل عنصر (الفعلي والإسقاطي) لتراوحه بين الواقع والواقع المفترض، وبصوغها لنسيج العلاقات الآتية:

1-علاقة اللوغوس بالإيتوس:

تشكّل مجال تكوين صورة الخطيب، ممثل القيم فعليا أو ظاهريا، حتى لا ينشق جانباها الخِطابي والخَطَابي. ومبتدأ طرحه للقضية مكمن اختلافه مع المخاطب. فالخطاب؛ في هذه المرحلة يجلي تصور المتكلم ويوجّه الحجج بحسب القصد وجهة معيّنة".

2-علاقة الخطيب بالمستمع:

تتسم ببسط الخطاب للمسافة الفاصلة بينهما، وتسوق العملية التواصلية نحو الاعتقاد بالقضية موضوع المُحاجة، أو تعديل رأيه بصددها، والخطاب في الحالتين يحثّ على العمل بمقترحه، ويفرز بعدا تفاعليا، بالضرورة بما أنّ مجال القول هنا ليس إلزاميا أو أنه يبدو كذلك"[1].

3-علاقة المستمع باللوغوس:

تتعلّق بمرحلة دمج أسئلة المتلقي بأجوبة تكون إيذانا بطرح أسئلة أخرى، فالمعنى الحرفي يعادل الإشكال الأصلي، والمعنى المجازي يفترض إشكالات غير منتهية. بمعنى أنّ اللوغوس الفعلي يُقنع عبر الإجابة الواضحة، فيما يعمل اللوغوس الإسقاطي على إعادة المساءلة.

والملاحظ أنّ الخطاب ينهض في كل مرحلة بوظيفة معينة، فإذا كان موجّها وتفاعليا في العلاقتين الوليين، فإنه نسقي في الموالية لهما. يعمل على انسجام بنيته الداخلية، ومساره الاستدلالي (توافق مقدماته ونتائجه). إنّ **مفهوم اللوغوس الحجاجي**، على هذا لا تحدده قواعد وتصنيفات الحجج المعطاة فحسب، وإنّما تأصُله –أيضا-في حتمية السؤال الملازم للإنسان عن ذاته والعالم من حوله، وبتفاعلاته الخطابية المشروطة بسياقاتها"[2].

---

(1) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص22.

(2) المرجع نفسه، ص22.

2/_طبيعة اللوغس أو الخطاب:

كما جاء في قول بيرلمان وتيتكا الآتي:" نقصد بالحجاج المؤثر، ذلك المتوجّه الى مستمع خاص، وبالإقناعي المصوّب نحو كائن عاقل. فالفرق دقيق، ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساسا. فلا غرابة أن يقع اللوغوس في الحدود المتاخمة لكل من الجدل والبلاغة، وفي التفاوت بين جانبيه "الفعلي والإسقاطي"، وما لهما من أثر في كثير من الخلافات بين المجتمعات الإنسانية "[1].

إنّ اللوغوس"Logos "مكمن الإفصاح عن هذه الاختلافات بين الأطراف المتناظرة، ومساحة عقد وحلّ قد تتخذ صيغا شتّى: فقد تكون إشكالات تستلزم أجوبة محددة، وقد تقود إلى أسئلة مسكون عنها، وقد تستجلب أخرى مغايرة للتي ولدتها؛ فثنائية السؤال والجواب ملازمة لطبيعة اللوغوس، متجذّرة في تفاعلاته الحوارية"[2]. فهو الخطاب أو اللغة أو المعرفة النسقية...محدد إحدى وظائفه الأساسية في ترجمة القضية محور الاختلاف بين الأطراف المتخاطبة، وتقليص المسافة الفاصلة بينهما أو الزيادة فيها، ومن ثمة تلازم أبعاده التفاعلية والاستدلالية والسياقية"[3].

إنّه إذن، أو مقابلاته التقريبية من لغة Langage، أو خطاب Discours،أو عقل Raison،يقوم على تراكب مستويين، يستند أحدهما إلى نسق موجّه من التقنيات الحجاجية وشروط استعمالها، فمنها المتصلة والمنفصلة، البانية للواقع والمبنية عليه"[4]. لذلك؛ يتعيّن وجود رابطة منطقية بينهما، وهي الرسالة، ونعني بها النص الحجاجي وهو الأهم في الخطاب الفلسفي، وكأنّه نقلة نوعية من حجاج كلامي مقروء أو مسموع إلى حجاج نصي كتابي، تبرز لنا فيما بعد خطابات جديدة مع تعدد القراءات وفهم الذوات. وينظر في الحجاج الفلسفي الجديد في قصدية ما هو مكتوب بعدما كان ينظر إلى الأقوال. وهذا هو المطلوب من البحث في علاقة الحجاج اللغوي بالخطاب الفلسفي، وفيه إعلان عن ميلاد نظريات للحجاج وتصنيفات جديدة في فن الإقناع والتأثير على نطاق أوسع مما عرفته الفلسفة اليونانية.

إذن؛ **البلاغة الحجاجية** عرفت مع أرسطو، حيث يرجع تركيزه إلى الوظيفة الاقناعية للمتكلّم أو الخطيب/ الباث، من منطلق الجدل وهو ما يعرف اليوم بالتواصل، لذلك يطلق عليه اسم "أب الحجاج"، قبل أن تصبح ما هي عليه اليوم.

---

(1) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص21.
(2) المرجع نفسه، ص170.
(3) المرجع نفسه، ص21.
(4) المرجع نفسه، ص21

بعدها نعود للحديث عن الحجاج الفلسفي التداولي كونه فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو بطلان الرأي المعترض عليه استنادا إلى مواضعات البحث عن الحقيقة الفلسفية. ممّا يجعل الحجاج الفلسفي التداولي هنا يتواجه فيه "عارض" و"معترض"، ويتوجّه فيه كلّ منهما بآليات إقناعية خاصة، علما بأنّ تغيير شيء ما بهدف مقصود هو ما يصطلح عليه باسم الفعل. وما دام التغيير التصديقي أو الاعتقادي متبادلا بين المتقابلين في الحجاج الفلسفي؛ فإنّ هذا الحجاج يتحدّد بوصفه عملية "مفاعلة "[1].

وإذا عدنا لموضوع الخطابة عند أرسطو، فنقول بأنها "صناعة مدارها إنتاج قول تبنى به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنّها علاقة بين طرفين تتأسّس على اللغة والخطاب. يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثّر في الطرف المقابل... ويثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا"[2].

ومنه فالخطابة في معناها العميق تعني إمكانية قيام فضاء التعامل بين الناس على أساس اعتبار الآخر سبيلا إلى الأنا بعمق اكتشاف الاختلاف معه المعرفة بالذات والوقوف على تخومها. وعلى أساس ما يترتّب عن الاختلاف من تعدّد الرؤى وتباين المواقف، يحمل على إقناع الواحد بسلطة الحجة والبراعة في تصريف اللغة"[3]. وللتذكير فإن منطق القول عند أرسطو، يرتكز أساسا على تصنيف الكلام في العمق، وفق تصنيف الناس، والدليل في قوله:" من الناس صنفا ليس ينبغي أن نستعمل فيما بيننا وبينهم العمل الصحيح المستقصى، لأنه يسهل علينا أن نقنع المتكلّم من مذهبه وطريقه، وذلك أنّ الكلام الذي يحمل على العلم المستقصى إنما هو التعليم. وهذا مما لا يمكن تكلفه في تلك الحال، لكنا قد نضطر إلى أن نجعل التصديق والكلام المشتركين بيننا وبين المخاطب كالذي وصفنا **في كتاب "طوبيقا"**[4].

وها هو أرسطو؛ يدقق حتى في أصناف التصديقات، كما يقول:<< فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت. فأما بالكيفية والسّمت؛ فإن يكون الكلام بنحو يجعل المتكلّم أهلا أن يصدق ويقبل قوله. والصالحون هم المصدقون سريعا بالأكثر في جميع الأمور الظاهرة..>>[5]

---

(1) طه عبد الرحمان، أصول الحوار، ص66.

(2) حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج، ص 12.

(3) المرجع نفسه، ص 47.

(4) أرسطو، الخطابة، ص7.

(5) المصدر نفسه، ص10.

ثم يواصل القول:" **وأما بتهيئة السامع فحين يستميله الكلام إلى شيء من الآلام المعترية، فإنه ليس إعطاؤنا الأحكام في حال الفرح والحزن ومع المحبة والبغضة سواء، وذلك هو الذي يزعم أن هؤلاء الحذاق بالكلام قصدوا له فقط بالمشبه والحيلة...**"[1].

هذا القول دليل على الجدل القائم في الفترة اليونانية كطابع، تصنعه طريقة استمالة السامع بحيلة حذق القول من طرف المتكلم، كما أشار إليهم أرسطو" حذّاق الكلام"، ومن جهة هناك التصديق السهل بالأحكام، لمن ينظرون إلى ظاهر الكلام دون نقد أو تمحيص، وهذا هو الجدل الذي يعبّر عن الغلبة والمحاججة في القول، لا من أجل إظهار الحقيقة وإنما للسيطرة والتأثير والإقناع"[2].

ثم يقول عن أصناف الكلام:" **و الكلام نفسه مركب من ثلاثة: من القائل، ومن المقول فيه، ومن الذي إليه القول. والغاية إنما هي نحو هذا، أعني السامع. فالسامع لا محالة إما: نظّاروإما حاكم**"[3].

وبناء على هذا القول يتبيّن لنا حرص أرسطو على تشريح الكلام المستعمل في الجدل أو أثناء الحوار، بين متكلم وسامع، أو بين باث ومتلقي، لذلك يعد المنظر الأول للحجاج الجدلي في الفترة اليونانية، نظرا لحذقه في التصنيف لأنواع الكلام والغاية من القول أو اللفظ. ويذهب إلى حد بعيد في وصف اللفظ والاهتمام بالمعنى المقصود منه، حيث يذكرنا ما حكى الشاعر "هوميروس عن البطل أقطور(هيكتور) أنه قال حيث أراد أن يسكن غضب أخيلوس على ذلك الذي هلك حيث يقول للهالك "أقطور":" إنّك الآن معانق الأرض البكماء التي أنت فيها أبدا"[4].

وهذه العبارة يوضح لنا أرسطو من خلالها استعمال الأساليب البلاغية المعروفة عند اليونان، منها المجاز، والكناية على يقين هلاك عدوه لا محالة على يديه، وهو خطاب تهديد ووعيد الذي يشير به بعضنا للتعبير عن مدى البغض وشدة الانتقام التي لا تنتهي إلا بالخلاص من الآخر، عن طريق استعمال عبارات أو إشارات معروفة. ومن جهة أخرى قد يستعمل الشخص المجاز في الأقوال، كدليل على الثقة الزائدة في القدرة على الإنجاز بما يتلفظه. ومهما كان توحي لنا الفكرة أنّ الشخص في كل زمان يملك زمام القول والتعبير مشيرا

---

(1) أرسطو، المصدر نفسه، ص10.

(2) المصدر نفسه، ص16.

(3) المصدر نفسه، ص91.

(4) محمد سالم محمد الأمين الطلبة مرجع سابق، ص23.

إليها بمجاز أو إشارات كدلالة على أنّ اللغة طبيعة إنسانية. وهذا ما أراده أرسطو توضيحه، وهو أنّ للكلام تأثير في السّامع عندما يستعمل عبارات أو إشارات تصل بطريقة مباشرة يفهمها الآخر. وهو دليل على التواصل باللغة ومنطق الكلام المنجز.

3/-الحجاج قاسم مشترك بين الجدل والخطابة:

3_1/_الحجاج البلاغي الأرسطي والخطابة:

تعد البلاغة الأرسطية أساسا فلسفيا معرفيا لأغلبية النظريات البلاغية واللغوية التي جاءت بعدها بشكل عام، ولنظرية الحجاج بصفة خاصة. فقد دخلت هذه البلاغة في نقاش جدلي قوي مع كل من البلاغتين الأفلاطونية(الأستاذ) والسفسطائية(الخصوم)؛ وعلى الرغم من أن الأرسطية اتخذت لنفسها مسارا تحليليا جديدا، إلاّ أنها احتفظت من كلتا البلاغتين ببعض المكونات البنائية، وخاصة من بلاغة الأستاذ أفلاطون"[1]. ويمكن القول بأن بلاغة أرسطو أخذت منحى مختلفا وانفصلت عن كلّ تلك التي سبقتها، سواء بلاغة سقراط، أو بلاغة السفسطائيين الآخرين (أولئك الذين نقدهم أفلاطون)، أو بلاغة صناع الكلام منذ **تيزياس**(Tisias)"[2].

إنّ ارتباط الحجاج الخطابي من الوجه الذي رأينا بالمغالطة والإيهام والخداع قد يكون هو الذي حدا بأرسطو إلى أن يقول عن الخطابة:" هي من ناحية تشبه الجدل ومن ناحية أخرى تشبه التفكير السوفسطائي"[3].

كما اقترح أرسطو التمييز بين أنواع مختلفة من المتلقين. وهذا التمييز يحيل إلى العديد من المواقف الاجتماعية التي ينتشر فيها فن الإقناع. فالمتلقي يمثّل بالنسبة له "منتهى" كلّ خطاب، وإن كان كل خطاب يشمل بكل وضوح ثلاثة أجزاء أساسية: المتكلم، الموضوع الذي يتكلم عنه، الشخص الذي يتوجّه إليه بحديثه"(البلاغة، الكتاب1، 3،1358b).

وبما أنه توجد أنواع مختلفة من المتلقين؛ فإنه ستكون هناك ضروب خطابية مختلفة، وهذا يمثل الموضوع الأهم للجزء الأول في كتابه "البلاغة"، ما أنواع المتلقين؟ يميز أرسطو بين ثلاثة متلقين، هم: من يشهد الخطاب، ومن يحكم على موقف حدث في الماضي"[4]، وذلك

---

(1) فيليب بروتون، مرجع سابق، ص28

(2) أرسطو، الخطابة، المقالة 1، الفصل 4، 1359ب.

(3) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص19

(4) فيليب بروتون المرجع نفسه، ص30

الذي يحكم على موقف مستقبلي، الأول: هو المستمع لخطاب يسمى استدلالي(épidictique)، والنموذج الذي يمثله هو المد. والمتلقي الثاني هو الحكم بالمعنى الحرفي، ويكون ذلك في إطار قضية. وهذا الخطاب ينتمي للضرب القضائي(judiciare). والمتلقي الثالث هو العضو في المجلس، وعادة ما يكون المجمع، الذي ينبغي عليه اختيار سياسة مستقبلية؛ والخطاب في هذه الحالة ينتمي للضرب الاستشاري(délibératif)"[1].

لقد درس أرسطو الجدل في علاقته بالخطابة، وحدد العلاقة بينهما بعبارته المشهورة، وهي كلمة ترجمت ترجمات عدة يعتبر كثير من الدارسين المعاصرين أن أفضلها وأدقّها دلالة تلك التي عبّر عنها ابن رشد في تلخيصه لخطابة أرسطو بـ: "التناسب" حين قال:" إنّ صناعة الخطابة تناسب صناعة الجدل، وذلك لأنّ كلتيهما تؤمّان غاية واحدة وهي مخاطبة الغير.. وكلتاهما تتعاطى النظر في جميع الأشياء، ويوجد استعمالهما مشتركا للجميع. وإنما كان ذلك كذلك لأنه ليست واحدة منهما علما من العلوم مفردا بذاته. ولكن من جهة أن هذين ينظران في جميع الموجودات، وجميع العلوم تنظر في جميع الموجودات، فقد توجد جميع العلوم مشاركة لهما بنحو ما"[2].

فأما أثر الجدل من حيث هو فن يتوسّل المشهورات أو المسلّمات لإلزام الخصم فيظهر من حديثهما عن التأثير الذهني في المتلقي وعن تسليمه بما يقدّم له وإذعانه لما يعرض عليه إذعانا نظريا مجردا مجاله العقل والإدراك. وأما الخطابة؛ فتظهر من خلال إلحاحهما على فكرة "توجيه العمل «والإعداد له والدفع إليه. يقول روبول-**Reboul**, في معرض التمييز بين الجدل والخطابة الأرسطيين:" **الجدل لعبة نظرية. أما الخطابة فليست لعبة. إنّها وسيلة عمل اجتماعي**"[3]. وتكمن طرافة مفهوم الحجاج عند برلمان وتيتكا –حسب رأينا-في جعلهما الجدل في خدمة الخطابة، والخطابة غاية الجدل فهو لها عماد وهي له امتداد"[4].

إنّ الحجاج أوسع من الجدل فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا. فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، على سبيل المثال، من حيث إنّ الجدل والخطابة " قوتان

---

(1) ابن رشد، تلخيص الخطابة، صص3-4.

(2) نقلا عن: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص32

3) O, Reboul, Introduction à la Rhétorique, op, cit, p49

(4) برلمان وتيتكا، المرجع نفسه، ص61 وما بعدها. (نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص28).

لإنتاج الحجج كما يقول أرسطو[1]. وإن كان نوع الحجة في الواحد غير نوعها في الآخر. لقد حدّت المحاجة أو الحجاج (Argumentation) عموما بكونها: "سلسلة من الأدلة تفضي الى نتيجة واحدة أو هي الطريقة التي تطرح بها الأدلة"[2].

4/- بين الجدل والخطابة :

يعتبر الجدل[*] عن أرسطو مبحثا فكريا وسمة مميزة للفلاسفة، إذ إنّ المناقشات الجدلية "**Discussion dialectiques**": كانت تتخذ للتأكد من القضايا والفرضيات. وغالبا ما تتخذ هذه القضايا الجدلية بنية تساؤلية، وليس هذا بغريب في فلسفة يعتبر التساؤل المُحكم فيها أهم بكثير من الجواب"[3].

لقد بحث في الجدل وما يتصل به من أقوال حجاجية قبل أن يبحث في البرهان وخصائصه البلاغية عامة والعلمية خاصة. كما أنّه يركّز خلافا لأستاذه أفلاطون على خصائص حجاجية مهمة، هي: الرأي والاحتمال والممكن والتخييل، على اعتبار أنها ذات دلالات بالغة، لا في حياة الناس فحسب، لكن في التواصل بصفة عامة"[4]. بحيث قدّم أرسطو في تصوره هذا إطارا دلاليا بين كل من القول (الخطاب) والأحوال النفسية (الإلقاء والتلقي) .

ثم الوجود الخارجي، وبالتالي صار "مدار البرهان[**] هو انتاج قول يبلغ به الانسان اليقين في مجال الضروري، ومدار الجدل هو امتحان قول لبناء قول نقارب به اليقين في مجال الممكن، ومدار الخطابة هو إنتاج قول نبني به الإقناع في مجال المحتمل. فهذه الأقاويل الثلاثة درسهاأرسطو باعتبارها تتنزّل في فضاء ثلاثي الأطراف، وهو القول والاعتقاد وجهة الوجود[5].

---

(1) أرسطو، الخطابة، تعريب/ عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام، بغداد 1986م، المقالة 1، الفصل 2، 1356 أ.

(2) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، مصر، ذ3، 1979م، ص393.

(*) الجدل: Dialectique" الحوار المتبادل بين متخاطبين، أحدهما مستفهم معترض، والثاني مجيب مبرر لردوده، يسعى كل منهما الى الجام الخصم بالحج وحمله على الإذعان لاعتقاده، وإن أبدى الحوار حرية في القول وقواعد تضبطه وبحثا منهجيا عن حقيقة معينة"(1) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص169

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص42

(4) المرجع نفسه، ص31-32

(**) يشير هشام الريفي في هذا المجال الى مقابلات فرعية بين الحجاج والبرهان أساسها المقابلة بين مفهومي الضروري والممكن. انظر: المرجع السابق، ص112.

(5) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص41.

وأهم نوع من الاستدلالات في نظر أرسطو، هي تلك القائمة على التصديقات ال صناعية Les preuves techniquesالتي يقوم المحاجج بصناعتها ونحتها اعتمادا على معايير عقلية منطقية، لا على معايير عاطفية وتوجيهية Séductifs، لأنّ هذه الأخيرة مذمومة وتفسد الضمير. وبهذا التوجّه يكون أرسطو قد حوّل مسار الخطابة والحجاج عامة من كونهما قائمين على التأثير**Séduction**(*)، والتحريضManipulation والتملّقFlatterieإلى كونهما عمليتين برهانيتين عقليتين من جهة، وداخليتين في مجال الاجتماع الإنساني من جهة ثانية"[1]. ويقصد بالصناعة القولية عند أرسطو **صناعة الخطابة والحجاج**، وهما مؤسسان على ركنين أساسيين: القول والقائل، وما يتصل بهما من شروط. وفي كتابه الخطابة نجده يتناول الحجج الخطابية: فثمة الحجج المشتركة والخاصة والصناعية وغير الصناعية، وتلك التي يبنى بها الاستدلال، وتلك التي من خارج الاستدلال"[2].

وعلى الرغم من قرب الخطابة من الحجاج إلاّ أنَّه يختلف عنها في نظر **بيرلمان** من ناحيتين: أولاهما نوع الجمهور، وثانيهما نوع الخطاب. فلئن كان جمهور الخطابة حاضرا أمام الخطيب في فضاء مكاني محدد، فإن جمهور الحجاج متعدد متنوع يمكن أن يكون حاضرا كما يمكن أن يكون غائبا، على نحو ما قلنا في الكتابة مثلا، وفيما تتطلبه الفنية خاصة من خطط حجاجية لتعويض غياب المرسل من خلال توظيف عناصر اللغة توظيفا تتولد منه عناصر حضور بليغة. أما من جهة نوع الخطاب فإن الحجاج يكون تلفظا شفويا أمام سامعين مثلما يكون مكتوبا مقروءا متداولا بين جماعة المعنيين به. ويلاحظ في نظرية الحجاج تركيزها الكبير على المكتوب وآليات البرهنة فيه لأن مجال إعمال العقل فيه تحليلا وتأويلا أوسع مما هو متاح في الخطابة التي يتميز نوع الخطابة فيها بأنه شفوي فقط"[3].

(*) التأثير: Persuasion أحد أقدم تعريفات البلاغة، باعتبارها "فن التأثير بواسطة الخطاب"، بمعنى الحثّ على الاعتقاد بشيء معين دون الدفع الى العمل به ضرورة. يرتكز فعل التأثير غالبا على الحجج العاطفية المستندة إلى القيم أو إلى انفعالات المخاطب، ومن ثم اعتباره أداة مغالطة وتضليل.

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص41.

(2) المرجع نفسه، ص46.

(3) المرجع نفسه، ص110،

5/-علاقة الحجاج بالبلاغة:

تطرح البلاغة[*] الجديدة عودة إلى قدم ما عرفته البلاغة الغربية الكلاسيكية من منعطفات كبرى خلال تاريخها الطويل، تغيّر على امتداده مفهومها بفعل ما أملته ضرورات مجتمعية وسياقات فكرية وثقافية، وتصورات فلسفية للكائن في علاقته الإشكالية بذاته، وباللغة إحدى طرائق تواصله مع العالم... لإعادة مساءلة حيثيات إنتاجه وتداوله، ومن ثمة صوغ تنظيرات بديلة، ستصبح بدورها مستبدلة وفق قانون التطور المحيل كل جديد إلى قديم بقصد التجاوز"[1].

لا شكّ أن البلاغة تقلبت خلال لحظاتها التاريخية بين تحديدات مختلفة ومتعارضة في كثير من الأحيان، فقد صادفت بدايات التقعيد لها عند اليونان نهاية مرحلة فقدان الآلهة الإغريقية مشروعيتها التأويلية في تفسير الظواهر الطبيعية ووظيفتها الرمزية في تمثيل البطل الحامي؛ إذ أصبح المجتمع الآثيني الديمقراطي يجنح إلى العقل لمقاربة المجهول والمعلوم، محدثا بذلك ثورة ميتافيزيقية تعيد مساءلة العالم"[2]. لذلك توخّت منظورات فلاسفتهم للبلاغة نفعيتها، ولعله استنادا إلى هذه الغاية، بل ولعدم تحقيق لها، أقصاها **أفلاطون(427-347ق.م)** من صرحه الفلسفي"[3]. بالكلام البليغ، لذلك صنّفها ضمن الخطابات المضللة للعقول، وحصرها في إثارة أهواء المخاطبين وتحريك انفعالاتهم والإيقاع

(*) تعتبر البلاغة عند أرسطو فنّا لاستخلاص الإقناع وبناء الحجج وإنتاج الأشياء التي تكون أو لا تكون، وبالتالي فهي في نظره تقنية تواصلية. ويتجلى ذلك من خلال التصوّر الذي ألف عليه كتابه: "الخطابة": فالجزء الأول منه يتعلق بمرسل الرسالة(الخطيب) وتكيّفه مع الجمهور، وذلك من خلال الأجناس الثلاثة للخطاب (الاستشاري والقضائي والاحتفالي). أما الجزء الثاني فيدرس فيه متلقي الرسالة (الجمهور)، ويهتم فيه بالانفعالات والعواطف وأيضا الحجج، لكن هذه المرة بوصفها متلقاة (وليس باعتبارها مكتسبة، مصنوعة كما هو الحال في الجزء الأول) . أما الجزء الثالث فاهتم فيه بالرسالة ذاتها من حيث اللفظ والصياغة والتصنيف والترتيب والتنظيم لأجزاء الخطاب (راجع: بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص20، والنص الفرنسي له ص 9 -12).

البلاغة: **Phétorique**"طريقة في القول(الإيتوس)، وفن للإقناع (اللوغوس)، وأداة للإمتاع والتأثير(الباتوس). ولعل هذا المفهوم يجمع ما تفرق في تحديدات سابقة ميزت تاريخ البلاغة (محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص48).

(1) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011م، ص4.

(2) M, Meyer, Principia rhétorica, Fayard, 2008_, p36,

(3) أمينة الدهري، المرجع نفسه، ص4.

بهم، كما هو مثبت في حواري "جورجياس" و"فيدر" اللذين يعكسان مرحلة تبلور رؤيته الفلسفية قبل انتقالها إلى مستوى أعمق. في حين أدرك أرسطو(384-322 ق.م) أنّ للبلاغة حقيقتها الخاصة، التي غضّ الطرف عنها شيخه، والتي ليست بالعلمية ولا باليقينية بقدر ما هي احتمالية، تحكم العلاقات الإنسانية"[1].

كما تمّ توظيف البلاغة-بتقنياتها المتعدّدة، كلّ بحسب منظورها-من أجل محاولة تقديم إجابات مقنعة عن أهم القضايا الفكرية المعاصرة، والتي من أبرزها: تغير مفهوم الزمان والمكان والحدود، فضلا عن مدى قابلية الإنسان لاستيعاب ما يبث إليه يوميا من معلومات ومعارف تتطور وتتحرك بسرعة الضوء. وقد عملت هذه الوظائف المتعددة المنوطة بها-البلاغة-على عودة الخطابة بتقنياتها البصرية الحجاجية ليتم استخدامها برؤية ومنهج جديدين، ما جعل بعض الفلاسفة النقاد يطلقون على هذا العصر "عصر البلاغة والخطابة"، لا بالمعنى التقني الضيّق لهذه الأخيرة، وإنما بمعناها الواسع العميق التفاعلي الصراعي الذي يعمق المعرفة بالآخر ويشرع للحوار والاختلاف الجادين"[2].

لا شك أنّ المنعطف الذي عرفته البلاغة ناتج عن إعادة مساءلة المجتمع لمسلماته في علاقتها بالواقع والمتخيّل، ووليد ميل واضح إلى عقلنة أدواره ومجالاته. في حين ذهب التوجّه الثاني إلى مرادفتها بالأسلوب حتى صارت تعرف به، فأضحت اللغة المجازية على أثره موضوع دراسة كل من مجازات"Dumarsais(1730م) و"**صور الخطاب**" لدى**Fontanier**(1820م)، استقصاء منهما لأدواتها وصورها، مما سيكون له الأثر الواضح في قراءات بلاغية عديدة، وعلى رأسها الأسلوبية "[2].

لقد جرى نهر البلاغة مجرى متفرقة، و لاشك أنّ مفهومها سواء في الفترتين التأسيسيتين الإغريقية والرومانية، أو إبّان عصر النهضة، وصولا إلى انبعاثها في القرن العشرين، بقي مرتبطا بالمرحلة التاريخية التي صدر عنها وبتصوراتها للمعرفة والعالم. لذلك تفرقت به مسالك ومفارق، وتلبس حُللاً شتى تراوحت بين العقلانية النسبية، والبرهنة الصارمة، والجمالية الأدبية، والاحتمالية التعددية، وسمّته بسمات الضلال(أفلاطون)، وذاتية القيم (شيشرون وكونتيليان)، وفنّ القول (بلاغة دو مارسي- فونتاني وجماعة مور)، والمنطق شبه الصوري(تولمين)، والاستدلال المعقول (بيرلمان)، أفرزت كلّ سمة أشكالا من المخاطبين:

---

(1) المرجع نفسه، ص4.

(2) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص290.

(3) أمينة الدهري، المرجع نفسه، ص6.

الكائن الإشكالي المتعدد عند أرسطو، والإنسان النموذجي ذو القيم العليا لدى الرومان، والمستمع الكوني بالنسبة لتيار البلاغة الجديدة، لاسيما بيرلمان. وإذا كان من البديهي أنّ لكل مرحلة بلاغتها، فإنّه من المؤكد أنه لا وجود لبلاغة بمعزل عن صورة معينة للإنسان وللتاريخ ولنوع المسافات بين الكلمات والأشياء، بين المنزاح من الكلام ومعقوله؛ ومن ثمة ضرورة إعادة مساءلة هذه العلاقات، بل إنّ إحياء البلاغة رهين بناء نموذج تفكير وحلول آخر محله"[1].

لقد اعتبرت البلاغة جزءا من الحجاج (الجدل قديما)، وفي ذلك كتب أرسطو:" **تعدّ البلاغة فرعا متصلا بالجدل وبدراسة القيم؛ لذا جاز وصفها بالسياسية**"[2]. وانتسابها إلى الجدل، مبدئيا، يفصلها عن السفسطة-على عكس ما ذهب إليه أفلاطون-لكنها إذ تنحدر منه، تقع في الجزء المقابل له، باعتبارها "**فن تأثير**"، في مقابل منطقه الاستدلالي ذي الحجج والأقيسة"[3].

فالتحديد الأرسطي مثلا للبلاغة بادي الأثر، مثل اعتبارها " صناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريده الإنسان أو يراد منه بتمكن من إيقاع التصديق به وإذعان النفس له"[4]. "فالإفهام" و"**إيقاع التصديق**"، و"إذعان النفس" مقابلات عند أرسطو لإحداث التأثير وإنهاض النفوس بمعناها غير الملزم. ولعلّ هذه المفاهيم وغيرها مما قامت عليها بلاغته، أصبحت كليات معرفية وليست تكريسا لتبعية ثقافية"[5].

كان القصد الأول إذن للبلاغة/ الخطابة، مطالبة بالملكية ودفاعا عنها، وفنّا للقول يتوخى الانتصار في خضم صراع حياتي ومنازعات بشرية. وغير خاف أن ادعاء الحق والدفاع عنه وبالأحرى نيله، لا يستقيم إلاّ بالمرافعة والاحتجاج. وكانت البلاغة بما هي إقناع على صلة بالاحتكام أي بمؤسسات قضائية تضطلع بالبث والفصل بين المتنازعين، وليست تلك المؤسّسات إلاّ مظاهر لديمقراطية التاريخ القديم"[6].

وإذا كانت البلاغة القديمة-اليونانية والعربية-قد تناولت قضية الحجاج، إلاّ أنها لم تتناول أبعادها كلها، حيث تم الاكتفاء.

---

(1) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص7.

2-,Pocket,2007,1356AAristote, Rhétorique.

(3) أمينة الدهري، المرجع نفسه، ص8.

(4) محمد مفتاح، المتلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، المركز الثقافي العربي، 1994م، ص34.

(5) أمينة الدهري، المرجع نفسه، ص13.

(6) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص28.

بالإشارة إلى مقامات السامعين، والهيئة التي على الخطيب أن يكون عليها، والمؤكدات التي عليه دعم خطابه بها. أي إن تناول قضية الحجاج قد دار في إطار الخطاب الشفوي المباشر من جهة، ثم المساعدات المقامية الشكلية من جهة ثانية[1]. ولئن تردت البلاغة قديما في قضايا الصياغة وجماليات الأسلوب، إلا أنّ ذلك لم يصبها بالموت النهائي، وإنما بسبات مؤقت أفات منه بعد تطورات الدرس اللغوي الحديث. ولقد كان من نتائج هذا التطور:

- تحوّل البلاغة إلى علم مستقبلي صارت تنزع فيه لأن تصبح علما "واسعا للمجتمع"، إذ إنها لم تعد علما خاصا "بالخطاب" وإنما صارت علما عاما للخطابات كافة.
- الانتقال من الرغبة في إنتاج الخطاب إلى دراسة خصوصياته، أي إنها قد تخلّت عن نزعتها المعيارية المتمثلة في فرض القواعد لتهتم برصد الوقائع فقط. فهي تتحوّل من لغة موضوع الى لغة واصفة، وهو ما يجعلها "تلتقي مع مجموعة من المصطلحات الحديثة كتحليل الخطاب والأسلوبية والقراءة"[2].

وعبر أطوار تاريخها الممتد، لابست البلاغة الخطابة وارتبطت بها، وبذلك انطوت منذ ميلادها الأول على حمولة الإقناع، وارتبطت بسطوة التأثير، يقول جابر عصفور:" البلاغة نشأت ملازمة للخطابة، ولم تفارق ما ارتبط بها من مخايلة الإقناع، وما تؤديه هذه المخايلة من وظيفة إيديولوجية تتصل بإيقاع التصديق في النفوس"[3].

إنّ بلاغة أرسطو هي بلاغة استدلال أكثر منها بلاغة مشاعر":فصناع الكلام يخصصون الجزء الأكبر من كتاباتهم لمسائل خارجة عن ماهية الموضوع". ولكي يؤثروا في القاضي؛ فإنهم يستخدمون "**الظن**"، الشفقة، الغضب وغيرها من المشاعر النفسية (البلاغة، الكتاب**1**، 1354a)، من دون استخدام دلائل متخصصة". وإذا عمّمنا القاعدة الموجودة في بعض المدن وهي: **منع الدفاع خارج إطار القضية**"، فإنّ صناع الكلام، الذين يستخدمون سوى وسائل "فائقة الاحطام(**Extratechniques**)، لا يبق لديهم شيء يقولونه"[4].

لقد استطاع أن يوسّع حقل البلاغة لأبعد من المجال القضائي، بحيث يشمل كل الأماكن التي يستخدم فيها الحجاج، وذلك بخلاف صناع الكلام الذين حصروه في المحكمة،

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص7.

(2) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر/ عمر أوكان، المغرب: افريقيا الشرق، ط1، 1994م، ص 7-8.

(3) جابر عصفور، بلاغة المقموعين، ضمن: المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، دار قرطبة، ط2، 1993، الدار البيضاء، ص7.

(4) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص29.

والأفلاطونيين الذين حصروه في النقاش الفلسفي. وبهذا أصبح للبلاغة، وللمرة الأولى بُعْد عام-ما عدا حقل الحقيقة-كما أصبح لها وللمرة الأولى، نظرية منظمة. وهكذا لم تعد البلاغة تعرف بأنها، ببساطة فن الإقناع، وإنّما "القدرة على الكشف بتفكّر عند كل حالة، عما يمكن أن يكون مقنعا فيها"[1]. لذا يمكن القول، بصورة عامة ومن دون جدال فعلي، إنّ البلاغة هي "فنّ الإقناع" المرتبط بلحظات تواصل حقيقي تقتضي بالضرورة قيام طرف ما بإقناع طرف آخر"[2].

وتلعب البلاغة عامة، والحجاجية منها بشكل خاص، دور المحرك الفعال في كلّ ذلك، وهذا من العوامل التي فتحت الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة الإقناع والتأثير في صيغة لم تعرفها من قبل. وأصبح الخطاب يعتمد في انجاز تلك الوظيفة، وإحداث التأثير، أساليب متنوعة، منها ما يقوم على بلاغة الصورة، ومنها ما يقوم على قدرة الخطاب الفائقة على التأثير، لا بمنطوقه، وإنّما بمفهومه ومتضمّنه."[3].

انطلق أرسطو من مسلمتين جديدتين، حيث جعل من البلاغة آلية غير مبالية حينا بالأخلاق، أي أنّها تفتقد الحسّ الأخلاقي، لكنّها ليست منافية له أو ضدّه؛ إنّها تحيل الشخص الذي يستخدمها إلى ضميره، وإلى مسؤولياته أمام المدينة. فالبلاغة بالنسبة له عبارة عن أداة. وهذا يعني إمكانية استخدامها للخير كما تستخدم للشر، وتستخدم للعدل كما تستخدم للظلم:" بقدر ما الاستخدام الجيد يمكن أن يكون مفيدا، يمكن أن يكون الاستخدام السيئ ضارا"(أرسطو، البلاغة، الكتاب **1**، **1355b**). ومن جهة أخرى، جعل أرسطو من البلاغة تقنية حجاجية لما هو قابل للصواب"[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص29.

(2) فيليب بروتون مرجع سبق ذكره، ص18.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مرجع سبق ذكره، ص11.

(4) نقلا عن : فيليب بروتون، مرجع سبق ذكره، ص28.

6/-التأويل والتلقي في الحجاج والبلاغة والخطابة.

إنّ موقع البلاغة عامة والحجاج خاصة، من هذين المنهجين يكمن في أنّ البلاغة، بقدر ما تعني بالخطابة والإلقاء وما يتطلبانه من أساليب حجاجية، تعني كذلك ببلاغة المكتوب، أو ما هو منصوص.. وما يتضمّنه من حوار ونقاش ضمني مؤسّسين أولا وقبل كلّ شيء على الفهم والتفسير من جهة، والتعدد الدلالي من جهة ثانية. لأنّ هذا المكتوب لو نظرنا إليه نظرة متعمقة لوجدناه مؤسّسا على خطة حجاجية "Plan argumentatif"تهدف إمّا إلى الإقناع بطرح معين، أو إلى جذب المتلقين الأكفاء لإثراء النص ومحاورته.

فالنصوص عند التأويليين، فضلا عن أنّها غير محددة الدلالة، تظل أيضا غير مستقلة عن ضرورات القراءة والإضافة، لأنّ تجدد النصوص واستمراريتها مرهونان بحسن التواصل مع الآخر"[1] عن طريق اللغة التي يفهم بها أحدهما الآخر عما يريدان الاتفاق عليه. وعليه فإنّ العودة القوية التي عرفتها البلاغة في عصرنا الراهن تعود إلى بنيتها المرنة التي مكنتها من استيعاب معظم العلوم المجاورة لها، ومن توظيفها لخدمة قضايا المجتمع والفن على السواء، وهو ما جعل البلاغة تتحوّل من كونها علما للخطاب إلى كونها علما واسعا للمجتمع وخطاباته السائدة؛ وقد تأكّدت للبلاغة هذه السّمة عندما تبيّن للباحثين أنّ فضاءها المعاصر يستوعب ويوظّف نتائج كلّ فروع الدوحة اللغوية وما يحفّ بها من علوم ومناهج إنسانية"[2]؛ مكّنتها من صناعة لغة تواصلية وظيفتها الأسمى، هي خدمة قضايا المجتمع في كل أبعاده. وهذا يظهر مدى قيمة وأهمية اللغة في هندسة الواقع الإنساني.

لأجل ذلك كان هدف أرسطو من هذا التغيير لوظيفة الحجاج والخطابة والبلاغة بصفة عامة هو تخليص الخطاب ممّا قد يعتريه من تزييف وتملق وركاكة؛ فللقول عنده مكانة كبيرة، إذ إنّ اللغة هي التي تلعب أعظم الأدوار في بناء الإنسان والمدينة والمجتمع، وهذا مكمن خطورتهما-اللغة والخطاب-وقداستهما في آن"[3]. وممّا يثبت ذلك خطابة المصلحين الاجتماعيين عندما تكون مجتمعاتهم تحت نير الاستعمار أو الاحتلال، أو مكانة القائد البليغ في تحريض جنوده أثناء القتال، مما يرفع من معنوياتهم، فتقوى عزيمتهم. وكذلك خطب بعض الزعماء السياسيين الذين توافق تصريحاتهم مواقفهم الحساسة، فيتحوّلون الى قدوة لمجتمعاتهم في النضال والصمود من أجل قضية معينة.

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، مرجع سبق ذكره، ص62.

(2) المرجع نفسه، ص28.

(3) المرجع نفسه، ص42

وعلى أية حال؛ لا يفهم هذا الموقف الا عندما تم التنظير للخطابات الحجاجية في دائرة أوسع من الخطابات المعاصرة، التي تتخذ من اللغة أداة فعالة في التأثير والحث على العمل بما يوافق القول الفعال.

خامسا /-موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي:

أ/-علاقة الحجاج بالخطاب الفلسفي.

إنّ العلاقة الموجودة بين الحجاج والخطاب الفلسفي، هي التي ستظهر لنا وجود حجاج فلسفي، مقابل الحجاج البلاغي واللغوي واللساني؛ ذلك بأنّ الحجاج الفلسفي هو مكوّن جديد من الحجاجات المرتبطة باللغة كما عرفناها من قبل، بينما الحجاج الفلسفي يضفي صبغة جديدة على الحجاج اللغوي من جهة أنّه يقترن أكثر بالخطاب أو الكلام الموجّه في اللغة العادية أو الطبيعية، وهذا ما نريد توضيحه نظرا لأهميته الكبيرة في صناعة القول الفلسفي المفيد والمؤثر، ومن هنا نبدأ:

1/-معنى الخطاب الفلسفي:

- ✓ -الخطاب الفلسفي هو خطاب مباشر وغير مباشر مع الفلاسفة السابقين والمعاصرين ومع ذاته.
- ✓ -عادة ما ينقلب على نفسه لتطوير خطابه المنجز ودفن مقولاته الميّتة، وهذا دليل على أنه متجدّد باستمرار، يسعى للتغيير.
- ✓ -وهو تناص (يرتكز على النص)، لا ينتهي مع الآخرين لتحقيق الإبداع بالمفاهيم والمناهج والمذاهب، ولهذا لا توجد بداية ولا نهاية مطلقة للفلسفة والتفلسف. أي أنه غير محدود في الزمان ولا المكان، ولا يقتصر على عقل بشري معين"[1].

فالخطاب الفلسفي بهذا المعنى، يعمل وفق التناص غير المحدود، إلا أنه يسعى لتطابق المبادئ العقلية مع الواقع، حيث يبدأ وينتهي به، على اعتبار أنّ العقل مطابق للواقع دائما"[2]، والمقصود بالواقع هنا، هو الواقع المعياري وليس الواقع المعين القائم. والفلسفة تعرّف على أنها دراسة الواقع كما يجب أن يكون لا كما هو كائن. وعندما نتحدث عن الخطاب الفلسفي كونه يسعى للتطابق؛ فالمعنى يحتمل قسمين:

❖ تطابق الفكر مع نفسه. وتطابق الفكر مع الواقع المعياري.

لكن التطابق المقصود هو حصول التطابق الكلي بين القسمين معا؛ وهذا الأمر يقودنا إلى اعتبار الخطاب الفلسفي على أنه خطاب نقدي بامتياز، حيث يعتمد الشك والتساؤل المستمر بالمعطى القائم والمنجز من المفاهيم والقواعد المؤسّسة للمذاهب والمنظومات أو للخطابات الأخرى التي لم تستقم إلا بنقد تاريخي ومعرفي لتصوراتها عن نفسها"[1].

ومن خصائص الخطاب الفلسفي، أنه خطاب منتج، وحتى يكون كذلك، لا يسعه إلاّ أن يكون نسقا متماسكا من الأفكار، يتميّز بوحدة الإشكالية والاتساق المنطقي: أي عدم التناقض مع الذات، أو بين مقدماته ونتائجه (تتحدّد الفلسفة وفق نسق الفيلسوف، مثل نسق أفلاطون، فهناك فلسفات وليست واحدة)"[2].

نعني بهذا القول أنّ الخطاب الفلسفي يدور في فلك النقد والتحليل والمساءلة لكل ما هو مكتوب أو منصوص بشري، حيث يخضع للنقد مهما كان. ومن هنا لا يجد الخطاب الفلسفي الحديث والمعاصر نفسه إلا في أنساق نصّية بدلا من الأشكال التي يلبسها الخطاب"[3]. وبهذا يتحرّر النص (الخطاب المكتوب) من تاريخية التلقي المباشر بين المرسل والمستقبل.

أما لغة الخطاب، فتختلف عن الخطاب الأدبي الإبداعي الحافل بالاستعارات والرموز والإزاحة بين الدال والمدلول، لأجل ذلك فالخطاب الفلسفي يختلف عن الخطاب الأدبي لعدة اعتبارات، منها:

- النظر في لغة الخطاب الفلسفي المجرّدة بمفاهيم ذات دلالة معينة، وهي تصعب على الإنسان العادي الخوض فيه دن حصيلة معرفية أو قدرة عقلية على الفهم العميق للمدلول اللغوي الفلسفي"[2]. فالنص الفلسفي من هذا الباب ينطوي على تجربة معرفية نصية بالتحليل والتركيب ونحت المفاهيم تجاوز عمرها 20 قرنا أو أكثر.

2/-الخطاب في اللغة والاصطلاح:

ورد في لسان العرب للعلامة ابن منظور في مادة (خ. ط. ب)، أنّ الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام. وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان. والمخاطبة صيغة مبالغة، تفيد المشاركة في فعل ذي شأن[1].

أمّا في المعجم الوسيط، فقد قدّم الخطاب على أنّه المكالمة والمحادثة والحوار[2]. ومعنى خاطبه: أي كلّمه وحادثه. وخاطبه: وجّه إليه كلاما. كما حدّد الخطاب على أنّه "الكلام مفسّرا"[3] لكل لفظ لغوي غامض، أو يراد منه الكلام المقصود والموجّه للغير قصد تحقيق غاية معينة. ودليل ذلك قوله تعالى :<<**فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطَاب**>>(ص،23).

وذكر **ابن منظور** في اللسان في قوله:<<فصل الخطاب>>. فقال: **هو أن يحكم بالبيّنة أو اليمين. وقيل: معناه أن يفصل بين الحق والباطل، ويميّز بين الحكم وضده. وقيل: فصل الخطاب، الفقه في القضاء**"[4].

الخطاب يحمل مرة لفظ: التوجّه بالحديث/ القصد. أو هو تفضيل الكلام والمعاني"[5].ويرى **الزمخشري**(_) في "فصل الخطاب"، يراد بمعنى الخطاب هو القصد، يقول:<<**القصد الذي ليس فيه اختصار مُخل ولا إشباع ممل**>>[6].أي هو قصد مباشر، وافي لمعنى الكلام الموجّه، يسهل فهمه، ومراده. بينما تطلق لفظة خطاب في موروثنا اللغوي العربي حول الكلام والجدال والحجاج والمحاورة، وكلّ هذه المصطلحات تشترط في تحقيقها طرفين اثنين:

-**باث ومتلقّي. أو المتكلم والمستقبل أو السّامع**. أي هناك طرفان متقابلان في أطراف الحديث، لكن كما قلنا ينظر للخطاب الفلسفي، فيما هو مكتوب أو منصوص على غرار الخطاب الشفوي القديم، ومنه تتعقّد وتتداخل الأمور أكثر حول دلالات الخطاب الفلسفي المدروس، حينها سنقوم بتحليل هذا المصطلح أكثر لتحديد معالمه وأبعاده. ولا بأس أن نبدأ من تحديد مفهوم الخطاب من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

1/-مفهوم الخطابلغة:

هذا المصطلح مأخوذ من أصل لاتيني وهو الاسم،**Discours** "يقابل الخطاب في الثقافة الغربية اللفظ الفرنسي الذي يعني الجري هنا وهناك. وهو فعل يتضمن «**Discurrere**المشتق من الفعل**Discursus**"؛ معنى التدافع الذي يقترن بالتلفظ العفوي وإرسال الكلام والمحادثة الحرة والارتجال[1]في الكلام بسلاسة وحذق.

أمّا في الثقافة العربية؛ فإنّ الخطاب مشتق من الفعل خطب، جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة(خطب)..." **والخطابات والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان....**[2]

والمخاطبة مفاعله من الخطاب والمشاورة (مراجعة الكلام)، وإنّ الخطاب في اللغة العربية يعني المكالمة أو الحديث أو اللغة المستعملة بين اثنين أي لغة التفاعل.[3] من هنا يبدو، أنّ الخطاب يعني الكلام الموجّه أو الحديث المتداول وفق لغة معينة، مما يعني حصول توافق تواصلي بين طرفين حول قضية مشتركة، وبذلك تكون المخاطبة هي تبادل أطراف الحديث لقصد معين.

2/-مفهوم الخطاب اصطلاحا:

يعني الميدان العام لمجموعة المنطوقات، أو هو ممارسة لها قواعدها، تدل دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات، وتشير إليها كما أنه عبارة عن مجموعة من المنطوقات أو **الملفوظات[4].** التي من شأنها أن تتبادل فيها أطراف الحديث أو الكلام عن أشياء يحصل على إثرها اتفاق معين، وهذا معناه أنّ أحد الطرفين تحدث بمنطوق حتى يفهمه الطرف الآخر فهما صحيحا، فيؤدي الى استجابة فورية للعمل وفق المنطوق، أو الاعتراض عليه في بعض الأحيان. المهم هو وجود لفظ كلام موجّه لغرض تحقيق غاية، من شأنه أن يؤثر بشكل إيجابي، بفعل ممارسة قواعد تساهم في وصف وضع معين.

3/-نوع الخطاب:

يقصد بنوع الخطاب، أساليب التبليغ والاتصال المحددة تاريخيا واجتماعيا، ممثلة في الخبر العام، الافتتاحية الاستشارة الطبية، الاستجواب البوليسي، الإعلانات الصغيرة، المحاضرة الجامعية، تقرير التدريب[1].

كلّ هذا؛ يشير الى نوعية الكلام الذي من شأنه أن يحقق وظيفة التبليغ على أكمل وجه من طرف المتكلم، وإذا عرفنا صفات المتكلم، فقد نعرف أسلوبه في النقاش المتبادل مع غيره. وعليه يتمّ تصنيف الخطاب الدائر على أنه يمثل اتجاه فكري أو ثقافي معين. يدل بوضوح على وجود دلالة لغوية قادرة على التأثير تحت أي ظرف من الظروف.

وعلى هذا الأساس يقترن لفظ الخطاب بوصف آخر، يحدده الموضوع وبذلك يمكن تصنيف الخطاب حسب الموضوع إلى الخطاب الأدبي الخطاب العلمي، الخطاب السياسي، الخطاب الاجتماع، الخطاب الثقافي، الخطاب الإشهاري، الخطاب القضائي، الخطاب الديني، الخطاب العسكري، الخطاب الفلسفي، الخطاب الشرعي"[2]. وكلّ هذه الخطابات؛ هي خطابات إنسانية تختص كل منها بموضوع يهتم به طرفان أكثر من غيرهما، أو مجموعة عن غيرها.

مثال:

الخطاب السياسي لا يفهمه بمعنى أدق إلا من مارس السياسة أو المهتم بالشأن السياسي، والخطاب العسكري كذلك، بحكم أنّ الموضوع المدروس مشترك بينهما.

كما أنّ المواضيع المشتركة تجمع الأطراف حولها، فلا نكاد نجد جزارا يتبادل الحديث مع غير جنسه حول موضوعه المفضل. بل لا نكاد نصل الى خطاب مشترك بين أطراف مختلفة المشارب الفكرية والثقافية، فنجزم حينها بأنّ لكل خطاب إنساني أسلوب لغوي خاص يميزه عن غيره من حيث الطرح والفصل فيه. لذلك تعددت الخطابات بتعدد الوسائل اللغوية المتاحة من أجل جذب المهتم بالحديث المتداول. وعليه نعترف بوجود أساليب يلجأ إليها المخاطب لتوجيه كلامه للسامع"[3]، منها مثلا:

---

(1)

(2)

(3) الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم في اللغة. جامعة الحاج لخضر. باتنة، 2009-2010، ص15-16-19.

-الإيحاء (لعبة الكلمات):

غالبا ما يستند أسلوب الإيحاء الى ما يعرف بلعبة الكلمات، فيكون كلامه رنانا مثيرا للإعجاب والاستماع إليه، لأنه يتقن فن توظيف الكلمات في محلها ووقتها المناسب بصورة خارقة وعجيبة جدا. فقد يلجأ السياسي إلى لعبة الكلمات بحيث تظهر في خطاباته كلمات تدغدغ مشاعر المواطنين، لاستمالة عقولهم إلى مستقبل بعيد المدى في تحقيقها، كما أنها لغة ملتبسة، غامضة، مبهمة، ليست باللغة الصريحة، وهي حافلة بالمعاني المتعددة والتفسيرات الهادفة إلى استثارة النفوس لخدمة السياسة"[1]. وهو ما ينفر منه بعض المستمعين كونه بعيد عن الحقيقة أو مليء بالنفاق السياسي أو الوعود الكاذبة، فيدب اليأس في المواطن السّامع تحت طائل السّخرية من تحقيق آماله المنشودة.

وقد يلجأ الخطيب السياسي إلى مراعاة مقتضى الحال، ليخاطب كل طبقة بما يناسبها، ولتحقيق ذلك يجب أن يكون عارفا بأحوال من يخاطبهم اجتماعيا وثقافيا وسياسيا؛ لأنّ الكلام يفسّر ويفهم حسب الموقف الذي يحدث فيه، لذلك يجب أن يجري أيضا حسب الموقف الذي يحدث فيه، أو الذي يثير الكلام أو اللغة. فقد يعمد الخطيب إلى المنطق، أو أقيسته اليقينية ويقتصر على ذلك إذا كان يخاطب أقواما، قد غلب على حياتهم الفكر والعقل، ولا يرضيهم إلاّ الحقائق عارية، وقد يعمد إلى الظنيات وأقوال من عرفوا بالحكمة"[2]

لذلك يعتبر الخطاب الحجاجي جوهر العملية التواصلية البلاغية، غايته" استمالة القارئ نحو فكرة معينة، هي هدف كل قائم بعملية الإقناع والتأثير ومن أجل ذلك، ينصُّ باهتمام القائمين بالإقناع والتأثير على أفضل السبل، وأقلّها كلفة ووقتا وجهدا، في الوصول إلى تغيير اتجاهات القارئ العام أو بناء اتجاهات جديدة، أو تعديلها، أو لفت انتباه الجمهور نحو قضية معينة"[3].

المهم؛ هو أنّ للحجاج الفلسفي خطابا تواصليا أكثر تأثيرا في السامع، وبإمكانه تغيير قناعة القارئ حتى وإن كان في الاتجاه المعاكس، مما يدل على امتلاك هذا الخطاب الحجاجي القدرة البلاغية الممكنة لصنعة المشهد الفكري للمتلقي، بكل مرونة، ويحقق الهدف المطلوب في وقت قياسي.

---

(1) الحاجة سعود، استراتيجية الشرعية والاستمرار للأنظمة السياسية العربية.ص68-69.

(2) المرجع نفسه، ص71-72-73.

(3) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات تطبيقية-ط1 41شارع ايران لا فايت تونس، 2011، ص201

و لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع؛ إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع "[1]؛فالجاحظ (عمرو بن بحر(هـ) بسط مفهوم البيان الذي يحقق بواسطة الخطاب، بمختلف آلياته اللغوية المستعملة من طرف المرسل لإقناع المتلقي بها "[2].لذلك يتأسّس الخطاب الحجاجي على مجموعة من الحجج غايتها الإقناع، وذلك ما ذهب إليه "حينما اعتبر الخطاب الحجاجي خطابا غائيا، وينفي أن يكون كلّ **خطاب**vignaux) حجاجي غائي بالضرورة، لأنّ هناك خطابات ذات غاية شخصية لا تهدف إلى إقناع الآخر، كالخطاب الشعري، وبعض أنواع السير الذاتية والمذكرات، أمثلة لخطابات غائية ليست اعتماد على مفهوم الغائية أن يرسم مجموعة من التصوّرات و vignaux)الحجاجية"[3]. لكنها في نفس الوقت تؤدي الى تحقيق نتيجة بالضرورة، من خلال تحقيق مبدأ: القصد المعلن.

والمقصود به البحث عن إحداث تأثير ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة، وهو ما يسمّيه " **طه عبد الرحمان** بالإقناعية والتي عدها من شروط التداول اللغوي وفي ذلك يقول:" **فعندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرّا إلى الاقتناع برأي المحاور** "[4]"

فالفكرة التي أوردها طه عبد الرحمان يعبّر عنها اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام، كما "تكمن السّمة القصدية للحجاج في تحديد العلاقة الحجاجية حين نعتبر العبارة (س)موجّهة لخدمة(ج)تتحقق السّمة القصدية[5].

والمعنى هنا واضح جدا؛ حيث إنّ تحقيق القصدية في الكلام، يشترط تحقيق الوظيفة الإيحائية للكلام الموجّه من طرف المتكلم، بالتأثير في السّامع الذي يحوّل الكلام المثير الى فعل أو ممارسة تدل على مدى التأثير الإقناع فيه دون إكراه. ومثال ذلك تأثير البرامج التلفزيونية في الطفل نتيجة سماعه أغنية مؤثرة فيرددها عن ظهر قلب.

---

(1) عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي-خلفيته النظرية والياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2006، ص9.

(2) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق درويش، المكتبة العصرية، ج1، لبنان، 2001م، ص 56.

(3) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم-من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة-بنيته وأساليبه، ص26.

(4) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز ث-ع، المغرب، ط3.2007م، ص38.

(5) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة، المغرب، ص 110.

كما يعتبر التناغم من أهم الخصائص التي تميز الخطاب الحجاجي عن الخطابات الأخرى، باعتباره خطابا مستدل عليه، فهو" يقوم على منطق ما في كل مراحله، ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلق الأمر بالفتنة؛ وهو progressionأو إحداث مجرّد تقدّم**l'émotion** أو الانفعال**L'envoutemen** ؛ ينم من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه وبمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدرته وآفاقه"[1].

ويعتبر الاستدلال سياق **الخطاب الحجاجي** العقلي أو تطوره المنطقي، لأن الخطاب الحجاجي يقوم على البرهنة لذا يتوجب أن يكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي، وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس ذلك أن الخطاب الحجاجي في أبسط صوره هو ترتيب عقلي للعناصر اللغوية يستجيب لنية الإقناع، وهو ما يسميه طه عبد الرحمان بالاستدلالية"[2].

البرهنة :

وهي الطريقة التي توظف فيها الحجج لحمل المتلقي على الإذعان،"والبها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها." وبواسطتها يسعى المحاجج إلى تبليغ معارفه بأقل جهد وفي أقصر وقت"[3].

تعتبر الانتقائية مهمة في تحقيق الفاعلية الاقناعية باعتبارها انتقاء لمكونات الخطاب، والتي ينتهجها المحاجج في بناء خطابه، وتتمثل في انتقاء العناصر المكونة لهذا العالم بشكل دقيق وموجه أي بشكل يساير فيه تلك العناصر المنتقاة غاية الخطاب من جهة وتلاؤم وضع المتلقي وقدرته وتستجيب خاصة لآفاق انتظاره من جهة أخرى. وعلى المحاجج أن يكون دقيقا في اختياره للمؤشرات التي تمكن المتلقي من التأويل السليم للطرح المقدم"[4].

ب/-علاقة الحجاج بالخطاب الفلسفي:

تكمن أهمية النص في الممارسة الحجاجية من خلال المعادلة الآتية: **النص الكاتب+ القارئ= خطاب.** ولنا أن نشرح ذلك:

---

(1) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص62.

(2) طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص36.

(3) سامية الدريدي، المرجع نفسه، ص27.

(4) المرجع نفسه، ص30.

إنّ **النص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب**، فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص، تماما مثلما أن الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام، أي عبر إشارات الصوتية، وكما يسهم السامع، مشاهد ضرورية في تحقيق هذا الاتصال الكلامي يساهم القارئ بدوره، مساهمة ضرورية في تحقيق الاتصال الكتابي عبر النص.

وبعبارة أخرى، فكما أنّ المعنى الذي تحمله الإشارة الصوتية هو في آن واحد، من إنتاج **الكاتب والسامع**، فكذلك المعنى الذي يحمله النص، في آن واحد، من إنتاج الكاتب والقارئ.

-**الكاتب** يريد أن يقدم فكرة أو وجهة نظر معينة في موضوع معين، وهذا خطاب،

-**والقارئ** يتلقى هذه الفكرة أو الوجهة من النظر كما يستخلصها هو من النص وبالطريقة التي "يختارها" (بفعل العادة أو بوعي وإرادة) وهذا تأويل للخطاب أو قراءة له.

-هناك إذن جانبان يكوّنان الخطاب: ما يقوله الكاتب وما يقرأه القارئ.

فالخطاب باعتباره مقول الكاتب-أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء-هو بناء من الأفكار (إذ تعلّق الأمر بوجهة نظر يعبّر عنها تعبيرا استدلاليا وإلا فهو أحاسيس ومشاعر، فن أو شعر) يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الوجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالي، أي بشكل مقدمات ونتائج، هنا كما هو الشأن في كل بناء (المنزل. مثلا) لا بد من استعمال مواد (مفاهيم) ولا بد من إقامة علاقات معينة بين تلك المواد حتى يصبح بناء يشد بعضه بعضا (الاستدلال، أو المحاكمة العقلية)"[1]

فالخطاب؛ إذا كان يعبّر عن فكرة صاحبه، فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء. فإنّ الخطاب يعكس كذلك مدى قدرة صاحبه على احترام القواعد، أي على مدى استثماره لها لتقديم وجهة نظره إلى القارئ بالصورة التي تجعلها تؤدي مهمتها لدى هذا الأخير، مهمة الإخبار والإقناع"[2]. **والخطاب باعتباره مقروء القارئ**، أو مقول القول بتعبير المناطقة القدماء، هو ذلك البناء نفسه وقد أصبح موضوعا لعملية إعادة البناء أي نصا للقراءة، وكيفما كانت درجة وعي القارئ بما يفعل فإنه لا بد أن يمارس في ذلك النص ما يمارسه صاحب الخطاب عند بناء خطابه، والقارئ عندما يساهم في إنتاج وجهة نظر معينة من الخطاب يستعمل هو الآخر

---

(1) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الخامسة: بيروت، دار الطليعة، 1994 بيروت لبنان ص 10.

(2) محمد عابد الجابري، المرجع نفسه، ص 10.

(3) المرجع نفسه، ص 11.

أدوات من عنده، هي في جملتها وجهة نظر أو جزء منها أو عناصر صالحة لتكوينها، ومن هنا اختلاف القراءات وتعدد مستوياتها[1].

هناك أولا القراءة التي تقبل أو تريد، الوقوف في حدود التلقي المباشر، و"تجتهد" في أن يكون هذا التلقي بأكبر قدر من الأمانة أي بأقل تدخل ممكن. هذه القراءة تحاول أن تخضع نفسها للنص، تبرز ما يبرزه وتخفي ما يخفي لتقدم لها صورة "طبق الأصل-إلى هذه الدرجة أو تلك-عن المقروء، أي تعبيرا "مطابقا" لوجهة النظر الصريحة المكشوفة التي يحملها،.. مثل هذه القراءة نسميها قراءة "استنساخية" أو " قراءة ذات البعد الواحد" لكونها تحاول جاهدة أن تتبنى نفس البعد الذي يتحدث عنه صاحب النص"[2].

وهناك ثانيا القراءة التي تعي منذ اللحظة الأولى كونها تأويلا، فلا تتوقف عند حدود "**التلقي المباشر**" بل تريد أن تساهم بوعي في إنتاج وجهة النظر التي يحملها، أو يتحملها الخطاب. هي لا تريد ولا تقبل الوقوف عند حدود "العرض" و" التلخيص" و "التحليل".. بل تريده إعادة بناء ذلك الخطاب بشكل يجعله أكثر تماسكا وأقوى تعبيرا عن إحدى وجهات النظر التي يحملها صراحة أو ضمنا ومثل هذه القراءة هي "ذات بعدين" بالضرورة، البعد الذي يتحدث عنه كاتب النص، والبعد الذي يتحدث عنه القارئ، وتكون "ناجحة" عندما تستطيع توظيف البعدين معا في إنتاج بناء واحد منسجم متماسك"[3].

وهذا مستوى آخر من القراءة، تعمل على إخفاء التناقضات التي تقدم نفسها على سطح الخطاب المقروء، مجتهدة في تذويبها عن طريق "التأويل"، وإذا صادف القارئ تناقضا يتعدى سطح الخطاب إلى هيكله العام، كالتناقض بين المقدمات أو بين النتائج أو بين هذه وتلك، فقد لا يتردد في "التماس مخرج" حتى يتأتى له تقديم قراءته في صورة أكثر تماسكا وأقوى تعبيرا عما يريد هو إنتاجه من الخطاب"[4].

أما **القراءة** التي نقترحها، فيمكن القول أنها قراءة (تشخيصية) بمعنى أنها ترمي إلى "تشخيص" عيوب الخطاب وليس إلى إعادة بناء مضمونه... وبعبارة أخرى إن قراءتنا هذه تريد أن نعرض ونبرز ما نهمله أو نسكت عنه أو نتستر عليه. إنّها كشف وتشخيص للتناقضات التي يحملها الخطاب سواء على سطحه أو داخل هيكله العام"[5].

---

(1) المرجع نفسه، ص 11.
(2) المرجع نفسه، ص 11.
(3) المرجع نفسه، ص 12.
(4) المرجع نفسه، ص 12.
(5) المرجع نفسه، ص 12.

نحاول أن نسهم بوعي وتصميم في إنتاج مقروئنا، ومقروؤنا هنا ليس ما يقوله النص بل الكيفية التي بها يقول، هدفنا إذن ليس إنتاج أطروحات معينة من الخطاب الذي نتعامل معه ولا تفنيد أطروحاته، بل هدفنا حمله على "تفكيك" نفسه، على الكشف عن تهافته وتقديم تناقضاته ونقائصه عارية، بكل ضعفها وسذاجتها"[1]. وهذا كلّه ينفي وجود "تصادم" بين العقل والنص، وإنما ينشأ التصادم بين العقل وسلطة النصوص، وذلك أنه حين تتحوّل النصوص إلى سلطة مطلقة ومرجعية شاملة، بفعل الفكر الديني الذي حللناه في كثير من دراستنا وأبحاثنا تتضاءل سلطة العقل. وفي تضاؤل سلطة العقل يكمن التخلف الذي نعانيه على جميع المستويات والأصعدة. فادا أضفنا إلى ذلك ما سبق قوله في جانب أتباع "النقل"[2]. والحقيقة؛ أنه ليس هناك تصادم بين "**العقل**" و" **النص**" لسبب بديهي وبسيط، هو أن "العقل" هو الأداة الوحيدة الممكنة، والفعالية الإنسانية التي لا فعالية سواها، لفهم النص وشرحه وتفسيره. ولدينا هؤلاء المدافعون عن "النقل" بتشويه «العقل" والتقليل من شأنه: كيف يتلقى الإنسان النص ويتفاعل معه؟ لقد قام **الإمام علي ابن أبي طالب** في رده المعروف جدا والمشهور على الخوارج حين قالوا: "**لا حكم إلا الله**"، بتأسيس هذا الوعي الذي نحاول شرحه فقال:" **القرآن بين دفّتى المصحف لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال**". والدلالة الواضحة لهذا المبدأ المهم جدا والخطير، والمغيب تمام في الخطاب الديني المعاصر: أن عقل الرجال ومستوى معرفتهم وفهمهم هو الذي يحدّد الدلالة ويصوغ المعنى"[3].

فالتقنيات الحجاجية، إنما هي مقولات تجرّدت في البدء من كل وسم، فجاء المحاج بوصفه مستخدما، فعبّأها وملأها بشحن دلالية وبقيم تأويلية أدّتها وبلغتها حتى يحصل المبتغى ويصاب المقدّر، تحويل العقائد الرّاسخة والتأويلات الثابتة التي أحكم إبرامها أهل الظاهر من الأثريين وتعويضها بعقائد تأويلية تجني غياب النص وتحرّك الصامت فيه من خلال تجهيره وانطاقه"[4] باعتبار ذلك، المطلب التأويلي الوحيد الذي إن حازه المؤول كاشف العرش وتملّك المعنى"[5]. لذلك فإنّ **التقنيات الحجاجية** لا يمكن لها أن تنتج أفعالا، إلاّ إذا وُظّفت التوظيف القويم واستخدمت الاستخدام الناجع، فكأنّ فعل الحجاج، فعل تتكامل داخله المسالك وتتوحّد في محيطه الوسائط، فهو كلّ جامع وشيء محصّل. يبدأ:

---

(1) المرجع نفسه، ص 12.

(2) نصر حامد أبو زيد، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية، ص16.

(3) المرجع نفسه، ص 16.

(4) على الشبعان، تقديم/حمادي صمود، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص317.

(5) المرجع نفسه، ص317.

فهو النص حامل لعدة تجارب وخبرات يمكن من خلالها اعتباره عملية جمالية متواصلة بالقراءة. ولعلّ هذا ما جعل بعض النقاد يتحدّثون عنه باعتباره بنية دلالية يتمّ من خلالها إنتاج المعنى من لدن القرّاء الأكفاء"[1].

لكن؛ ليس كلّ القرّاء يتقنون استنباط دلالة المعاني من خلال قراءتهم مختلف النصوص، وليس في مقدور كلّ واحد يحمل تجرب وخبرة تحصيل نفس القراءة، وبالتالي، تظهر الكفاءة حينها لتحديد الفوارق العقلية والنفسية أثناء التفاعل مع النصوص، واكتشاف دلالة جديدة، أو إنتاج أفعالا من تلك النصوص على مستوى واحد. لذلك ظهرت ما يعرف بنظرية النص وعلاقتها بالقارئ، **فمن هذا القارئ الذي يتقن التعامل مع النصوص، أو مع كل ما هو مكتوب؟ وما هي أهم التقنيات الحجاجية التي يستعين بها لاكتشاف ما هو مستور في النص؟**

ج/_نظرية النص والقارئ:

لابد من وضع ضوابط تأويلية تراعي، إبّان أي عملية تواصل مع النص، الفهم والتوظيف الواعيين لما هو داخل لغة النص، وأيضا لما يقع خارجه من روافد لها حضور اجتماعي ونفسي في الصيغة النهائية لكل عمل إبداعي ونقدي. من هنا كان النص قائما على جانبين أحدهما ذاتي هو المتعلق بأسلوب المؤلف واختياراته الفكرية؛ وثانيهما موضوعي هو المتعلق بالطبيعة اللغوية للمكتوب والتي يمكن الاعتماد عليها المؤولين من إعادة بناء تنبئية يستطيع القارئ من خلالها استقراء عمليات التطور اللغوية بين عصري التأويل والتأليف"[2].

فالنص نفسه ناتج ينبغي أن يشكّل وضعه التفسيري جزءا من آليته التوليدية ذاتها. لذا فإنّ أي نص يجب أن يتوقع قارئا نموذجيا قادرا على أن يتعاون في التجسيد النصي بالطريقة المتوقعة منه (أي من النص)، وأن يتحرك تفسيريا مثلما يتحرك النص توليديا، لأنّ النص ليس شيئا آخر غير الاستراتيجية التي تكون عالم تفسيراته المشروعة. فالقارئ النموذج ليس قارئا اختياريا، وإنما هو مجموعة من الشروط القارة نصيا والتي ينبغي أن تحظى بالرضا حتى يصير المضمون بالقوة لنص ما مجسدا"[3].

أي إنّ التفاعل الذي يخضع له الباث في التواصل الفني تفاعل تخيلي، يستحضر مصدر

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص62.

(2) المرجع نفسه، ص64.راجع لتوسيع هذه الفكرة أومبرتو إيكو، التأويل والتأويل المفرط، تر/ ناصر الحلواني، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أغسطس 1996م، ص 110-113.

(3) المرجع نفسه، ص83.

الرسالة من خلاله متلقيا يجرده من ذاته، فتكون ردود فعله مؤثرة في عملية تكوّن الرسالة أثناء مراحلها الأولية، وهو نفس النظام الذي نلمسه لدى المتلقي، إذ يجرد من ذاته أثناء عملية القراءة "أنا" باثّة للرسالة تكافئ "**أناة" المتلقية**، فتمكنه من استحضار السياق الغائب عنه، ويحاول عن طريقها أن يمارس تطابقا معيّنا مع **الباثّ الفعلي** ليدرك محتوى الرسالة"[1].

وتلعب الأسانيد المعرفية المشتركة بين الكتاب والقراء الدور الأهم في إحداث الفعل وردود الفعل التأويليين، حيث إنّ هذه الروافد المعرفية تعوض الغياب في كلا النصّين (**نص الكاتب ونص القارئ**)، وهو في الحقيقة، إن أمعنا النظر فيه أمكننا تسميته "غياب القارئ": قارئ المبدع الأول وقارئ النص الذي يعيد نقديا إنتاج النص وهما قارئان لكلّ منهما خصائصه وملامحه وآفاق انتظاره"[2].

نفهم من هذه العبارة، أنّ النص يتعدد بتعدد القرّاء أكثر من إبداع صاحبه الأول، أي أنّ هناك نص واحد تتفرع عنه قراءات، لا يهم أن تكون صحيحة أم لا؟ وكل قراءة تشير إلى دلالة معينة من الدلالات، وهي قراءة انشطارية؛ فكيف نحكم على قراءة من القراءات، تتضمن كفاءة قارئها، وتحوّل تلك القراءة إلى فعل؟ **ولماذا لا نجد قارئ واحد لعدة كتب؟**

يمكن القول إن **التأويلية المعاصرة**(*) تتقاطع مع بلاغة التلقي في اهتمام كل منهما بالقارئ وقدرته وبالنص وانفتاحه، كما أنّهما تلتقيان مع بلاغة الحجاج في أنّ التعامل مع النص"[3]، قراءةً وتأويلا، ليس في الحقيقة سوى حوار حجاجي عالم **Argumentation Savante**". "فالجانب الشمولي **للهرمينوطيقا** عبارة عن بحث في الدلالات الموضوعية والذاتية للنصوص، ولا يتأتى ذلك إلا بالاستعانة بمعطيات عدة علوم حافة كعلم النفس والاجتماع واللغة والفلسفة. الخ، وذلك حتى يتسنى ربط الصلة بين تجارب القراء ونصوصهم، وبين ما تفتحه النصوص ذاتها من آفاق"[4].

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص90

(2) المرجع نفسه، ص71.

(*) هذا التصور التأويلي الحجاجي للنص نجده عند إيكوEco الذي اعتبر التأويل للكلمات شحنا لها بطاقات فعلية انجازية. كما أنه يصرح في كتابه "القارئ النموذجي" أنّ النص نسيج من الفضاءات والفجوات التي يجب ملؤها، وأن مبدعه كان يتوقع أن تمتلئ، لأنّ النص آلية تعيش على فائض قيمة المعنى الذي يدخله فيه المتلقي.

(3) راجع هذا التعبير عند: حسن حنفي، قراءة النص، مجلة ألف للبلاغة المقارنة، القاهرة: الجامعة الأمريكية، عدد 8، ربيع 1988م، ص18.

(4) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص63.

ولأنّ مهمة الهرمينوطيقا هي **فهم النص**... أحسن مما فهمه مبدعه.. "وهذا الفهم للنص في كليته لا بد من أن ينبع من فهم العناصر الجزئية المكونة له... ومعنى ذلك أن عملية تفسير النص على المستويين. تدور في دائرة ولا بد أن تستند إلى معرفة كاملة باللغة من جانب، وبخصائص النص من جانب آخر"[1].

إنّ عملية الحوار التأويلي هذه تتوقف نجاعتها على كفاءة المؤول، الذي (لا يؤول في الحقيقة إلاّ ما يعرف)، كما أنّها تعد أيضا عملية خلق جديدة، يتمّ بمقتضاها تنسيق العمليات الحجاجية الباطنية التي من خلالها تصاغ الردود والانتقادات والإثباتات، سواء أكان ذلك لدعم تصوّر النص أم لدحضه. والناقد إذ يقوم بأيّ من العمليتين، يتصوّر أمامه محاورين لكلّ منهما طبيعته الخاصة التي تملي شكل البناء الحجاجي الخاص به"[2].

ونشير إلى أنّ عملية تمثل هذه المحاور تعد مركبة. إذ بمقدار عمق تصوره وتخيّله، وما هو عليه من مستوى، تكون بلاغة العملية النقدية وعمقها: فهناك فارق بين أن نتخيّل قارئا متواضع المدارك تسهل استمالته، أو أن نتخيّل آخر بالغ الوعي والدُربة، وتبعا لكلا التصورين يكون مستوى الحوار"[3].

يرى الظاهراتيون **أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل مع الآخر فهما وإفهاما**، وذلك على مختلف أصعدة التواصل، كتابة وقراءة وسماعا.. وهم إذ يشيرون إلى ذلك يركزون على ملاحظة مهمة وهي أنّ النص يحمل في طياته عدة مكونات لا يمكن الوعي بها، إلاّ بالرجوع إلى مراجعها وروافدها، ومن أهم تلك المكونات المكوّن النفسي أو القصدي الذي يتّسم النص بمسمّيه الخاص، وبالتالي فالتواصل مع أيّ نص كما يقول **هوسرل-Husserl**في كتابه "**مباحث منطقية أولى**":" لا يصبح إلاّ لأنّ المنصت أيضا يفهم عندئذ **قصد المتكلّم**، وهو يفهم ذلك القصد متمثّلا المتكلّم، لا كشخص يبث مجرد أصوات، وإنّما كشخص يخاطبه، وبالتالي يقوم المنصت في الوقت نفسه، وبواسطة الأصوات، ببعض الأفعال الدالة التي يريد اطلاعه عليها أو إبلاغه معناها[4]. ولو بالإشارة إليها بحركات أو إيماءات تحتوي على معنى قصده المتكلم، فيردّدها بشكل آخر، أو تعبير يلخص الكلام في فعل موجز، يبرهن فيه على صحة فهمه للمغزى المطلوب فهمه، أو إيصاله في قصدية واضحة يفهمها الآخر. أو ربما يمتحن

---

(1) نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط5، 1999، ص22.

(2) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص65.

(3) المرجع نفسه، ص65.

(4) سبيلا وبنعبد العالي، اللغة، سلسلة دفاتر فلسفية، ص59.

المتكلم ذاك المنصت مدى تواصله معه، بطلب منه تكرار ما قاله ليدرك أنه على صعيد واحد من فهم ما يقصده أمام فئة من الناس، وذلك بتقديم البديل عن كلامه في صورة صوتية موجزة، كأن يعبّر له عن كلمة سرّية تحمل إشارة معينة، فتكون تلك هي حلقة التواصل بينهما. وهذا ما يدعّم ما كنّا أشرنا إليه سابقا، حول جدلية الفهم والحجاج في بلاغة التأويل، حيث نجد التلازم بينهما جليّا في عمليات التشخيص والتمثل للنموذج الأعلى والأعمق لكلّ من مبدع للنص الأصلي وللمتلقي اللاحق للنص الجديد"[1]. فتنتج عنهما قراءات، سرعان ما تتحوّل إلى ممارسات حجاجية فعلية.

وإذا تقرر أن كل منطوق به يتوقف وصفه بـ "الخطاب" على أن يقترن بقصد مزدوج يتمثل في تحصيل الناطق لقصد الادعاء وتحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض، بالإضافة إلى تحصيل الأول لقصد التوجه إلى الثاني وقصد إفهامه معنى ما، فاعرف أن المنطوق به الذي يستحق أن يكون خطابا هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى بـ "الحجاج"، **إذ حد الحجاج أنه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها**"[2].

يتضح أنّ **حقيقة الخطاب** ليست هي مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، بمعنى أنّ الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية، وليس **العلاقة التخاطبية** وحدها: فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب (بكسر الطاء) من غير أن تكون له وظيفة "المدعي" ولا مخاطب (بفتح الطاء) من غير أن تكون له وظيفة "المعترض"[3]. وإذا ثبت أنّ الحجاج هو الأصل في الخطاب، ثبت أيضا أنّ العلاقة الاستدلالية هي علاقة أصلية يتفرع عليها سواها ولا تتفرع على سواها؛ فإذا تضمن الخطاب علاقة تخاطبية، فيجب إذن ردها إلى **العلاقة الاستدلالية**،

فالتوجّه إلى الغير لازم من لوازم الادعاء، فلا يدعي إلا من يتوجّه كما أنّ الفهم لازم من لوازم الاعتراض، فلا يعترض إلا من فهم، والشاهد على ذلك ما يختص به اللسان العربي من استعمال لفظ واحد للدلالة على معنى " **القصد**" ومعنى الاستدلال معا"[4].

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، المرجع نفسه، ص73.

(2) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 226.

(3) المرجع نفسه، ص 226.

(4) المرجع نفسه، ص 226.

يؤكّد -بيرلمان – على أن بناء نظرية للحجاج يعد أمرا معقدا لارتباطها بعدة مجالات معرفية ونفسية؛ وأن معيار الحجاج الناجح لا ينبغي أن يؤخذ من النخبة، أي أن الأمر يتطلب تحليلا فلسفيا للخطاب الحجاجي لأنه ذو طابع عقلي بالأساس ولأنه يتوجه إلى مخاطبين تختلف دوافعهم إلى الفعل والتفكير"[1].

ويمكن أن نستنتج من هذا أنّ **بيرلمان- Perelman**، يحاول أن يجعل من الحجاج نظرية مطابقة للبلاغة، بحصر هذه الأخيرة. وقد وافقه في هذا التصور العديد من البلاغيين المعاصرين وخاصة **أوليفي روبول** الذي يعتبر أنّ كل ما في الرسالة اللغوية المكتوبة والمسموعة والمرئية من وحدات تكوينية هي "حجة في ذاتها، حتى الاستعارة التي هي استدلال قائم على المقايسة المكثفة... وبالمثل فالبلاغة لم تعد لباسا خارجيا بل إنّها تنتمي إلى بنيته الخاصة"[2].

إنّ الحجاج باعتباره حرية وحوارا عقليين، لا يمكن الاستغناء عن الأطر المكوّنة له والمحيطة به، وخاصة الاستدلال والخطابة، وان كان هو في جوهره أقرب إلى هذه الأخيرة، لأن الحجاج لا يكون في الأمور التي تثير الشك وتتطلب جهدا فكريا وعقليا لتدقيقها وكشف لبسها[3]. ولعلّ هذا سرّ جمع **بيرلمان-Perelman** في نظريته بين الخطابة والجدل الأرسطيين[*]، وقد ظهر ذلك الجمع في كون غاية الحجاج إحداث التأثير العلمي المتمخض عن التصورات العقلية المقدمة.

وفي إطار الاهتمام بميثاق التواصل والحوار بين المرسل والمستقبل، يؤكد أنه على المحاججين – مبدعين ونقادا-الوعي بمدى قدرة وكفاءة مخاطبيهم، إذ بذلك يستطيعون-أي المحاججين-أن يجرّدوا" [4] من أنفسهم أشخاصا يحملون سمات مخاطبيهم، فيحاورونهم ويسائلونهم، وهو ما من شأنه أن يثري الحوار ويفتح آفاقه.

---

(1) نقلا عن: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص105-106

(2) أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، تر/ محمد العمري، علامات، ديسمبر 1996م، ص77.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص108.

(*) الاستدلال عند بيرلمان استنباط نتائج من مقدمات، وتكون هذه النتائج منبثقة، بالضرورة ومن غير لبس، من هذه المقدمات، وبالتالي فهو أساس البحوث المنطقية. ويقضي الاستدلال أيضا أن تكون عناصره المكوّنة له غير قائمة على التعدد والاشتراك، بحيث تكون مشتركة بين كل الناس، ولا يثير تأويلها أي خلاف، وهذا بعكس الحجاج الذي لا تكون الحقيقة فيه مؤكدة ولا موضوعية، بل نسبية ذاتية مرتبطة بالمقام المنجب لها وبعناصره ووحداته". راجع Perelman Traité de l'argumentation، 161 op, cit,p151

(4) المرجع نفسه، ص109.

واضافة الى ضرورة احترام المخاطب- عبر المادة المقدمة إليه وطبيعة الخطاب-لابد من أن يمثّل الموضوع المطروق مشغلا معينا لدى المخاطب"[1].

ومن أبرز مظاهر كفاءة المحاجج منهجه في بناء خططه القولية، ورؤيته التي يؤسس عليها اختياراته في تقديم الفرضيات والمقدمات التي من حقّها التقديم في مقام خاص ومع جمهور بعينه، لأن وحدات البداية هي أهم ما يقرع الأذهان المتلقية ويحدد درجة القبول او الرفض للتصور المقدم:" ... وهكذا فإن ما هو حاضر في الذهن يكون أهم، وهو ما ينبغي على نظرية الحجاج أن تأخذه بعين الاعتبار"[2]. لذا فإنّ المحاجج إذا أحسّ بأنّ مخاطبيه يسلّمون سلفا بفكرة أو بعنصر يدعّم تحقّق ما يرمي إليه، فإنّ عليه إبراز هذا العنصر وتدعيمه بكلّ ما يعضدّه ويجعله حاضرا في المقدّمة ويزيد من أهميته"[3]. لذلك يقول طه عبد الرحمان:" إنّ الحجاج الفلسفي التداولي هو فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع الغير بصواب الرأي العروض أو ببطلان الرأي المعترض عليه استنادا إلى مواضعات البحث عن الحقيقة الفلسفية "[4].

فالحجاج إذا كان عبارة عن **فعالية تداولية**، فله خاصية إنسانية يتخاطب من خلالها البشر، من أجل التوصّل الى توافق حول قضية مشتركة، وعليه يكون الشرط الوحيد هو من يقدّم رأيه دون أن يعترض عليه الآخر، بحكم أنه يملك معطيات ليست عند الآخر، أو العكس. أي من يملك أدوات الإقناع حول تبرير ما يجده صائبا من أقوال شارحة لما هو واقع. ومن هذا المنطلق تحدّدت البلاغة الجديدة كونها عبارة عن "تقنيات خطابية قادرة على التأثير، وباعتبارها "فنًّا للإقناع بواسطة الخطاب"، وبوصفها "وسائط لفظية مؤثرة، حاملة على اعتقاد وجهة نظر أو تعديلها أو توجيه الآخرين إلى تأمّلها". أو أنّها "مسافة تخاطبية تزيد أو تنقص بحسب المقاصد"[5]. ومن الواضح أنّها تعتمد التوجّه الأرسطي الممحور لعملية الإقناع حول عقلنة الخطاب والتأثير بواسطة الأهواء، بمعنى أنّ أصحاب هذا التوجّه يوازنون بين البلاغة والحجاج لاعتبارات أبرزها: الحدّ المزدوج للغة، الذي بواسطته يمكنها أن

---

(1) Perelman CH.» Tyteca. Lempre rhétorique ; Rhétorique et argumentation. Paris. éd, Librairie Philosophique ,Vrin,1977 ;=Traité de l'argumentation, La nouvelle rhétorique, Préface de Michel Meyer, Bruxelles, Université de Bruxelles1983,4 éd, 5éd 1992,p17 18,

(2) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص114.

(3) المرجع نفسه، ص114.

(4) طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص66.

(5) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص10 -11

تؤثّر وتمنع وتقنع وتجمع القول إلى الفعل"[1] في صورة دليل يثبت صحة القول من عدمه.

أمّا صاحب **نظرية المساءلة**، فميّز بين جزأي الخطاب تمييزا داخليا من صميم بلاغة جامعة تسع ما اصطلح عليه **باللوغوس الفعلي والاسقاطي**، قاصدا بالأول الطابع الإقناعي المتميز بنظام ترابط الحجج، وبالثاني الفاعلية التأثيرية القائمة على الخيال والأحاسيس، وغيرهما مما يدخل في باب الحجج العاطفية، التي قد تعمل على خرق دقة ترتيب النهج السابق"[2]. "فالتمييز بين حجاجية وبلاغية الصور، في هذه الحالة يتمّ من داخل بلاغة دائمة الانتقال من وإلى المعنيين الظاهري والمجازي، الإقناعي والتأثيري. ولعل كل تقسيم لهما يكاد يكون متعذّرا لكون أحدهما مُسهما في وجود الآخر"[3]. وهذا يحتاج الى تشكيل قاعدة عامة تجمع بين مبدع الصورة البلاغية وسامعها المقتنع، نحاول شرحها بالتفصيل:

القاعدة العامة: من حيث تواضع مجمل نظريات الحجاج على كونه مساءلة للمسكوت عنه من موقع الاعتراض، أو من جهة الاختلاف الجزئي، بقصد استقصاء الأثر المضمن من القول؛ ذلك أن الحجاج يقوم أساسا على وضع حد لسؤال طُرح بهدف إيجاد جواب، يُتوقّع أن يكون نهائيا"[4].

-**الخطيب** مفهوم يتأسّس عبر الخطاب والصورة المنسوبة للمتكلّم.

- **الخطيب** متّصل بمسار تفاعلي ذي أثر على الآخر.

-**الخطيب** مقترن بوضعية تواصلية معينة، مندرجة ضمن أوضاع سوسيو تاريخية محددة"[5].

والنص حجاجي من وجهة نظر البلاغة الجديدة حين يحمل بذرة خلاف، تتضمن قصدا تأثيريا، مضمرا أو معلنا، بنيّة تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب أو حمله على مزيد موافقة داخل مسار تواصلي غير إلزامي. وللرؤيا وعي واضح بهذا التوجّه (حتى قبل التنظيرات الحديثة)"[6]. فكيف ذلك؟

---

(1) المرجع نفسه، ص20-21.

(2) المرجع نفسه، ص8.

(3) المرجع نفسه، ص95.

(4) المرجع نفسه، ص143.

5-C, Perelman, J émpire rhétorique, et argumentation, VrinK2002, P28,

(6) أمينة الدهري، المرجع نفسه، ص6.

د/_البلاغة الجديدة عند برلمان:

1/_البلاغة الحجاجية عند بيرلمان:

البلاغة الحجاجية عند بيرلمان[*]ليست قصرا على الصور المجازية، ولا برهنة ديكارتية صارمة، بقدر ما هي عقلانية خارج الأنظمة الصورية للعلم؛ واحتمالية دون تضليل، هدفها دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها إحداث أو زيادة موافقة الآخرين على الأطروحات المقدمة إليهم بقصد قبولها"[1]. إنّ بيرلمان يعيد اللغة في شقّها الجدلي إلى قطب تصوّره، ويجعلها محطّ مشروع تأمّلي مفصّل يعتبر الحجاج خطابا ذا استدلال منظم باحث عن منطق للقيم، متوجّه إلى "مستمع كوني «،ثم إنّه في الشق الآخر، يسخّرها لاستجلاب مؤازرة الآخرين"[2].وهذا؛ يعتبر كتاب الباحث "الخطاب والحجاج «لبنة أساسية في الدراسات الحجاجية وإضافة نوعية انتقلت من حجاجيات الجملة أو النص إلى حجاجيات الخطاب بما هو المجال الرّحب للحجاج"[3]، وبوصفه المحضن الأساس الذي تتجلى فيه بشكل أكبر طرائق اشتغاله ووجوه استعماله"[4]

إنّ الخطاب يرمي دائما الى تغيير أوضاع المتلقين الذين يوجّه إليهم. وهو باستخدامه الكلمة ذات الخصائص التقويمية والاقتضائية القائمة في اللغة. وذات الدلالات المضافة القادمة من الاستعمال، يكون ذا فاعلية أكبر في تغيير أوضاع المتلقين تلك. كما أنّ الخطاب إذ يعمد إلى اختيار كلمة.. مما يرادفها، إنما يرمي إلى مزيد التأثير في نفس المتلقين على أساس أنّ الكلمة المختارة أعلق بعالم خطابهم وأمضى فيه بما لها من زوائد معنوية جاءتها من اللغة من اللغة أو من الاستعمال"[5].

و الكلمة تسهم في تغيير المقام ولا تكتفي بجعل المقام.. يشحنها بالدلالة. وللكلمة خصائص في ذاتها تستمدها من اللغة ومن التداول تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات

(*) إلاّ أنّ الاهتمام بالحجاج عاد مع كتابات الفيلسوف البلجيكي بيرلمان(Perelman)، الذي نشر مع أولبريتش-تيتكا(Olbrechts Tyteca) في عام 1958م الكتاب الذي ترك أكبر الأثر في دراسات الحجاج الى اليوم، وهو كتاب:"رسالة في الحجاج: البلاغة الجديدة(Traité de L argumentation, la nouvelle rhétorique)، كما لا يمكن تجاهل الدور الذي قام به تولمين(Toulmin) أيضا من خلال نشره في العام ذاته، لكتابه المعروف:"استخدامات الحجاج(Les usages de L argumentation).(راجع : فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص9.

(1) راجع : فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص9.

(2). المرجع نفسه، ص9.

(3) أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص34.

(4) المرجع نفسه، ص.122.

(5) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص73.

صبغة حجاجية، وترشّحها لتكون من معجم الخطاب الحجاجي وقوام جداوله اللغوية"[1]. وإنّ لها في الخطاب، بناء على تلك الخصائص، حركة تقصي فيها غيرها وتعوّضه وتحلّ محلّه ليكون الخطاب أوغل في الحجاج وأذهب في الإقناع. نسمي تلك الخصائص،" خصائص الكلمة الحجاجية" ونسمي هذه الحركة "حركة الكلمة الحجاجية"[2]. لذلك لا يقتصر عمل صانع الخطاب على مجرّد عرض المقدمات الحجاجية عرضا بتوالي أو بتفاوت بل إنّ عمله يتجاوز ذلك ويتعدّاه إلى إجادة العرض وحسن البسط. وهاتان القيمتان لهما صدى كبير في صناعة الاقتناع واستثارة التصديق في الجمهور الحاضر أو المفترض بوصفه مقولة تجرّد أو تمثّل، تستحضر أو تدرك"[3].

إنّ منتهى الحجاج الناجع بناء واقع جديد يُقنع به المُحاج جمهوره ويرسم من خلاله معالمه الرؤيوية وهيئاته التصوّرية. وهذا الواقع المبني على نماذج اعتقادية وتصورات رمزية يتأسّس من خلال جملة من الوسائط وجمع من الحالات الخاصة التي تمضي بالفعل الحجاجي إلى أقصى مراتبه تأثيرا وتوجيها"[4].

فالحجاج داخل هذا المقام النظري الذي نستهدي ببعض تعاليمه، لا يرتهن بالأسر المنطقي الذي يقصر الحجاج على الإجراءات المنطقية الشكلية بل يفتح العمل الحجاجي على ملكات في الإنسان غامرة ومناطق في كيانه ضامرة يدمجها في دورة الخطاب، نظرا الى ما يرشح عنها من ادوار تقوّي الأفعال وتضمن الإقناع"[5]. فالخطاب الحجاجي من الناحية النظرية خطاب متحرّك، منتهى حركته تبديل عقائد الجمهور وتغيير تصوراته وفق ما يصادر عليه المُحاج وما ينوي توصيله"[6]. ولأنّ المُحاج، مُطالب حتى يدرك خطابه النجاعة والتأثير، أن يستبطن دواخل المخاطبين ويسيطر على أمزجتهم، وقد تفطن كل من **بيرلمان وتيتكا** في مصنفهما إلى هذا الدور الذي يجب أن يضطلع به المحاج"[7].

---

(1) المرجع نفسه، ص73.

(2) المرجع نفسه، ص73.

(3) على الشبعان، تقديم/حمادي صمود، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص111.

(4) المرجع نفسه، ص165.

(5) المرجع نفسه، ص240.

(6) المرجع نفسه، ص250.

(7) المرجع نفسه، ص263.

2/ -سياق الكلمة:

✓ -الدلالة السياقية:

وذلك بأن تكون الكلمة الواحدة ذات وجوه دلالية مختلفة باختلاف السياقات اللغوية التي ترد فيها. وقد عولجت مسألة الدلالة السياقية نظريا من خلال الكلام على نظرية النظم عند الجرجاني خاصة، ومورست تطبيقيا، ولكن دون سند نظري على ما يبدو، في ضرب خاص من الكتب المذكورة، هي كتب " الوجوه والنظائر"[1].

✓ دلالة تفسير معنى مقتضى الحال:

إنّ المقتضى المعجمي الذي للكلمة يشكّل محتواه، فيما نرى، "ملفوظا" ضمنيا يقبع تحت المحتوى الملفوظ المنطوق. وهكذا فإنّ قولنا:" أنكر أنّني صديقه " ملفوظه المنطوق هو من قبيل " **تنكّرلي**"، وملفوظه الضمني الناشئ عن مقتضى " **أنكر**" هو " أنّني صديقه" [2].

فلابد من تمعن النظر في معنى اللفظ من خلال النظر في محتواه، لا من منطوقه، لأن دلالة الصداقة ليس الإنكار، وإلا كان الصديق كغيره من الناس. حيث لا يلقي اللوم على من لا يعرفه، حين ينكره في الطريق.

---

(1) المرجع نفسه، ص78.

(2) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص90.

المحور الثاني
نظريات الحجاج وتصنيفاته

المحور الثاني: نظريات الحجاج وتصنيفاته.

أولا/-نظرية الحجاج في اللغة:

هي نظرية دلالية حديثة تقدّم تصورا جديدا للمعنى من حيث طبيعته ومجاله، وتقدّم أيضا أفكارا ومقترحات هامة بخصوص عدد كبير من الظواهر اللغوية"[1] التي من شأنها أن تكوّن دلالات ذات معاني تساهم في صناعة فكرة معينة.

لقد انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أسّسها **أوستين وسورل**، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء "أوستين بالخصوص، واقترح في هذا الإطار، إضافة فعلين لغويين هما: فعل الاقتضاء وفعل الحجاج. وبما أنّ نظرية الفعل اللغوي عند أوستين وسورل؛ قد واجهتها صعوبات عديدة...فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم التكليم أو الإنجاز (**L'illocutoire**)، مع التشبث دائما بفكرة الطابع العرفي(**Conventionnel**)للغة. وهو يعرفه بأنّه " فعل لغوي موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات. ففعل الحجاج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار. والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلّق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تناميه واستمراره"[2]

فهؤلاء اللغويون والفلاسفة يرفضون أن تكون الوظيفة الأساسية للأقوال في اللغات الطبيعية هي الإخبار، أي نقل معلومات عن العالم الخارجي، أو تقديم تمثيلات لهذا العالم، بعبارة أخرى، يرفضون أن تكون الأقوال والجمل ذات طابع وصفي إثباتي، وأن تكون أيضا قابلة لأن توصف بكونها صادقة أو كاذبة"[3]

لقد تمكّنت هذه النظرية من التغلّب على كثير من المشاكل والصعوبات التي كانت تعترض المقاربات الوصفية والماصدقية للمعنى، وخاصة المشاكل المرتبطة بالدور التفسيري لمفهوم الصدق (La vérité). لذلك قد تندرج ضمن تيار حديث في الأدبيات اللسانية، لا يعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة، بل إنّه على العكس من ذلك، يسند إليها دروا ثانويا"[4].

---

(1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص8.

(2) المرجع نفسه، ص15-16.

(3) المرجع نفسه، ص115.

(4) المرجع نفسه، ص9.

نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع كثيرة من النظريات والتصورات الحجاجية الكلاسيكية التي تعدّ الحجاج منتميا إلى البلاغة الكلاسيكية(أرسطو) أو البلاغة الحديثة (برلمان، أولبريخت تيتكا، ميشال مايير) أو منتميا الى المنطق الطبيعي (جان بليز غريز).

إنّ هذه النظرية التي وضع أسّسها اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو(**O ;Ducrot**) منذ سنة **1973**م، نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤدّاها: "**إنّنا نتكلّم عامة بقصد التأثير**"[1].

ومعنى هذه الفكرة الشائعة، هو الكلام المؤثر، غايته تحقيق نتيجة، وإلا كان كلامنا عبث يدور في فراغ، فنقول البعض من كلامنا يجب أن يكون مؤثرا لكي يحقق هدفه الوحيد، ألا وهو الإقناع بفكرة معينة قد تكون نافعة. وكما يقال، فإنّ الكلام الذي لا يحقق هدف، هو هدر أو كلام عبث، وصاحبه لا يعبّر عن شخصية حكيمة، تزن كلامها، أو شخصية ليس لها أي اعتبار، وصدق سقراط عندما قال: لأحدهم:" **تحدّث حتى أراك** ". فالشخص يوزن من خلال كلامه المؤثر المؤدي الى تحقيق هدف. وإلا ما الفائدة من الكلام الفارغ والساذج الذي يعيب متكلّمه أمام الآخرين.

وقد يعبّر الكلام المؤثر المؤدي الى تحقيق الهدف، عن تمام استعمال اللغة لقياس مدى قدرتها الإنجازية، أو الفعل المترتب عن لفظة معينة، وهذا هو الأمر المهم للحديث عنه، في العنصر الآتي:

ثانيا: استعمال اللغة والفعل اللغوي والقوة الإنجازية.

ويتعلّق الأمر هنا؛ بالأقوال الموجهة إلى تحديد وتعيين مواقف المتكلم، أو إلى تمكينه من تحقيق أفعال كلامية مثل السؤال والأمر والتهديد، وبخصوص مثل هذه الأقوال، فإن مسألة الصدق والكذب لا معنى لها. فالجمل الأمرية أو الاستفهامية، لا تصف أي واقع. ولا يمكن.. أن يقال إنّها صادقة أو كاذبة، ولكن مجرّد النطق بها يشكّل في حدّ ذاته فعلا معينا"actionacte/"[2].

---

(1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص14.

(2) المرجع نفسه، ص116.

وهي أقوال يمتزج فيها القول بالفعل، ومن هنا العنوان الدال والمعبّر **لكتاب أوستين**: "**عندما يكون الكلام فعلا**" أو «**عندما نقول، فإنّنا نفعل**" **quanddire=c ést faire**". ويمكن التمثيل للأفعال اللغوية أو الأقوال الإنجازية بالجمل التالية:

- أنتَ مطرود من عملك.
- أهنئك على نجاحك.
- أنتِ طالق.
- أعلن افتتاح الجلسة"[1].

الشرح:

إذن؛ الفعل اللغوي؛ هو فعل مؤسساتي، فكثير من الأفعال اللغوية يرتبط انجازها وتحقيقها بالعديد من المؤسّسات الاجتماعية، لكن هذه الأفعال تنجز داخل اللغة وبواسطتها، ومن هنا نسميها بالأفعال الكلامية أو اللغوية. إنها أقوال بسبب طبيعتها اللغوية، وهي أفعال لأنها تهدف إلى تحويل الواقع أو تغيير العلاقة مع العالم... ثم إنّ التكلّم واستعمال اللغة هو نوع من التعهّد والالتزام، وتحمّل المسؤولية والواجبات"[2]

أ-استعمال اللغة والفعل اللغوي:

اللغة بحكم طبيعتها العرفية والقانونية والمؤسساتية، وبحكم سلطتها وقوة كلماتها، تكون ملزمة للأنا والآخر، وبعبارة أخرى تستعمل للإلزام والالتزام، وستتجلى لنا سلطة اللغة أو سلطة الكلام بشكل أكبر عندما نقف عند بعض المعايير والمبادئ التي تعتمد عادة في التصنيف والتمييز بين الأفعال اللغوية. ونبدأ بالمعيار الأول الذي هو مسألة المطابقة بين الكلمات والواقع، وهو معيار يمكننا من التمييز بين **الأفعال الأمرية** (الأمر، النهي، الطلب، التحذير) التي يكون فيها الواقع مطابقا للكلمات، وبين الأفعال الإثباتية التي تكون فيها العلاقة تناظرية بين الكلمات والواقع، أي كلا منهما يطابق الآخر. ويهمنا هنا النمط الأول الذي يجعل فيه المتكلم الواقع مطابقا لكلماته"[3].

ب-مقولة عدم مطابقة مقتضى الحال (بعض الأفعال قابلة للتمييز).

إنّ أول ما ينبغي أن نتذكره هو أنّنا حينما ننطق بالعبارات الإنشائية فنحن على وجه

---

(1) المرجع نفسه، ص117.

(2) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص119.

(3) المرجع نفسه، ص124.

القطع ننجز أفعالا بالمعنى الصحيح لهذا التعبير. وإذن فمن حيث كونها أفعالا فقد تتوجّه إليها ضروب معينة من عدم الرضا والقبول شأنها في ذلك شأن سائر الأفعال الأخرى...وأعني ان هذه الأفعال بوجه عام (وليس كلّها) قد يكون من شأنها أن تنجز تحت طائلة الإكراه... كالذهول عن الأغراض وسوء التقدير أو غير ذلك من عدم النية"[1].

وبدون شك فإنه من الواضح وهذا أمر جدّ مهمّ، أننا نستعمل عند اقتضاء قرائن الأحوال الصيغة: " **أذهب** " لننجز على وجه مخصوص ما يمكن انجازه بالعبارة:" **آمرك أن تذهب**". وحينا يقع لنا أن نصف فيما بعد ما أُنجِزَ من عمل، نقول في كلتا الحالتين، وبكل اطمئنان:" **إنّي أمِرتُ أن أذهب**". غير أنه ربما كان دائما على الاشتراك، والمفيدة باستعمالها عموم الفعل وشموله كصيغة الأمر. "**اذهب**"؛ فلا ندري ما إذا كان المتكلم يأمرنا (أو أنه يقصد توجيه الأمر لنا) بالذهاب أو أنه ينصحنا أو يتوسل إلينا على وجه الاستعطاف أو غير ذلك من مقتضيات صيغة الأمر "[2]

فنتبيّن أن الشخص الذي هو معمول فعل: " آمرك " قد أصبحت له سلطة يسندها إليه على وجه صريح أو ضمني، في أن يأمر كأن يقول: " **إنّي أعد أن أنجز ما أنت تأمرني به** ". وهذه طبيعة الأمور من إحدى علامات عدم اليقين"[3]. وربّما لم يفهم الشخص من ألفاظ العبارة على أنها وعد أي فيما يخص قرائن الأحوال والأوضاع لم يكن الشخص مطّلعا على ما تعارفه الناس من النهج المسلوك الذي على أساسه أنجز مخاطبه الأصلي عبارته وفق الأساليب المتبعة في التفهيم"[4].

في الحياة العادية لا نلتزم هذه الصرامة في تأدية الأفعال". ويمكن أن نقارن هذه الحالة أيضا بسوء الفهم(...) إلاّ أنّها ستكون حالة من نوع خاص من سوء الفهم واللبس، إذ لها تعلّق بقوة أصر التلفظ بالعبارة في مقابل معناها. والنقطة الأساسية هنا ليس كون المستمع لم يفهم شيئا، بل لأنه لم يكن عليه أن يتكلّف الفهم، أي أن يتأوّل الأمر الموجّه إليه"[5].

ومن أمثلة ما يعوزه التفكير، ولا تتوفر فيه شروط أحكام النظر:

---

(1) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص33. بتصرّف.

(2) المرجع نفسه، ص45.

(3) المرجع نفسه، ص46.

(4) المرجع نفسه، ص46.

(5) المرجع نفسه، ص46.

قولي لك: "**إنّي أنصح لك بهذا** "، وأنا لا أعتقد أنّ هذا هو الطريق الأمثل لك، والموصل إلى قصدك". وقد أصرح:" إنّ هذا الرجل ليس متهما-فأنا أبرئ ساحته، وأخلي سبيله"، مع أنّي أعلم علم اليقين أنه مرتكب الجريمة "[1].فكلّ هذه الأفعال المنجزة هنا، لا تعتبر منعدمة، فأنا قد تقدمت واقعيا بنصحي، وأصدرت حكمي، وإن كنت مع ذلك خارجا من الصدق. ومن الواضح الجليّ، أنه يوجد هنا تواز ظاهر مع عناصر تعمّد الكذب"Lying" ونحن ننجز فعل كلام" **Speech act**" من نوع **الحكم والتصديق Assertive**» (في معناه المنطقي)[2].

منها: أنه يجوز أن أهبَ شيئا لا أملكه على الحقيقة (وإن حصل أن فكرت أنه قد يكون لي). ولك أن تقول أنّ إيقاع هذا الفعل يندرج تحت مقولة عدم مناسبة التطبيق، وأنّ الملابسات والأشياء، والأشخاص ليست كلّها هي تلك التي تناسب نهج إعطاء الهدايا. إلا أنه كان عليك أن تتذكّر بأننا قلنا إنه ليس واردا أن نبحث هنا جميع أوجه عدم مطابقة مقتضى الحال، ولكن ما يثيره الغلط، وما يتسبب فيه عدم الفهم هو أن نلاحظ أن الفعل يتولد وينشأ لا غيا، وإن كان يقبل الاعتذار عن تنجيزه"[3].

لابد أن تتوفر شروط معينة؛ كأن يكون التلفظ بالعبارة مطابقا لمقتضى الحال على وجه مناسب ومقبول...ومن الواضح أن الحديث قد جرّنا إلى القول بأنه لكي تكون العبارة الإنجازية مطابقة لمقتضى الحال ينبغي أن يكون إثبات الحكم في القضية موصوفا بالصدق " to be true" وقد تظهر هذه النتيجة التي عثر عليها البحث تافهة في بادئ الرأي ما في ذلك شك"[4].

لقد جرت العادة في أيامنا هذه أن نقول:" إنّ إثبات الحكم هنا ليس كاذبا"، لآنه لا يشير الى مرجع، وقضية المرجع أمر ضروري سواء بالنسبة للصدق أم للكذب... وجمهور الناس يقولون:" إنّ هذا السؤال غير وارد، ولا محل له هنا. أما أنا فإني أجزم القول:" بأنّ كل عبارة متلفظ بها على ذلك النحو فهي عديمة الأثر، كأن لم تكن "[5].

ذلك؛ تبيّن لك بالضبط أنّ الغرض والقصد من إثبات الحكم في القضية يكون فاسدا باطلا بسبب تناقض داخلي(...) كحال فساد الغرض حين إبرام العقد إذا صرحنا:" بأنّنا نعد،

---

(1) المرجع نفسه، ص54.

(2) المرجع نفسه، ص 54.

(3) المرجع نفسه، ص56

(4) المرجع نفسه، ص59.

(5) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص64.

ولكن لا نلتزم بالوفاء)، لأننا بكل واحد من ألفاظ هذه العبارة نلتزم بالوفاء، ثم نتنكّر للوفاء بالالتزام، وهذا استطراق لنهج ينقض نفسه بنفسه. فكلّ ثبوت حكم ما يلزمنا "[1].

كان علينا أن ننظر في جميع الأوضاع التي صدرت فيها العبارة. وذلك بالضبط هو مجموع أفعال الكلام، إن أردنا أن نتفهّم ذلك التوازي الحاصل بين إثبات الأحكام وبين العبارات الإنشائية الدّالة على التنجيز، كما نتفهّم كيف دخل الغلط على كل واحدة منها، ومن أين أتاها. ومع ذلك فمجموع أفعال الكلام منظورا إليها من جميع أحوال التخاطب وأوضاع الكلام إنما تصدر من التدرج المنطقي كأمر أساسي في الحالات المخصوصة. وهكذا إنما عمدنا من أجل ذلك إلى أن نقارن العبارة الخبرية بأختها الإنشائية"[2].

وكذلك نطقي (مُجرم) عبارة تكافئ في المعنى:(**أحكم، أنطق عليك لا لحكم أو أعتبرك مجرما**)"[3]. ومن شأن هذا التصريح بالمتضمن والكشف عنه أن نجعل العبارة المتلفظ بها في حكم الإنشائية وإن إيقاع الفعل، قد تمّ تنفيذه، وإنجازه، والفراغ منه. فإن لم يمكن ردّ العبارة الإنشائية إلى مثل هذه الصور الصريحة جاز الحكم عليها باطراد من كونها غير إنشائية مثلا:" هذا لك:it is yours ". يمكن أن نحمل هذه العبارة على أنها مكافئة إما إلى أنك قصدت بها:" أعطيك إيّاه". وإما أنها تعني:" هذا كان لك من قبل". وفي الحقيقة يمكن أن تحمل كل ما يستعمل مكتوبا أو إشارات ورموز على ألواح الطرقات" على أنه إنشاء، وقد لا تدل تلك الرموز على الإنشاء"[4].

1-الصيغة الإنشائية الأصلية:" سأكون هناك ".

2-الصيغة الإنشائية الصريحة:" أعد بأن سأكون هناك ". وقد قلنا بأنّ هذه العبارة الأخيرة هي تصريح بالضمني لطبيعة العمل المفعول والذي تمّ إنقاذه حين إصدار العبارة أي " سأكون هناك ". وهذه عبارة صريحة في القصد أو الإعلان عن العزم"[5].

وأي فعل مفعول تقصد: وإذن لا تدل هذه العبارة:" أعد أن ..." على شيء من ذلك بالوضع اللغوي. فهي صياغة ليست مخصوصة، لأن تصف شيئا ما إذا أنّها لا يمكن أن تكون صادقة

---

(1) المرجع نفسه، ص65.

(2) المرجع نفسه، ص65.

(3) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص78.

(4) المرجع نفسه، ص 78.

(5) المرجع نفسه، ص87.

ولا كاذبة. ولأنّ قولي " **أعد أن**"؛ يجعل من هذه الصياغة وعدا، ووعدا مكشوفا غير مبهم ولا غامض. ونستطيع الآن أن ندّعي أنّ مثل هذه الصياغة الإنشائية (**أعدُ**) تدل دلالة واضحة، كيف أنّ ما يُقال ينبغي أن يُفهَم على هذا الوجه، وأنّه بالإمكان تخريجه على ذلك النحو. بل نذهب في ادعائنا أنّ هذه الصياغة الأخرى (يثبت أنّ) دالة على أنَّ وعدا قد تم إنفاذه، وفرغ منه."[1].

وفي **لغة الكلام المكتوب**، فنحن نعتمد على استعمال الظروف وما تركّب منها من صيغ تركيبا إضافيا أو مزجيا، وهكذا نستطيع أن نضيف تقوية للمعنى في العبارة (سأعمل) لفظا دالا على الجهة مفيدا للاحتمال والإمكان، وأقول:" **سأعمل جهد الإمكان**"[2]. ويساعد التلفظ بالكلام استخدام الحركات والإشارات (من غمز بالعين وتحريك للأيدي، ورفع للكتف، وتقطيب للوجه وعبوسه) أو أفعال طقوسية غير لفظية، وهذه الأنواع من التعابير الحركية تستخدم أحيانا بدون أن يحرك الإنسان لسانه، وأهمية هذه الطرق والوسائط في التعبير واضحة لا تحتاج إلى شرح"[3]

- هل يمكن أن ننجز الفعل بدون أن ننطق بكلام ما؟ وهل يمكن أن ننجز الفعل طوع إرادتنا. وهل ننوي أن ننجز الفعل حقا؟ [4]

والبنية الأساسية هنا كهيكل عام للعبارة المتلفظ بها قد تكون لها على وجه العموم أو غالبا صورة " **الإثبات-Statement**[*]"، أو الحكم المثبت، إلا أنّ صيغة الفعل الإنشائي الصريح يوجد في صدرها ما بين كيف أنّ الإثبات ينبغي أن يكون مستفادا من فحوى الخطاب وسياق التحاور والتخاطب أو بوجه عام من الموصوفية والمعروضية"[5].

---

(1) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص88.

(2) المرجع نفسه، ص92.

(3) المرجع نفسه، ص93.

(4) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص104.

(*) قد يجوز مثلا أن أثبت شيئا لشيء آخر أو أن أنفيه عنه بدون أن يكون قولي قاصدا لذلك الغرض. بينما العباراتان: " أثبت " و " أنفي " لا تدلان على الإنشاءات الصريحة الخالصة الا على جهة مخصوصة لا تهمنا في هذا الموضوع، وقد يستدل بحركة من رأسي على موافقتي كما يستلزم الاثبات-Implication " والنفي من منطوق قولي، ومن كنايتي عن الشيء الآخر... وان كنت لم أفصح عنه، لا على معنى ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه وإثباته من جهة أخرى كأني أظلّ ثابتا على موقفي لا أزول عنه."(68).

مثال: أنا متأسف... وهي عبارة تكافئ أحيانا " أعتذر" . وأونة أخرى تصف إحساساتي"..(راجع : أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة ، ص107 بتصرف.

(5) المرجع نفسه، ص105.

ويبدو أن كثيرا من هذه الصيغ الفعلية تتوفر على صفة الإنشاءات الخالصة على نحو مقنع.. فمثلا عندما أقول: " إنّي أتوقّع "، فإنّ القضية التي تتلو هذه العبارة يشبه أن تكون عادة اثباتا، أو حكما مثبتا...إلا أنّ صيغة الأفعال ذاتها قد يظهر من أمرها أنها دالة على الإنشاءات الخالصة"[1].

وبعبارة أخرى؛ أنّ التكلّم بكلام ما علة وجه دون وجه هو أن فعل شيئا ما. وربما أيضا وجب أن نعتبر مختلف الحالات التي إذا قلنا فيها شيئا ما تأدينا إلى **وقوع الفعل**.". فنحن عندما نصدر عبارة ما أيّا كان نوعها، أفلسنا نفعل شيئا ما؟ وبالتأكيد فإن وسيلتنا التي بها نتحدث عن التصرف-Action متهيئة، ومعرضة للخلط كسائر الوسائل الأخرى"[2].

نقول أي شيء كان يقصد به انه يجب أن ننجز شيئا ما، ولكن قد ندل على أنّ قول شيء ما هو التلفظ على وجه يتضمن إثبات أمر في الخارج بالمعنى الأصلي لفعل (قال Say) وبدون الدخول في التدقيقات والتحريات اللفظية ينبغي أن نتفق على أن قول شيء ما :

(أ-1) هو دائما انجاز فعل التلفظ بأصوات مقروعة من مخارج معلومة(...)، لأنّ التلفظ هو إحداث صوت على صورة معلومة.

(أ-2) وهو دائما فعل النطق بألفاظ أو كلمات أعني أصواتا من نوع خاص"[3].

واضح جدا أن النطق بشيء ما، في المعنى المعتاد، هو إيقاع الفعل وإحداث أمر ما، وهذا يقتضي أيضا التلفظ بأصوات مقروعة، محمولة في الهواء، ثم إن النطق بكلمات مؤلفة بتركيب مخصوص، والتكلّم إنما ذلك كلّه، هو " **الدلالة** "، بالمعنى المفضل لدى الفلاسفة، إذ هذا المصطلح الأخير، وهو الدلالة، يجمع المعنى والمرجع معًا.

وإنّ فعل "التكلّم بشيء ما"، بالمعنى الواسع لهذا المركب إنما أسميه بل أمنحه هذا اللقب وهو انجاز **فعل الكلام-Locutionnaire acte**"، ومن هذا السياق فإنّ دراسة العبارات المتلفظ بها هي في الحقيقة، ولنفس السبب دراسة أفعال الكلام وإن شئت قلت دراسة الوحدات الشاملة لعناصر التكلّم-Speechاللغوي"[4].

---

(1) المرجع نفسه، ص106

(2) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص111.

(3) المرجع نفسه، ص111.

(4) المرجع نفسه، ص115

ج-استعمال الألفاظ مقرونة بمعنى ما(بالمعنى والمرجع).

إذا قال قائل:" **إنّ القطة توجد فوق الوسادة** "؛ فهو يخبر بفعل كلامي، بينما إذا قال:" بأنّ القطة كانت موجودة فوق الوسادة"؛ فهو مخبر بكلام خطابي.

ومن الواضح أنه لكي ننجز فعلا كلاميا، وجب أن أؤدي فعلا صوتيا، وإن شئت قلت، في احداثي وإيجادي لأحدهما، **وجب أن أكون فاعلا**. لا على معنى أن الأفعال الكلامية هي فئة جزئية داخلة تحت الأفعال الصوتية، لأننا قد عرفنا فعل الكلام بكونه النطق بالألفاظ من حيث هي منتمية الى معجم ما"[1].غير أن فعل الكلام **locutionnaire** "، مثله في ذلك مثل الفعل الصوتي، يمكن أن يحاكي وأن يقلّد كما يمكن أن يتجدد حصوله (ويدخل في ذلك تجميل الصوت وتنغيمه، والغمز بالعين وحركات الجسم وإشاراته..)؛ فأحدُنا لا يمكنه فقط أن يقلّ الإثبات في هذه الجملة المقتبسة (لها شعر جميل)، بل وأيضا يمكنه أن يتفنّن في تنويع إخراج نبرات الصوت، كأن يقول لها:" ما أجمل شعرك"؛ بإطالة نطق لفظ الشعر، والتشديد عليه(وهزّ كتفه دلالة على الاستحسان)[2].

وعلى هذا فالنطق هو وحدة متكاملة للغة-**Langage**»، وخصوصية الخطأ في النطق تكون بعدم تأدية المعنى-وهو الخلو من تحصيل الفائدة. أمّا القول الخطبي فهو وحدة الكلام **Speech**". وعلى ذلك فإنجاز كلامي **Locutionary act**"بوجه عام أن جاز هذا القول هو في ذات الأمر، أيضا نجاز قوة فعل الكلام **Illocutionary act**"كما اصطلح على ذلك. وهكذا فبإنجازنا لفعل كلامي سنكون أيضا منجزين لبعض ما تناوله كلامنا، وما لم يتناوله"[3]. وبالتالي قوة فعل الكلام، لابد أيضا من أن ننجز نوعا آخر من الأفعال، كأن نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانا أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته. كما يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر على المتكلم وغيره من الأشخاص.

مثال: فعل(أ) أو فعل الكلام، **Act A or locution**".

قد قال لي:" اقتلها رميا بالرصاص"، قاصدا بذلك استعمال فعل القتل على حقيقته، وبالضمير لها، المرأة على الحقيقة[4].

---

(1) مرجع سبق ذكره، ص116.

(2) مرجع سبق ذكره، ص117.

(3) مرجع سبق ذكره، ص119.

(4) مرجع سبق ذكره، ص121-122. بتصرف.

- **فعل (ب)** أو **قوة فعل الكلام**،Act b or illocution " لقد حضني (أو نصح لي)، أو أمرني بأن أقتلها رميا بالرصاص.

-فعل (ج)، **أو لازم الفعل** Act c or perlocution" [1].

إذن؛ ينبغي أن نميّز قوة فعل الكلام عن لازم فعل الكلام، كأن نفرّق بين عبارة (**وفي حال قولي كذا، فقد وقع التحذير من جانبي**)، وبين عبارة (بواسطة قولي كذا، كنت قد أقنعته أو كففته عن العمل). وهذا الضرب من التمييز بين هاتين المقولتين، قوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام، هو الذي يشعرنا باحتمال وجود الصعوبات وتمكنها. وبقينا ان ما يفهم من لازم فعل الكلام (لغاية انجاز التصرف) يكون من خارج التلفظ بالعبارة، وليس واردا اعتبار الدلالة أو المعنى بحسب اللفظ، لأنّه إن كان إصدار العبارة دالا على " قصد التصرّف "كانت العبارة إذن إنشاء. وأيّا كان لازم فعل الكلام فهو محتمل لحدوث الفعل على وجه الفراغ منه في أوقات وظروف مخصوصة كافية، صدرت العبارة عن رؤية وتفكير، أم لم تصدر"[2].

يمكننا أن نأمل في فصل قوة فعل الكلام عن لازم فعل الكلام من حيث كون هذا الأخير مفهوما من الخارج، ومن قرائن الأحوال ونتيجة لآثارها، ثم إنه في ذاته ليس "نتيجة " ولا مترتبا عن فعل الكلام، ومن ناحية أخرى يتعيّن الآن أن نشير إلى أنّ قوة فعل الكلام من حيث هي متمايزة عن لازم فعل الكلام ترتبط على وجه ما بحدوث بعض الآثار: لأنّه لو لم تحصل بعض الآثار تامة الإنجاز لم تكن **قوة فعل الكلام** مناسبة للاعتبار ومقبولة، وبالتالي لو لم يكن ذلك كذلك لم يقع الفعل على وجهه. ويجب ألا نفهم من هذا أن **قوة فعل الكلام** ذاتها حاصلة عن أثر ما، وأن وجودها معلول بعلة أخرى. فإذا لم يسمع مخاطبي ما أخبرته به أو أنّه لم يحمل كلامي محمل الجد وعلى وجهه لم يصح أن نقول أنّي قد حذرته"[3].

إذن؛ لابد أن يحدث أثر وتأثير ما على المخاطب حتى تتحقق قوة فعل الكلام، وتكون قيمة العبارة به واصلة إلى تأدية المقصود، ولكن كيف يبلغ هذا الأثر على أحسن وجه؟[4] وينبغي ألا نخلط بين سريان الأثر ومفعوله. وبين حدوث النتائج: إذ أن **قوة فعل الكلام:**" يسري أثرها وتحدث مفعولها" على بعض الوجوه. وشتّان بين سريان الأثر". وحصول النتائج، وحدوثها على ترتّب وقوع أمور بشكل عادي كالحال مثلا في تغيير مجرى الأحداث الطبيعية.

---

(1) مرجع سبق ذكره، ص121-122. بتصرف.

(2) مرجع سبق ذكره، ص132.

(3) مرجع سبق ذكره، ص 135.

(4) مرجع سبق ذكره، ص135.

وبوجه عام، فإنه يجوز دائما أن نقول، بمناسبة مثل هذا التعبير:"أرجعته الى.."، أنّ هذا الفعل منسوب اليّ، واذا استعملنا مثل هذه التعابير حصلنا على لازم فعل الكلام . وهكذا يمكن أن نفرّق بين " أمرته بأن...وهو أطاع". وبين"جعلته يطيع.."ومبدأ الاستلزام العام **IMPLICATION** في العبارة الأخيرة هوأن وسائل أخرى اضافية، قد استعملت لغاية الحصول على هذه النتيجة كما لو كانت منسوبة اليّ. كدواعي الاقناع والنفوذ الشخصيّ"[1].

وأيضا؛ فإنه يمكن أن يكون لازم فعل الكلام عبارة عن إيجاد ما به يتم غرض لازم فعل الكلام (أقنع. حث على.) أو عبارة عن إحداث ما به يكون للازم فعل الكلام توابع ومستلزمات. وهكذا فإن فعل التحذير قد يجوز أن يوجد مرافقا له، ما به يتمّ غرض لازم فعل الكلام وهو التنبيه"[2] ... لكن ما يترتّب عن لازم فعل الكلام من نتيجة مرافقة هو إقناع خصمنا بصدقها ونقول:" **لقد نجحت فقط في إقناعه**". إنّ غرض لازم فعل الكلام أنْ نشأ عن قوة فعل الكلام، أمكن أن يتولّد عنه ضروب أخرى من اللزوم: مثلا قد يجوز أن يحدث التحذير أنواعا متقاربة من اللزوم ترجع كلها الى الكف والترك. فقولنا في صيغة النهي:" لا تفعل"، اذا كنا كارهين للفعل، وغرضنا ألا يقع"[3].

يجوز أن يتمّ إيقاع التهديد والتخويف يتحريك العصا أو توصيب بندقية، وحتى في الحالات التي يمكن فيها أن نحثّ الآخر أو نقنعه أو نجعله يطيع أو يعتقد في أمر ما. فنحن نستطيع أن نصل الى غرضنا بدون عبارة ما أو بدون فعل كلامي"[4].

1-بأنّ الجملة الإنشائية ينبغي أن يتعيّن المقصود منها، وهو فعل شيء ما، على نقيض الاكتفاء بقول شيء ما.

2-وبأنّ الجملة الإنشائية إمّا أن يكون الاعتبار المناسب فيها مقبول أو غير مقبول المناسبة على نقيض الصدق والكذب"[5].

إنّنا نستعمل هذا اللفظ (جيّدgood) للتعبير عن مصادقتنا، ولامتداح الآخرين، ولتقدير درجاتهم. ولكن لم يكن ليتضح لنا شيء أبدا من مدلول هذا اللفظ على حقيقته، وما

---

(1) المرجع نفسه، ص136.

(2) المرجع نفسه، ص137.

(3) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص137.

(4) المرجع نفسه، ص137.

(5) المرجع نفسه، ص155.

المقصود باستعماله لو لم نوفق في أن نعطي على وجه مثالي قائمة كاملة لقوى أفعال الكلام تلك. مما يتصل بحال الامتداح وتقدير الدرجات"[1].

إذ إنّ عملية الخلق وتحويل الكلام الى أفعال هما من صميم الأعمال الوجودية، ومعلوم أن هذا التحويل لا يتم الا داخل إطار بلاغي برهاني، يتم فيه دفع المعنيين بالخطاب الى تجسيده واقعيا ...فاللغة وإن كان لها كيانها الدلالي الوجودي بالقوة، الا أنها في تجليها الفعلي مرهونة بالتحقق الواقعي عبر أنواع الحوار المتعددة"[2]

ثالثا/-منطق اللغة للحجاج:

من بين أساليب المنطق الحجاجي، نذكر أشكال البرهنة، التي تدخل فيها مكوّنات مختلفة تأتلف فيما بينها لتُفسح المجال لـ "**أشكال البرهنة** "، بحيث تتيح تنظيم المنطق الحجاجي وفق ما سمّيناه:" العقل الاستدلالي. ومن البديهي أن تندرج أشكال البرهنة هذه، وفي ذاتها ضمن ضرب من الإنجاز الحجاجي"[3] الذي يقوم عن طريق القياس المنطقي على الاستنتاج، **فكيف ذلك؟**

أ/-الاستنتاج عن طريق القياس المنطقي:

ويعتمد على شكل من التسلسل المنطقي" ممثّلا في " نتيجة استلزامية"(إن.. ف، إذن) مع أقوال تجمعها "علاقة معنى"، ومثال ذلك:

-(إنّ) الزهور هي نباتات.

-(وإنّ) الخزامى هي زهرة.

-(ف، إذن) الخزامى هي نبتة"[4].

هذا القياس المنطقي الكلاسيكي كما هو معروف فيه مقدمة كبرى وصغرى ونتيجة، مبني على علاقة معنى، تكون نتيجتها بالضرورة

---

(1) جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام؟)، ترجمة/ عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، 1991م، الدار البيضاء، المغرب.ص186.

(2) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص68

(3) باتريك شارودو، تر/ أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص36.

(4) المرجع نفسه، ص 36-37.

ب/- الشرح عن طريق القياس المنطقي:

إنّ "شكل البرهنة" هذا مماثل للسابق ويعتمد على –أ 1 _ كي يصل الى خلاصة هي- أ 2-، ولكن أ2 هذه المرة يمثّل الأصل والحافز والعلّة"[1].

يتحدد القياس المنطقي على نفس النحو الذي يتحدد به الاستنتاج عن طريق القياس المنطقي، مع وضع شكل التسلسل السببي جانبا (أ ، **لأنّ...**)، فهو يتمثل في الرجوع الى سلسلة الاستلزامات:

الخزامى نبتة (أ1) لأنّ الخزامى زهرة (أ2) والأزهار نباتات (أ 2)".

ج/-التجميع : من أشكال البرهنة:

يتعلق الأمر بـ " **شكل من البرهنة**" يمكن أن يُسخّر الوصل والسبب أو النتيجة كتسلسل، وتتمثل خاصيته في الجمع بين أ 1 و أ2 في علاقة من التضاد أو التطابق.

-تجميع الأضداد:

هذا "الشكل من البرهنة" المتمثل في استخدام المفارقة" ربما وجب الغضّ منه كأسلوب حجاجي، بما أنّه لا يستجيب لـ قاعدة عدم التناقض لذلك تجده في نماذج النصوص التي تكون نهايتها الاستراتيجية قائمة على الإغراء أكثر منه على **الإقناع**، وذلك من زاوية ضرب من المشاركة الهزلية"[2].

مثال: " تنفتح الحدود ..... سيذهب البعض إلى ضرورة إغلاقها"(إشهار).

د/-الاختيار التعاقبي: شكل من البرهنة:

1 /- يندرج هذا الشكل من البرهنة في إطار من البرهنة الاستنتاجية أو التفسيرية.

إنه يضع علاقتين حجاجيتين في تقابل (أ1 ــ أ2 و أ1 ــ أ2) ويترك إمكانية "الاختيار" بين الاثنتين أو يبيّن "التنافر" الذي قد ينتج عن الوصل بينهما.

" إمّا أن تكون حكمًا أو أن تكون خصما، ولكن لا يمكن أن تكون الاثنين معا".

2 - اختيار بين موجب / سالب .

" أنا أو الفوضى" .

أ1 ــ أ2 : " إن كنتُ أنا فهو النظام ".

أ 1 ــ أ2 : " إن لم أكن أنا فهي الفوضى"[3]..

---

(1) المرجع السابق، ص40.

(2) المرجع السابق، ص 42-43.

(3) باتريك شارودو، مرجع سبق ذكره، ص 44 – 45.

ذ/- اختيار بين أمرين سالبين (خيار صعب).

" إننا في وضع معطّل.

إمّا أن نتمادى في إتلاف المال أو أن نعترف بالإفلاس"[1].

ر/ - الإقناع :

- ✓ -إخراجه يمكن أن يتم في صورة تشكّلات مختلفة ترتبط بعقد الكلام الذي يربط بين أطراف التواصل.
- ✓ -الفاعل الذي يقع في قلب هذا الجهاز مدعو إلى اتخاذ موقف بالنسبة إلى إطار الحجاج وتطوره.
- ✓ -لكي يبرر الفاعل المحاجج موقفه تجاه ما ينشئ من حجاج ولكي يُنجح كأحسن ما يكون هدفه الإقناعي، فإنه سيسخّر عددا من الأساليب: الدلالية والقولية وأساليب البناء"[2].

يجعل منزلة لإطار البرهنة الإقناعي الذي يفترض أن ينشئ هذا الاختيار أو ذاك المتعلق بإطار الإشكالية : سواء أكان دحضا" أم تبريرا أم موازنة. فمن داخل هذا الإطار ينشئ الفاعل ما يمكن تسميته بـ "المناظرة" بالإلتجاء إلى أساليب مختلفة-دلالية وقولية وذات صلة بالبناء وذلك لإقامة دليل على الموقف المتبنّى خلال الحكم"[3].

ز/ - عقد الكلام:

إنّه عقد الكلام الذي يوفر في كل حدث تواصلي، مفاتيح التأويل لنص من النصوص. ويمكن أن يحدث إذن أن يُذكر النص بهذا العقد (وفي هذه الحالة يكون الحجاج ظاهرا) أو أن يخفيه (وفي هذه الحالة يكون الحجاج مضمرا):

-**ظاهرا:** (وغالبا ما يكون في مقام تبادلي أحادي الحوار). فالنص يدقّق الخبر: ما هو؟ والحكم: فيم يتمثّل؟ والإطار الإقناعي: "إلام سيؤول؟ "[4].

ورغم هذا لا يرى أستاذنا ضيرا في استعمال عبارة اللغات أنساق منطقية"؛ إذ هي كذلك بمعنى من المعاني وبضرب من التأول، وإذا لم يكن المراد بها أن اللغات الطبيعية مضارعة

---

(1) مرجع سبق ذكره، ص 45.

(2) باتريك شارودو، تر/ أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص54

(3) المرجع نفسه، ص61.

(4) المرجع نفسه، ص 66

لأنساق المنطق الرياضي الحديث، فالبون بين الاثنين كبير وشاسع بالنظر إلى طبيعة ووظيفة ومجال وآليات اشتغال كل منهما[1]. وبعد فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا، إذ لايحترم مبادئ الاستنتاج المنطقي أو البرهنة الرياضية التي تتأسس على مقدمات توصل إلى نتائج حتمية وضرورية "[2].

رابعا/-علاقة اللغة بالمنطق:

أ/_مصطلح منطق اللغة:

يتواشج مصطلح منطق اللغة، ويتعالق مع ما يدعى بالمنطق الطبيعي Logique naturelleالذي ليس سوى نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلا/ متكلما في سياق ما من اقتراح تمثيلاته على متكلّمٍ له بواسطة الخطاب"مثلما يقرر ذلك جان بليز غريز"[3].

وتتضمن العلاقة ثلاث مقاربات ممكنة، وهي:

1/-المقاربة الأولى:

تريد إعادة تركيب وتكوين الوقائع اللغوية انطلاقا من نسق منطقي محدد، ممّا يؤدي إلى اختزال اللغة الطبيعية إلى نموذج منطقي متصوّر. وهي مقاربة عارضها كلّ من "ديكرو" و"جان بليز غريز"؛ كونها تمثل الخطر من التقريب بين اللسانيات والمنطق. والسؤال يكون: لماذا ؟

2/-المقاربة الثانية:

تقوم على ملاحظة الظواهر اللغوية، ثم البحث عن وصف رياضي منطقي يكون أكثر ملاءمة، إلا أنّ المحذور فيه هو أنه لا يتأسّس على أي نموذج منطقي.

3/-المقاربة الثالثة (توفيقية):

تجمع بين المقاربتين، أي أنها تنطلق من نسق منطقي ما، وبدل أن تختزل اللغة إلى هذه النظرية أو تلك، تتوسّل منهجية قوامها المقارنة والمقابلة بين الأنساق الرياضية المنطقية والوقائع اللغوية.

---

(1) المرجع نفسه ص.35، 36.

(2) المرجع نفسه، ص.39.

(3) من المنطق إلى الحجاج، حوار أجراه مع د. أبو بكر العزاوي حافيظ اسماعيلي علوي، فكر ونقد، [ع.61]، السنة السابعة، سبتمبر 2004م، ص.37.

هذا يقودنا إلى الحديث عن اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية، يلخصها لنا موقفان اثنان هما :

1-/الموقف الأول:

يمثّله غريز وديكرو والعزاوي، وينهض على أن اللغات الطبيعية مباينة، ومفارقة مخالفة للغات الاصطناعية؛ إذ الأولى ملتبسة يكتنفها المجاز والاستعارة وتتسم بالتعارض والتناقض والإضمار والتعدد الدلالي... كما أنها تقوم على مسلمة الحوار و المركب الثقافي القبلي.

2-/الموقف الثاني:

ويمثله ريتشارد مونتغيو، وبخاصة في كتابه الفلسفة الصورية، ومفاده أنه ليس ثمة فرق أو اختلاف نظري معتبر بين هذين النمطين من اللغات.

أمّا مصطلح منطق اللغة الذي هو نفسه الحجاج في اللغة، فيقترح العزاوي تعريفه بقوله: "**إنّ منطق اللغة هو القواعد الداخلية للخطاب التي تحكم تسلسله وتناميه وتحكم توالي الأقوال وتتاليها**"[1]. وهو التعريف نفسه الذي أقترح لمصطلح التداولية المدمجة"[2] القريب من تعريف أرسطو لحد الخطابة.

وحدّ الخطابة عند أرسطو –كما هو معلوم-قائم في مضمون الكلام، لذلك يقول:" اذ لابد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة ... وأولى هذه العمليات هي العرض، والثانية الدليل، وهذا يفضي إلى وضع تفريق بين المسألة وبين البرهان"[1].

ويضيف قائلا:" وهكذا ليس من ضرورة إلا القضية والدليل، فهذا هو الملائم حقا للكلام"[4].

ويشترط أرسطو في أصل الكلام ألا يكون بالمشكّكات، كما يصرّح:" أعني ألاّ يوقعوا الوهم على الأضداد، كالذي قد يعفون إذا أعذرهم الجواب حتى يروا أو يظهروا أنّهم يقولون شيئا"[5].

---

(1) من المنطق إلى الحجاج، مذكور، ص.34، اللغة والحجاج، ص.138.

(2) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن: أهم نظريات الحجاج، مذكور ، ص.352.

(3) أرسطو، الخطابة، ص228.

(4) المصدر نفسه، ص229.

(5) المصدر نفسه، ص198.

ذلك أنّ معظم التعبيرات الرشيقة تنشأ عن التغيير (= المجاز) وعن نوع من التمويه يدركه السامع فيما بعد، ويزداد ادراكا كلما ازداد علما، وكلما كان مغايرا لِما كان يتوقّعه «. واللطيف الرشيق من الأمثال ما يوحي بمعنى أكثر ممّا يتضمنه اللفظ"[1].

الشرح :

ومثال قولنا:" أنت متضايق "، وقد خدع السّامع لأنه يريد قول شيئا آخر. وقس على ذلك، التلفظ ببعض الألغاز والأمثال وغيرهما. ويتعلّق الأمر بأقوال يرمي من خلالها المتكلمون إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات والسخرية والاستعارة وحالات تعدّد المعنى. والمثال الشهير الذي يتناوله "**سورل** " في كتابه " **المعنى والعبارة**"، هو:" **هل تستطيع أن تناولني الملح**؟ " وهو ملفوظ لا يطرح به المتكلم استفهاما حول مقدرة المخاطَب تقديم الملح له، ولكنه يدعوه إلى تمكينه منه"[1].

ونسمّيه عمل لا قولي، منجز بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال إنجاز عمل لا قولي آخر، فسّرها لنا "**سورل**" في كتابه "**الأعمال اللغوية**"[2]؛ بكون الملفوظات تتعلق بشروط نجاح الأعمال المقصودة، بشكل غير مباشر، وتعدّ تبعا لذلك طريقة في تنبيه المخاطَب بشكل غير مباشر إلى عمل تسمح الشروط بتحقيقه، ونتيجة لذلك نتمنى أن ينجز"[4].

أي؛ **أنّ المتكلّم يتواصل بشكل أكثر**، ممّا يفصح عنه المحتوى الظاهر للملفوظ، وذلك بفضل توفّر خلفية من المعطيات السياقية التي يتقاسمها كلّ من المتكلّم والمخاطَب"[5]. وهنا تحصل ما يعرف بقدرة المخاطب على انجاز العمل، كما تظهر رغبة وإرادة المتكلم في أن ينجز المخاطب العمل، مثل: " أحبّ أن ترحل"[6]. وهنا أيضا؛ تدخل الاستعارة والمجاز أيضا في الكلام من الجانب الثاني للدلالة اللغوية، أعني جانب المتكلّم الذي يعبّر ويستخدم اللغة للتعبير عن قصده وإرادته"[7].

---

(1) المصدر نفسه، ص 221.

(2) صابر حباشة، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 68.

(3) المرجع نفسه، ص44 وما بعدها

(4) المرجع نفسه، ص68-69.

(5) المرجع نفسه، ص69.

(6) المرجع نفسه، ص70.

(7) نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص124.

مثال ذلك على حسب ما وضّحه "سورل" عن حالة الاستعارات، إذا قال لك أحدهم(...) جون خنزير"، فإنّك تفترض أنّ المتكلم لم يقصد ما قاله حرفيا، ولكنه يتكلّم على سبيل الاستعارة . فضلا عن ذلك ، فأنت لا تجد صعوبة في تخيّل ما يريد قوله .

إنّ وجود أقوال من هذا القبيل (يطرح سلسلة من المشاكل على كل نظرية في اللغة وفي التواصل: ما هي الاستعارة؟ وكيف تتميّز في الوقت ذاته عن الأشكال الحرفية وسائر أشكال الأقوال المجازية؟ كيف تشتغل الأقوال الاستعارية؟ (...) ثمّ إنّ السخرية والأعمال اللغوية غير المباشرة، توفران لنا أمثلة أخرى تبيّن الصدع الواقع بين معنى قول المتكلم ومعنى الجملة الحرفي"[1].

وقد أفضى البحث في جزئياته إلى استخلاص ثلاث بنى حجاجية، هي:

1- Arguments Quasi-logiquesحجج شبه منطقية

2- Arguments Fondes sur la structure Réel، حجج تأسس على بنية الواقع

3- Arguments Fondants la Structure du Réelحجج تؤسس لبنية الواقع"[2].

ب/_الحجج الشبه منطقية:

1/_الحجج الشبه منطقية التي تعتمد على البنى المنطقية:

- ✓ التناقض وعدم الاتفاق.
- ✓ التماثل والحد في الحجاج.
- ✓ الحجج القائمة على العلاقة التبادلية.
- ✓ حجج التعدية.

2/_الحجج الشبه منطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

- ✓ إدماج الجزء في الكل.
- ✓ تقسيم الكل إلى أجزائها لمكونة له"[3].

---

(1) سورل، المعنى والعبارة، ص ص 121-122.

(2) محمد عرابي، البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، ص27-28.

(3) حمادي صمود، اهم نظريات الحجاج، ص325.

3/_التناقض وعدم الاتفاق:

هو أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين Contradiction: والمقصود بالتناقض إحداهما نفي للأخرى ونقض لها,كأن يقال) المطر ينزل ولا ينزل (في حين أن عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لاختيار أحد الأطروحتين و إقضاء الأخرى فهي خاطئة .وإذا فالتناقض يحدث داخل النظام الواحد المشكّل، أما التعارض فيحدث في علاقة الملفوظ بالمقام فمثلا يمكن أن يعتبر من باب التعارض. موقف من يحجر قتل الكائن الحيوي. والدعوة رغم ذلك إلى معالجة مريض يشكو التهابا.

فالأطروحتان متعارضتان إذا السؤال الذي يطرح هنا هو هل من حقنا في هذه الحالة الذي من شأنها أن يقضي على الجراثيم، وهي كائنات -Pénicillineاستخدام البنسلين حية؟ وعلى هذا فالخطيب في حالتنا هذه مطالب بتدقيق بعض ألفاظه وأفكاره، ليتمكن من تطبيق قاعدتيه المذكورتين وهما تحجير قتل الكائن الحي من ناحية، والدعوة إلى معالجة الإنسان المريض من ناحية أخرى دون أن يقع في مأزق التعارض بين المقال والمقام"[1].

4/-التماثل والحذف بالحجاج :

من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرف Définition التماثل التام مداره على التعريف وليس المعرف تمام المعرف علىLe **Définienedun** والمعرّف –**Ledefiniene** الحقيقة لهذا سمي الحجاج من هذا القبيل حجاجا شبه منطقي؛ فقولنا على سبيل المثال: شعار للحملة النازية المعادية للسامية :

" **اليهودي يبقى يهودي**". قيل عن هذه القضايا أن أحد ركنيها أو لفظيها ورد على الحقيقة والآخر على وجه المجاز[2]

(1) حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج، ص325.

(2) المرجع نفسه، ص327.

5-الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية، ومنها:

5_1_إدماج الجزء في الكل:

يكون الحجاج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي: ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، من قبيل القاعدة الفقهية في تحريم الخمر:

"ما أسكر كثير فقليله حرام"[1].

5_2_تقسيم الكل إلى أجزاءه المكونة له:

إنّ تصوّر الكل على أنه مجمل أجزاءه تبنى عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم كقولنا :الكلام اسم وفعل وحرف**Partition** .أو التوزيع**Division**.

إنّ الشرط في استخدام الحُجّة القائمة على التقسيم استخداما ناجحا هو أن يكون تعداد الأجزاء في ذلك إن نسقط في تعداد الأجزاء فرضية واحدةQuintilienيقولExhaustiveشامل، إيه وصرحنا الحجاجي كله ونصبح ضحكة للجميع"[2].

---

(1) حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج، ص327

(2) المرجع نفسه، ص330-331.

خامسا / -نظرية الحجاج عند بيرلمان وديكرو ومايير :

إنّ الاهتمام بالحجاج عاد مع كتابات الفيلسوف البلجيكي بيرلمان(**Perelman**)، الذي نشر مع أولبريتش-تيتكا(Olbrechts Tyteca) في عام 1958م الكتاب الذي ترك أكبر الأثر في دراسات الحجاج الى اليوم، وهو كتاب:"رسالة في الحجاج: البلاغة الجديدة (**Traité de L argumentation, la nouvelle rhétorique**) ، كما لا يمكن تجاهل الدور الذي قام به تولين(Toulmin) أيضا من لال نشره في العام ذاته، لكتابه المعروف :"استخدامات الحجاج(Les usages de L argumentation)"[1].

فالبلاغة الحجاجية عند بيرلمان-Perelman ,ليست قصرا على الصور المجازية، ولا برهنة ديكارتية صارمة، بقدر ما هي عقلانية خارج الأنظمة الصورية للعلم؛ واحتمالية دون تضليل، هدفها دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها إحداث أو زيادة موافقة الآخرين على الأطروحات المقدمة إليهم بقصد قبولها"[2].

إنّه؛ يعيد اللغة في شقّها الجدلي إلى قطب تصوره، ويجعلها محط مشروع تأمّلي مفصّل يعتبر الحجاج خطابا ذا استدلال منظم باحث عن منطق للقيم، متوجّه إلى "مستمع كوني". ثم إنه في الشق الآخر، يسخّرها لاستجلاب مؤازرة الآخرين"[3].إذ بلاغة بيرلمان" تهتم بالخطابات الموجّهة إلى كلّ أنواع المستمعين سواء تعلّق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عموميّة، أو تعلّق باجتماع المختصّين، أو بشخص أو بكل الإنسانية"[4].

أ/-نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو:

منذ سنة1973 إنّ هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوية الفرنسي "أوزفالد ديكرو "O,ducrotنظرية لسانية، تم بالوسائل اللغوية وإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إذا تنطلق من فكرة مفادها " :إننا نتكلم عامة قصد التأثير"[5].

1-C, Perelman, J émpire rhétorique, et argumentation, VrinK2002, P28,

(2) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، ص6

(3) محمّد الولي،" مدخل إلى الحجاج"، مجلّة عالم الفكر، العدد02 ، المجلّد 40 اكتوبر،2011 ، ص3

(4) فيليب بروتون، جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص9 من المقدمة.

5 - Oswald Ducrot/Jean claudAnxombre, l'argumentation dans la langue PièreMardaga, Editeur2, Galerie des princes, 1000 Bruxelles.

هذه النظرية تريد أن تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى؛ هنا كمؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها. يقول" ديكرو: "إنّ التسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما ترتبط بالبيئة اللغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها"[1]. ليقرا**Anscombre** . لقد تحدّث **ديكرو** عن الحجاج في مؤلفه المشترك مع زميله انسكومبر بأن الحجاج متجذّر في اللغة، أي أنه لا يمكن فصل اللغة عن الحجاج والعكس صحيح. والخطاب كما يذهب إلى ذلك**"ديكرو وانسكومبر**:" ليس فقط وسيلة. بل هو غاية أيضا، فهو وسيلة إخبارية تكمن غايتها في التأثير على الغير، وهذه العملية التأثيرية هي التي تدعى الحجاج"[2].

لقد قدّم ديكرو مفاهيم الحجة التي تمثل بناء استدلاليا أو عنصرا دلاليا يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، قد يرد في شكل قول أو نص أو مشهد طبيعي أو سلوك غير لفظي، كما تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق .والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والربط الحجاجي الذي يربط بينهما.فالحجة لها طابع تدريجي وسياقي، بالإضافة إلى قابليتها للإبطال، غير أنّ هاته الحجّة ترتّب حسب القوّة والضعف في سلمّ يسمّى" السّلم الحجاجي"[3].

أما وظيفة الحجاج عندهما فتكمن في التوجيه، حتى أنّهما حصرا دلالة الملفوظ في التوجيه الناتج عنه، ويحصل هذا التوجيه في مستويين، مستوى السّامع ومستوى الخطاب، خاصة مع ما بينهما من تداخل .والآية في توجيه السّامع أنّنا حين نتكلم نروم في العادة التأثير في هذا السّامع أو مواساته أو إقناعه، أو جعله يأتي عملا ما أو إزعاجه أو إحراجه وغير ذلك... إنّ ديكرو يفرق بين معنيين للفظ الحجاج :المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي، والحجاج موضوع النظر في التداولية المدمجة هو بالمعنى الثاني"[4].

ب/-تصنيف " أزفالد ديكروO Ducrot" للحجاج:

يفرقُ " ديكرو " بين معنيين للفظ الحجاج:

1-الحجاج بالمعنى العادي: يعني طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالا غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ لا يجب إهمال طبيعة السّامع (أو المستقبل أو المتلقي). فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسّامع

---

(1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع الدار البيضاء، ط1،2006 ، ص14.

(2) المرجع نفسه، ص16.

(3) صابر الحباشة التداولية والحجاج مداخل ونصوص صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص15.

(4) المرجع نفسه، ص15.

ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة في إقناعه.

2-الحجاج بالمعنى الفني: فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية"[1].

لقد أشار إلى الحجاج «**داخل اللغة**"، من خلال كتابه " الحجاج في اللغة"، الذي شاركه في تأليفه "جون كلود انسكمبر**JEAN CLAUDE ANSCOMBRE**"، وتركّزت الدراسة على بحث لساني لغوي، على عكس كتاب بيرلمان وتيتكا "المعنون: «**مصنّف في الحجاج** "(**TRAITE DARGUMENTATIONS**") الذي شكّل فتحا جديدا في عالم الخطابة الجديدة؛ حيث مثّل النظرة المنطقية الجديدة للحجاج المتمكّن من آليات التفكير، وهذا ما ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره (صناعة الجدل والخطابة)"[2].

ج/-نظرية المساءلة عند" ميشال مايير:

تعد نظرية المسائلة إحدى النّظريات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامّة، والخطاب الّذي يتمّ خلال عمليات التخاطب خاصة سواء كانت واصلا عاديا أم حجاجيا يهدف إلى الإقناع.

لقد استطاع" **مايير Meyer**"اعتمادا على منطلقات معرفية ومرتكزات فلسفية أن يؤسّس منهاجا تداوليا يقوم على مبدأين اثنين هما: المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال ومبدأ الاختلاف الإشكال يداخل الأقوال"[3]. وحيث إنّه استفاد من جهود سابقيه واستخلص منهم مفهومه للحجاج) خاصة بيرلمان (وحاول إضافة جهده الخاص، ويعرّف الحجاج بأنّه: «دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[4]. كما.يقدم هذا المفهوم وجهة نظره "للخطاب الحجاجي، وهي أنّه يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة أو سمة حجاجية تؤدي إلى ظهور الضمني في ضوء ما يمليه المقام، وتلوح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة. ونضيف في ضوء "**نظرية المساءلة**" التي صاغها مقولة" إنّ ظاهر الكلام هو الجواب وضمنيُّهُ هو السؤال. ومثلما يكمن الشيء في صميم الظاهر يشف عنه المقام يكمن السؤال في صميم الجواب ويقع عليه المتلقّي بمساعدة ذلك المقام. وفي كلمة واحدة، نقول الحجاج عند "ماير" هو إثارة الأسئلة وإثارة الأسئلة هي عنده الأساس الذي ينبني ليه الخطاب"[5].

---

(1)

(2)

(3) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط،2007 ، ص196 .

(4) المرجع نفسه، ص39 .

(5) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص39

ثمّ يُقسم ماير Meyer؛ الحِجَاج إلى ضربين: صريح وضمني ذلك أن طبيعته الخطابية الحوارية تجعل نصفه للمتكلّم [وهو النصف المصرح به] **ونصفه للسامع [وهو النصف الضمني]**.

فتكون علاقة الضمني بالصريح هي -على صعيد لساني محض-مندرجة -حسب بروندنير-في إطار تداولية مندمجة (**Pragmatique intégrée**) تجمع بين لسانيات اللغة على نحو ما هو عند "**دي سوسير**" من ناحية، وعناصر المقام (السياق) ومعطياته من ناحية أخرى، وذلك وفق الشكل التالي»:

الملفوظ المقام = المكوّن اللغوي

مدلول حرفي = صريح مكون من خارج اللغة دلالات التلفظ الضمنية

وحين تصير جدلية الظاهر والباطن في المحادثة أو المعلن والضمني الذي يقارب بين اختلاف مقصد المخاطب وإدراك وفهم المتلقي لهذا الأخير، فنحن حين نقارب بين ما يقول المتكلّم وما يريده فعلاً، يصير الأمر محل استفهام، حينها تقوم جدلية المعنى والدلالة الحاصل في الخطاب، ونكون في حاجة إلى آليات أخرى تتجاوز ما هو لساني صرف إلى ما هو تداولي ومقامي، للوقوف على المعنى الحقيقي للخطاب، ومدى كفاءة كل من المخاطب في بلوغ مقصد المتكلم، والإجراءات التي يستعملها في ذلك.

فالكلام الإنساني ذو طبيعة اجتماعية نفسية، وخاضع لقوى خارجية تؤثر في عنصري الإلقاء والتلقي، وبالتالي في عملية الفهم والإفهام، لذلك ما لبث اللسانيون أن وجدوا أنفسهم عاجزين عن إدراك مقاصد المتكلم، واستجابة المتلقي في ظل إقصاء البنيوية لملابسات السياق ومقام الكلام الذي أنتج فيه، وتعسر عليهم الإجابة عن بعض الأسئلة من قبيل:

1 /-من هو المتكلّم الحقيقي؟

2/-إلى من يتوجّه هذا الكلام؟

- كيف يتلفظ المتكلم بشيء وهو يريد شيئاً آخر؟

- وفي حال كهذه كيف للمتلقي أن يفهم قصد المتكلم؟

والمساءلة بما هي فحص لقول، أو استشارة لما فيه من مشكل، وبحث عن مسالك النفي، تمثل السمة الرئيسية في نمط الحجاج الجدلي... أمّا الحجاج الخطبي فهو في أساسه

حركة إقصاء لسؤال، فالخطيب(مثلا) في الخطبة المشاجرية يقصي بحجاجه سؤالا يتعلق بتعيين نوع الحدث وتعيين القائم به في الماضي... وهذا السؤال المقصى هو الذي يكون منشأ للحجاج"[1].

ومن أهم الوظائف في إنتاج **الحجاج الجدلي** توجيه الذهن في بحثه عن الاتجاه والمنهج اللذين ينبغي أن يسلكا في الحجاج، ثم الاجتهاد في اختيار المقدمات المناسبة، " فبعد أن يحدد الجدلي جهة القصد المناسبة بالاستناد إلى شبكة المواضع في كليتها... يستعرض المواضع المختلفة الصالحة في بناء الاستدلال في الجهة التي رآها مناسبة، ويعيّن الموضوع أو مجموعة المواضع المناسبة في معالجة القضية موضوع الدرس"[2]. أمّا **الوظيفة الثالثة** فتتمثل في معرفة قواعد اللزوم بين المقدمات الجدلية بحسب كيفيتها، حيث يجب أن تتناول هذه المقدمات تناولا منطقيا حتى تكون صورة القياس المتحقق مستقيمة ومتناسبة مع الدلالة العامة، والصائبة من وجهة النظر اللغوية، وذلك على مستوى البنيتين السطحية والعمقية"[3].

ويتحوّل إلى حجاج جدلي الذي يدور في أوساط المتخصصين، والاستدلال الموجه فيه يتوجّه به إلى سامع كوني، وبالتالي فهذا الحجاج لا يستغل الأخلاق والطبائع والانفعالات في كسب الاقتناع من محاوره. ومن هنا يتأكد أنّ "الاختلاف بين كل من النمطين الحجاجيين الجامعين يرجع إلى اختلاف الشاغل في كل نمط منهما، فالقائل في الحجاج الجدلي يفحص مضمون الحكم أي يفحص قضية فكرية، أما القائل في الحجاج الخطابي، فمشغله عملي ويتمثل في بناء الحكم وتوجيه الفعل"[4]. لأنه حجاج مرتبط ارتباطا وثيقا بشؤون المجتمع والسياسة والعمران. ولذا كان لزاما على الخطيب –في نظر أرسطو-أن يكون مثقفا في هذه القضايا، عارفا بدقائقها"[5]. فهو يرى أن الخطابة صناعة تضمن ثلاث قيم في المجتمع هي: العدل والخير والنافع، وقد رتّب أرسطو على هذه القيم أهم خصائص الأجناس الخطابية الثلاثة المذكورة، وجعل الحجاج الخطابي أمرا أخلاقيا، وفي ذلك يقول: «**الخطابة مزيج من علم المنطق ومن الفرع الأخلاقي والسياسي**"[6].

---

(1) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص126-127

(2) المرجع نفسه، ص226.

(3) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص45

(4) هشام الريفي، المرجع نفسه، ص136.

(5) راجع في ذلك: أرسطو، الخطابة، ص42-43.

(6) المصدر نفسه، ص195.

سادسا / _نظرية الحجاج التداولي:

أ/_-المعنى اللغوي لمصطلح التداولية:

«التداول في اللغة، من مصدر تداول، يقال: دال يدول دَوْلاً: انتقل من حال إلى حال، وأدال الشيء: جعله متداولاً، وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرة وتلك مرة» [1]. فهو يفيد الاشتراك والتبادل سواء في اللفظ أو المعنى.

ب/_-المعنى الاصطلاحي للتداولية:

تعددت تعاريف التداولية مع اتساع مجالاتها وتداخلها مع العلوم التي لها علاقة باللغة فهي ملتقى الأبحاث اللسانية والفلسفية، والاجتماعية، وهذا التعريف الذي سنسوقه دليل على اندماج هذه الحقول، «**إذ تتطرق التداولية إلى اللغة، كظاهرة خطابية، وتواصلية، واجتماعية معاً**» [2].

ومن بين التعاريف اللسانية التي وضعت لهذا المصطلح ما تواضع عليه كل من آن ماري ديلر **Anne-Marie Diller**، وفرانسوا ريكاناتي **François Récanati**، وهو على النحو التالي: «**هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية**» [3].

مما يعني أن التداولية توفر لنا الأدوات والآليات التي تمكننا من كشف الأساليب والبنى المختلفة التي يتضمنها النسيج الخطابي، والتي تعتبر دليلاً على مقدرة الفرد في استعمال لغته، وفي الوقت ذاته على غنى هذه اللغة بما تقدمه من خيارات تركيبية ودلالية لهذا الفرد. كما نجد فرع البيداغوجيا الفرنسي يعتبر التداولية مقاربة لسانية، والتي تقترح لدراسة اللغة إدماج دور مستعملي اللغة وكذلك السياقات التي تتم فيها». كما أن التداولية تهتم أيضاً بالدلالة، فهي تدرس «كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فاذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تُعنى بما وراء ذلك، أو هي فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم»"[4].

فقول القائل: «**أنا صائم**» (في غير أيام الصوم المعروفة)؛ قد لا يريد إعلام السامع بذلك، بل قد يعني أنه مرهق ويريد إذناً بالراحة، أو أنه يريد من السامع دعوته للإفطار، أو أنه يريد أن

---

(1) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، تر/ صابر حباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2007م، ص17

(2) المرجع نفسه، ص17

(3) المرجع نفسه، ص17

(4) المرجع نفسه، ص18

يتمثل عنه السامع، صورة الرجل المتديّن. فالناس غالبا ما يعنون أكثر ممّا تقوله كلماتهم"[1]. لذلك فضّل بعض الدارسين تعريف التداولية على أنها دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ «لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما» [2].

فالتداولية بذلك تعد «استطالة لسانية أخرى، للسانيات التلفظ، التي دشنها بنفنيست **benveniste**. إذ إن التمييز الكبير لا يتم أبداً بين اللغة والكلام، ولكن بين الملفوظ، الذي يقصد به ما يقال، والتلفظ كفعل القول» [3].

بناءً على ذلك عرّفها بعض الدارسين على أنها: «اتجاه في الدراسات اللسانية، يُعْنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق.

وقد استعمل بعض المحدثين مصطلح «البراغماتية»، وآخرون مصطلح «الذرائعية»، لكن الذي يعيب هذا الأخير هو أنه وضع مقابل كلمة «pragmatique» اليونانية التي تعني الاستعمال فحسب، ولا تعني التفاعل التخاطبي الذي تدل عليه كلمة «تداول»، والتي تدل على التبادل في المعنى. ويظهر في تعريف آخر لفرانسيس جاك **Francis Jacques** تقاطع هذه الاتجاهات حيث: «تتطرق التداولية إلى اللغة، كظاهرة خطابية وتواصلية، واجتماعية معاً» [4].

وقد تزامنت نشأة التداولية مع نشأة العلوم المعرفية التداولية ذات الأصول الفلسفية، وهي ممثلة في تيار وليام جيمس **1842-1910 William James** الذي جعل من المدركات العقلية مدركات حسية مهمتها الوصول إلى تحقيق فعل نافع تتجه بالضرورة إلى المنهج الأدائي، وبعده جون ديوي **1859-1952 John Dewey**. كما أوضحه **جورج توفاك**، «أن قيمة أي عمل أو قيمة، أي أسلوب للسلوك أو قيمة، أي سياسة يجب أن تحكم عليها بالنتائج الحقيقية فقط، ومما يؤخذ بعين الاعتبار ليس نوايا ودوافع وأهداف الأفراد، وإنما النتائج

---

(1) المرجع السابق، ص44

(2) المرجع السابق، ص44

(3) المرجع السابق، ص45

(4) المرجع السابق، ص46

المحضة الناتجة عن أعمال الناس»[1].

كما ميز الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس **Charles Morris 1937** في مقال له كَتَبَه في موسوعة علمية ميّز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة منها علم التركيب، وعلم الدلالة، والتداولية التي تعنى في رأيه بالعلاقات بين العلامات بالنسبة للمؤولين»، حيث إنه استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان، (الآن، وهنا)، والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيًّا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل"[2].

وفي هذا السياق؛ نجد فيتغينشتاين **Ludwig Wittgenstein** وهو من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة من خلال الدراسة التي قدمها في **1918**م، والتي ركز فيها على الوظيفة التمثيلية للغة، حيث تعرض لمفهوم جديد أطلق عليه اسم ألعاب اللغة، وجاء في معناها: أن الأفعال التي نتلفظها، ترتبط بأشكال الحياة، والممارسات التي نحياها، أي إنه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عباراته، وينتج عن اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب، كونه مجموعة منظمة من وجهات النظر والممارسات والمصالح». ففكرة ألعاب اللغة توضح «**كم هو مهم أن تأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلق الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه**»[3].

ج/_ الأصول الفلسفية للتداولية:

يبدو مصطلح التداولية"(pragmatique) على درجة من الغموض. إذ يقترن به في اللغة الفرنسية، المعنيان التاليان: "**محسوس**" و"**ملائم للحقيقة** ". أما في الإنكليزية، فإن كلمة (pragmatique) تدل على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية". وهكذا يبدو الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية"[4].

إذن؛ التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية... وهي كذلك " الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية

---

(1) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، تر/ صابر حباشة، ص17.

(2) المرجع نفسه، ص17

(3) المرجع نفسه، ص18

(4) المرجع نفسه، ص19

والحدثية والبشرية (انظر الموسوعة الكونية-**Encyclopédie Universalise**) [1].

هذا؛ وللتداولية تعريف آخر، وهو "أنّها تمثّل دراسة تهتم باللغة في الخطاب .... قصد تأكيد طابعه التخاطبي"، وهو تعريف أتى به "أ-م-ديلر"(M.DILLER.A)، و"ف-ريكاناتي(Récanati.F) [2]. كما تحدّ "**التداولية**" بكونها "دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية تواصلية واجتماعية، في نفس الوقت كما يعتقد "**ف-جاك–F. Jacques**). فهي إذن دراسة تندرج ضمن اللسانيات وتهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل حسب العالم (**ل-سفز L.Sfez**).

وقد تمثل التداولية نمطا في مقاربة الظواهر ضمن علوم الإنسان (sciences de l'homme)، وهو الذي يعرّفها بوصفها تحليلا للوقائع الملاحظة، وينظر إليها في علاقاتها بسياقات وجودها الواقعية". فهي تعمل على تأسيس حقل وموضوع مفضلين (هو التواصل – كل ما عند الإنسان هو تواصل).

لقد وضع أوستين وتلميذه سورل نواة التداولية، في حقل فلسفة اللغة العادية (**Ordinaire**) إذ طوّرا من وجهة نظر المنطق التحليلي (**Logique analytique**)، مفهوم "العمل اللغوي"(**Acte de Langage**). وقد كان "أوستين(1911-1961) أستاذ الفلسفة بجامعة أكسفورد، أمّا سورل (المولود سنة 1932)، فهو يدرس بجامعة بركلي بكاليفورنيا. وكانجون أوستين John Austin أوّل من بعث نظرية الأعمال اللغوية". وقد كانت الفلسفة تهتم باللغة منذ القديم. وكان البلاغيون القدامى تداوليين؛ إذ كانوا يفكرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق (خاصة المنطق الحجاجي) من جهة، وآثار الخطاب في السّامع من جهة أخرى. وقد طوّرا منذ أفلاطون وأرسطو وصولا إلى "سيناك (Sénèque)وشيشرون(Cicéron) وكونتيليان (**quintilien**) منوالا كلاسيكيا للبلاغة، يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع"[3].

انطلق **جون أوستين J.Austin** من ملاحظة مفادها أن «الكثير من الجمل ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية، لا تصف مع ذلك أي شيء، ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب» هي إذاً جمل مميزة بالأسلوب الإخباري، فهي لا تتطلب ردًّا لفظيًّا معيناً، ويمكن أن نصفها بالجملة البسيطة حين تكون في حدود الخبر «تكون بعض الجمل وصفية حين تعطي لنا وصفاً للكون يكون صادقاً أو كاذباً مثال: «المطر ينزل». وجمل إنشائية حيث

---

(1) المرجع السابق، ص18

(2) المرجع السابق، ص19

(3) المرجع السابق، ص20

إنّها تتفرد بأنها تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال وتتضمن فعلاً من قبيل «أمر» و«أقسم» و«عمد» ويفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل، وتسمى هذه الأفعال «أفعالاً إنشائية»، وختاماً، ليس الحكم على الجمل الإنشائية متعذرا وإن كانت لا تقبل الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق.

كما توصل هذا الأخير إلى أن: «كل جملة بمجرد التلفظ بها على نحو جاد توافق على الأقل إنجاز عمل قولي، وعمل متضمن في القول، وتوافق أحياناً كذلك القيام بعمل تأثيري بالقول». فكل جملة تامة مستعملة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، ويميز بين ثلاث أنواع من الأفعال المتضمنة في الملفوظ الواحد، أولاً فعل التلفظ (المستوى الصوتي)، ثم العمل المحقق فعلاً (المنجز)، ثم بعد ذلك يأتي عمل الأثر الحاصل من قولنا ذلك الشيء، إذ إن امتداد المعنى الحاصل في القول على ما ينجزه كعمل لأنه تم التلفظ به، ولأننا قلنا شيئاً ما، ولأن لهذا الشيء أثراً ما جراء تلفظنا به.

وبعد وفاة أوستين سنة 1960، تصدر **جون سيرل** Searle John الفيلسوف الأمريكي موقع الصدارة بين أتباع أوستين، «حيث طوَّر بعدين من هذه النظرية، هما:

المقاصد والمواضع، لا يهتم هذا الأخير إلَّا بالأعمال المتضمنة داخل القول، يتم إسهامه الحقيقي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته، وهو ما يسميه باسم القوة المتضمنة في القول، وما يتصل بمضمون العمل، وهو ما يسميه واسم المحتوى القضوي. مثال «في جملة «أعدك بأن أحضر غداً» نجد أن: جملة «أعدك» هو اسم القوة المتضمنة في القول، و«**أن أحضر غداً» هو اسم المحتوى القضوي**"[1].

في المقام الأول: يقصد الوعد بأن يحضر غداً.

في المقام الثاني: للقائل نية الوعد بالحضور غداً، ويحقق هذه النية بإنتاج جملة».

والسؤال الذي يطرح بعد هذا التقديم المفصل للتداولية هو: أين يتموقع الحجاج في هذا الزخم المفاهيمي من هذا الحقل المعرفي المترامي؟"[2]

ولقد أسهم فلاسفة آخرون، فضلا عن البلاغيين، في هذا التأمّل الفلسفي حول اللغة. فقد اقترح "إيمانويل كانط"(**1724-1804**) مستندا إلى القياس الآرسطي فلسفة منطقية تسمى "متعالية" (**Transcendantale**)، عمل فيها على عرض العناصر المكوّنة للمعرفة

---

(1) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، المرجع السابق، ص46

(2) المرجع السابق، ص46

وللتمثل الإنسانيين. وبما أنّ كل ما يفكّر فيه يمكن أن يقال؛ فقد صادر على أنّ تحليل صلات المتكلّم باللغة، يجب أن تساهم في تحليل ما يقوله المتكلّم. وإنّ لفظ "**براغماتيش**" الذي استعمله **كانط**، ليس بعيدا عن استعمالات لفظ " التداولية «الذي نجده عند غيره.[1]

والحال أنّ الفلسفة الأوستينية لغة، إنما تولّدت عن الفلسفة التحليلية، وبين فرجييه وأوستين، تتموقع أعمال "**لودفيغ فيتغنشتين**" التي ستقود إلى نشأة التداولية. إضافة إلى أنّ أعمال "فرجييه"، ستؤدي إلى الفصل الواضح للغة العلمية عن اللغة العادية؛ فالأولى ضرورية في البرهنة الحسابية، ويجب أن تكون أحادية المعنى صريحة، وليس لها من هدف سوى وضع حقيقة. أما اللغة العادية، فيجب أن تكون متعددة المعاني كي تتموقع بثراء الممكنات التي تهيئ لها تأدية وظائفها التواصلية بالشكل الملائم وبالمرة. فقد وضع "**غ-فرجييه**" حجر الأساس لعم الدلالة، ومن ورائها التداولية"[2].

لقد تطوّر علم الدلالة في مجال اللسانيات، إذ نشر برويال-**M.Bréal** (**1832-1915**) النص التأسيسي -المتعلق بالدلالة-وهو "مقالة في الدلالة (Essai de **Sémantique**) وذلك سنة 1887م. وقد تكوّن في ألمانيا، وكان يعكف على تفسير الوقائع عبر الاستعمال، كما اعتقد (أ-مايبه-A. Meillet)، وتحديدا من خلال سعيه إلى اقحام مسألة المعنى في اللسانيات التاريخية التي تدرس "تحوّل اللغات "[3].

وبالأحرى، فإنّ علم الدلالة، قد اقتصر إجمالا على تحليل معاني الكلمات والجمل (غير أنّ علم الدلالة البنيوي قد توقّف في الستّينات عند حدود المعجم) حتى اقتحمت عليه الإشكالية التداولية حقله. وقد أخذ علم اللسانيات التوليدي والتحويلي المعنى بعين الاعتبار، وذلك على إثر الجهود التي قام بها نعوم تشومسكي، ولكن فقط من زاوية كونه (أي المعنى) عنصرا ثانويا مترتبا على البنى الإعرابية، وذلك طلبا لتحليل الكفاية في مقابل الإنجاز"[4].

---

(1) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، ص37.

(2) المرجع نفسه، ص38

(3) المرجع نفسه، ص 33

(4) المرجع نفسه، ص 34

التداولية ======= علم الدلالة = حدود المعجم + نظرية اجتماعية ثقافية. (علم اللسانية)

كما يقرّر ذلك "ج-ليتش(G.Leech) في كتابه "مبادئ التداولية" (لندن 1983) اكتشف اللسانيون أنّ فلاسفة اللغة كانوا قد اشتغلوا قبلا على سؤال المعنى"[1].

إنّ "علم الدلالة" التوليدي سيتطور تحديدا بفضل تيارين رئيسيين، كانا في الأصل خارجين عنه. فمن ناحية أولى، أثبتت وظائفية "أندريه مارتينيه " بين السنوات 1960م و1970م، أنّ اللغة يجب أن تدرس انطلاقا من حقيقة استعمالاتها، وذلك ما نتبينه من قوله:<<**اللغة تتغير لأنها تشتغل**>>[2]، أي أن تتخلى عن البنيوية في مستوى مبادئها الأساسية، ضربا من النسبية وضربا من الواقعية) فهي تأخذ بعين الاعتبار تنوّع الاستعمالات ولا يختزل اللغة في بنية مجرّدة.

وفي الولايات المتحدة تتلمذ على "مارتينيه"، "فاينرايش(Weinreich.U) الذي تتلمذ عليه "لابوف (Labov) بدوره، وهؤلاء هم مؤسسو اللسانيات الاجتماعية. وقد طرحت هذه الأخيرة المسائل بكيفية مغايرة، بل اعترضت. على إمكانية دراسة اللسان دون دراسة الكلام، فضلا عن إمكانية التمييز بينهما. وهكذا فقد أدرجت الوظائف والسياقات الاجتماعية الثقافية لاستعمال اللغات في اللسانيات إدراجا[1]. وسيتطور «**علم الدلالة**" مع التيار الذي سيكوّن المقاربة الموسومة بـ" **التداولية التلفظية**"، وهي على الأقل معاصرة للتداولية الوليدة، إن لم تكن وريثة لها"[2].

ومثّل "مايير " في نظر علماء اللسانيات الاجتماعية مرجعية مؤسسة. إذ اعتنى بالحقيقة السوسيولوجية للغة. وبالتوازي مع ذلك فقد أدمج بنفنيست–Benveniste) في نظريته التمييز بين ما يسمّيه بـ "البعد السيميائي للتدلال" (أي العلاقة بين العلامات وهي موضوع اللسانيات السوسيرية)، و " بعدها الدلالي (أي إجراء تلك العلامات في الخطاب ووصلها تبعا لذلك بسياق التلفّظ)[3]..

د/-الحجاج في نظرية الأفعال الكلامية.

انطلقت المدرسة التحليلية الانجليزية)أوستن وسيرل (من خلال نظرية أفعال الكلام، بمعارضة وتفنيد النظرية السوسيريّة والتّي أقرّت بأن اللغة هي مجرد نقل المعلومات، ويرى

---

(1) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، المرجع السابق، ص 36

(2) المرجع السابق، ص 36

(3) المرجع السابق، ص 37

"أوستن"أنّ الكلام العادي يتضمن متكلم أو متلقي أو ملفوظا، كما توجد هناك عدّة أفعال يمكن ربطها بالمتكلّم... والمتكلّم لا يصدر أصواتا فقط من خلال كلامه، ولكنّه ينجز بعض الأفعال مما تصدر عنه هذه الأخيرة بعض الحجج التي من شأنها أن تقنع المتلقي"[1].

فمن شروط الخطاب المتكلم والمستمع والملفوظ، كما أنّ هناك أفعالا تختص بالمتكلم فقط، كما ينجز هذا الخطاب بعض الأفعال التي تكون حججا في بعض الأحيان.وعليه فإن كل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين :[2]

- **إنجازية صريحة/ مباشرة**: فعلها ظاهر) أمر، حض، دعاء، أي (بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.
- **-إنجازية ضمنية /غير مباشرة:** فعلها غير ظاهر، نحو :الاجتهاد مفيد، أقول الاجتهاد مفيد، آمرك أن تجتهد. وميز بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية، وهي:

1-الفعل القولي:يقابل التلفظ بالأصوات) فعل صوتي (والتلفظ بالتراكيب) فع لتركيبي(واستعمال التراكيب حسب دلالتها) فعل دلالي.(

2-الفعل الانجازي: يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه) :يعد، يخبر، يعجب، ينذر(.. و يشمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي.

3-الفعل التأثيري (استلزامي):يحصل حين يغير الفعل الانجازي من حال المتلقي بالتأثير عليه.ويتميز كل فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوة إنجازية.واستنادا لما تقدم قسم"أوستن " الأفعال الكلامية إلى مجموعات وظيفية وهي حسب:"[3]

-الأفعال الدالة على الحكم :وهي الأفعال التي تبث في بعض القضايا، وتشمل على سبيل المثال:(أفعال التبرئة الحكم(.انطلاقا من تحديد معاني أفعال الكلام، وتقسيم إذا يرى(**فاندايك**)أن أفعال الكلام هي الغرض الرئيسي للتداولية، فيقول ":وغني عن القول أنّ تحليلا سليما لأفعال الكلام هو الغرض الرئيسي للتداولية، لأنه لا يمكن أن يتم غير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التصرف"[4].

---

(1) آن روجولو جاكمو شلير، التداولية اليوم،تر :سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة ،بيروت،ط1 ، 2003م ، ص31

(2) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر :محمد يحياتي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص :24 نقلا عن :خليفة بوجادي، في السانيات التداولية96 ،97

(3) عمر بلخير تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2003 .ص 159

1 ./_ويظهر البعد التداولي للحجاج في عدة مستويات منها:

-أ/_أفعال اللغة المتداولة في الحجاج :

مثل :أكد، أنكر، أجاب، فسّر، نقل أقوالا.

-ب/_على مستوى السياق :

وهنا السياق التداولي هو الذي يحكم الخطاب أو النص"[1].

مثل:

استعمالات السياق:

أجيب، أستنبط، أعترض...إلخ. وهذا المستويات على أهمية كبيرة، ولكن يبقى المستوى الحواري أو التحاوري هو أهم مستوى في العملية الحجاجية والتداولية، فحضور الطرفين (المتكلم، المستمع) في الخطاب والدور الذي يلعبه كل منهما في إحداث التفاعل والحوار من شأنه أن يحقق نجاعة النص الحجاجي، ويجعله يصل إلى هدفه وهو بطبيعة الحال إقناع المستمع بفحوى الخطاب، وهذا هو هدف التداولية من حيث أنها تريد إحداث عملية تواصلية تحاورية تفاعلية بين طرفي الخطاب"[2].

---

(1) فانديك :النّص والسياق، استقصاء الحث في الخطاب الدلالي و التداولي، تر :عبدالقادر قنيفي، إفريقيا الشرق، د.ط، 2000،ص22

(2) المرجع نفسه، ص22.

سابعا/_ الوظيفة التواصلية والاجتماعية للحجاج:

أ/_ الحجاج والتواصل:

1/_ مفهوم التواصل:

يفهم هو الآخر على أنه نقل للمعلومات الى المتلقي، وبذلك يكون فعل الإخبار الفعل اللغوي الرئيسي. وتكون اللغة مجرد شفرة أو نظام من الرموز"[1]. كما لم ينسوا (**الشفرة**) التي بها يضمن المتكلم وصول خبره سليما إلى سامعه، بل يضمن فهم السامع له، ولا يكون ذلك إلاَّ إذا كانت هناك شفرة يتعارف عليها الطرفان عبارة عما يتواضع عليه القوم من الكلام «لضمان وصول الإرسالية"[2].

ومع ذلك فلفظا لتواصل يظل على تداول الألسنة له وورود في قطاعات معرفية مختلفة، لفظا يكتنفه العموم والإجمال، إن لم يكتنفه الغموض والإبهام ذلك لو أننا أعملنا فكرنا في استعمالاته المختلفة لوجدنا أنه يدل على معانٍ ثلاثة متمايزة فيما بينها :أحدها نقل الخبر، ولنصطلح على تسمية هذا النقل ب(**الوصل**)؛ نظرا لأن هذا المصطلح يفيد الجمع بين طرفين (...)والثاني نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ولنطلق على هذا الضرب من النقل اسم (**الإيصال**) والثالث ، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلّم، واعتبار مقصده الذي هو المستمع معا ولندع هذا النوع من النقل باسم(الاتصال)[3]. كما يظهر مفهوم التواصل في التراث العربي، من خلال قول **ابن سنان**، في سياق حديثه عن البلاغة حيث يقول:<< **فهم الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع**>>[4]. وهنا يركّز **الخفاجي** على الوظيفة الإفهامية للغة، فمن أوفر حظوظها أنها فهم وإفهام البلاغة كلما «بين المتكلم والسامع، كما أن **العسكري** (توفي395 ه)، يذهب إلى أن تبليغه المعنى قلب السامع؛ فتمكنه من نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[5]؛ إذ يرون بأن معرفة الإنسان بها تكفل صحة العملية التواصلية، العملية التي تنتقل بها أو بواسطتها المعلومات والخبرات بين «التي تعرف نظريا بأنها فرد وآخر أو بين مجموعة من الناس

---

(1) المصدر نفسه، ص31.

(2) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص113

(3) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص48

(4) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص.254

(5) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص.61 وقد أورده الجاحظ ونسبه لأبي مسلم الخراساني، نقلا عن الإمام (البيان والتبيين1 ، ص.87

وفق نظام من الرموز، وخلال قناة أو قنوات أو طرق تربط بين المصدر أو المرسل والمتلقي أو فئة المتلقين[1]

2_آليات التواصل والتبليغ:

وانحصرت **وظيفة اللغة عند ابن سنان الخفاجي** في الوظيفة التبليغية، ويدل على ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى ظاهر الكلام من اجل الا يحتاج :«ذلك قوله إلى فكر في استخراجه، وتأمل لفهمه (...) والدليل على صحة ما ذهبنا إليه (...) أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم"[2]. ومن هنا؛ فإنّ عملية التواصل تقوم عند **ابن جني وابن سنان** من خلال تعريفهم اللغة-على عناصر أربعة (متكلّم، سامع، رسالة، قناة). كما يظهر، وهكذا نجد أن حاجة الإنسان إلى اللغة شرط "أنّ الإنسان في حاجة للغة، لأداء أغراضه من شروط تواصله مع الآخرين"[3]. بل إنّ الجاحظ **أخرج التواصل، من دائرته الضيقة التي تعتمد على المنطوق** فقط جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص «فجعل ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة")4(.

فالتواصل – حسب رأي الجاحظ -لا يكون بالمنطوق فقط، بل يكون بالكتابة أيضا إذا كان المخاطب متعلّما؛ وهو الذي أطلق عليه(الخط)،أو يكون بالإشارة والإماءة، وقد يكون بالعقد أو الحال الناطقة بالدلالة التي سماها النصبة (وهي الناتجة عن التأمل والتفكُّر)؛"وليس رأي صاحب البيان والتبيين ببعيد عن تقسيم ابن وهب، الذي يرى البيان على أربعة أوجه، فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللُّب، ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب ، وهو الذي يبلِّغ من بعد وغاب"[5]. **فالمعنى الحجاجي** هو الذي يعتمد في تسلسل الخطاب وتناميه، وهو الذي يحكم توالي الأقوال وتتابعها، بصورة استنتاجية، داخل الخطاب. وكيف لا يكون الأمر كذلك، وعدد كبير جدا من الكلمات والمفردات قد تصل نسبة إلى 80 % أو يزيد لا نعرف معناها ولكن نعرف جيّدا كيف نستعملها، وكيف نوظّفها في خطاباتنا من أجل التأثير في

---

(1) أحمد محمد معتوق، الحصيلة اللغوية، ص71 .

(2) ابن سنان الخفاجي المرجع نفسه، ص 220 -221.

(3) محمد بوعمامة، اللغة والفكر والمعنى، ص236 .

(4) الجاحظ البيان والتب يين1، ص76 .

(5) ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص56 .

الآخر. نخلص من هذا كلّه إل أنّ الألفاظ والأقوال والعبارات التي نستعملها وننتجها في حياتنا اليومية لها طابع حجاجي واضح، ولها قوة حجاجية بارزة تسعى من خلالها إلى التأثير في المتلقي، وإلى دفعه إلى تبني رأي ما، أو الاستجابة لطلب معيّن، أو اتخاذ موقف ما من قضية من القضايا، أو إلى تغيير آرائه ومواقفه بشكل عام"[1].

الاستعارة من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول الى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية، وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري[2].

القول الاستعاري هو أنه يأبى أن يجيء بعده رابط من روابط التعارض الحجاجي مثل "لكن" و "بل"، أي أنه لا يقبل أن يرد في سياق الإبطال أو التعارض الحجاجي. وهذا ما يفسر لحن الجمل الآتية:

-زيد أسد، لكنّه متهور.

-خالد بحر، لكنّه مسرف"[3].

إذن؛ الاستعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية، التي يستغلها المتكلم، بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية. والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية. فنحن نجدها في اللغة اليومية. ويمكن أن نمثل لها بما يلي:

- **"وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبا". (سورة مريم، آية 4).**
- **أسدٌ عليّ، وفي الحرُوب نعامةٌ. (شطر البيت للنابغة الذبياني)[4].**

ب/_وظيفة الاجتماعية للحجاج:

ويكفي أن يقول الزوج لزوجته: " **أنتِ طالق** "، لتكون قد طُلِقت منه شرعا وقانونا، ولتكون قد حرمت عليه، ولتكون أمام واقع جديد لم يعد فيه للعلاقة الزوجية أو لمؤسّسة الزواج أي وجود. وقول المتكلم المطلق هذا يصبح فعلا وحدثا يؤدي إلى تغيير الواقع

---

(1) أو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص133.

(2) المصدر نفسه، ص105

(3) المصدر نفسه، ص107

(4) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص108.

وتحويله...فباللغة إذن وقع الطلاق، وهو فعل وحدث اجتماعي، ومؤسساتي، وعبارة:" أنتِ طالق " فعل لغوي، وفي نفس الوقت فعل مادي واجتماعي"[1]. لذلك فإننا نستعمل اللغة لإنجاز أفعال عديدة، ولتغيير الواقع أو تغيير علاقتنا معه وللتأثير في الغير وفي الأشياء"[2]. بل إنما نستعمل هذه الألفاظ لتدلّ (ولم أقل لتخبر) بل لتنبه على الظروف والملابسات التي وقع فيها حكم مضمون الجملة أو على الاحترازات التي روعي فيها ذلك الحكم أو على الكيفية التي اتخذ بها أو على شيء من هذا القبيل"[3].

فقد أثبت على أنّ كثيرا من المسائل الفلسفية التقليدية مما كان يحيّر الفلاسفة ويربكهم، إنّما نشأ عن وهم خاطئ: إذ توهّموا كون أحكام الواقع، وما يقال عنه، قضايا، وهي في الحقيقة عبارات متلفظ بها، إمّا خالية من المعنى (...) وإمّا قصد الحكم فيها شيء مختلف"[4]. ونكتفي بالتأكيد هنا بأنّ النطق بالألفاظ يشكّل في العادة أمرا مهمّا بل الحدث الرئيسي في انجاز الفعل... وهذا هو القصد من الإنشاء في كلّ تلفّظ"[5].

التلفظ بعبارة: " **أعد بأن..."كلام باطل**، على معنى أنّ المتحدّث، وإن كان يثب أنه فعل وأقر بالقيام بالفعل فهو لم ينجز عملا، أو أنه وإن كان قد وصف فقد أخطأ في الوصف أو أنّه قد أخطأ في تبليغ الرسالة والخبر. إنّ هذا الشخص المتحدث قد وعد وتعهّد حقا بالقيام بالفعل. والتعهّد هنا لم يكن عديم الأثر مع أنه قد أعطي عن سوء قصد ونية. إذ قد يكون التلفظ بالعبارة مضللا ولربّما موقعا في الخطأ. ولكنه بدون سك ليس كذبا أو غير صحيح"[6]. وجميع الأفعال مبنية على المواضعة والتواطؤ، وهذا لا يعني بالضرورة أنّ كلّ ما هو رسمي ومرتبط بالطقوس والعوائد يلزم أن يلحق أو أن يدرج تحت كل صورة من صور عدم مطابقة مقتضى الحال (....) وهذا واضح حتى بمجرد أن يكون كثير من الأفعال المتواطئ عليها مثل رهان سباق الخيل، أو نقل الملكية ممكن الإنجاز على غير صورتها الرسمية أي على غير التعبير اللفظي"[7].

---

(1) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص125

(2) المصدر نفسه، ص126

(3) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص14

(4) المصدر نفسه، ص15بتصرف

(5) المصدر نفسه، ص18.

(6) المصدر نفسه، ص21.

(7) (3) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص31

خاتمة:

نأمل من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية الموسومة بـ "محاضرات في الحجاج الفلسفي"، والتي تساير البرنامج الدراسي الخاص بطلبة السنة أولى ماستر فلسفة، نظام (ل–م–د)، كلية العلوم الإنسانية، وتمثل دروس قسم الفلسفة بجامعة الجزائر–2 أبو القاسم سعد الله أن تلبّي حاجة الطالب القارئ من معلومات تخصّ برنامج وحدة "الحجاج الفلسفي"، كمادة سنوية.

نتمنى التفصيل أكثر في بعض العناصر، لكننا قدّمنا الأهم ما يمكن للطالب الباحث، بأن يتعرّف عليه من مواضيع، فقد التزمنا بقدر الكفاية للإشارة إليها. وإن كتب لنا البقاء، فسوف نحاول مستقبلا التوسّع في بعض المسائل الفلسفية الضرورية، من أجل تأكيد أهمية البرهنة في الفلسفة بالدليل والحجة والاستدلال.

هذا العمل أنجز من أجل غاية واحدة، هي توجيه الطالب القارئ في فرع العلوم الإنسانية؛ فهو يعتبر مدخلا ضروريا لمعرفة برنامج الوحدة، في نطاق سنوي، وبشكل أفضل. لذلك ننبّه إلى تدريس الوحدة سنويا وبحذر شديد لأنها جديدة ويصعب التحضير لها في سنة واحدة، بل والأصعب من ذلك؛ إنها متشعبة ومتداخلة المواضيع، بحيث تجد نفسك تبحث في موضوع، وتصل الى جهة معينة، فيشعرك البحث بدوران، وعليه يتطلب تدريس الوحدة جانب كبير من التركيز على مطالب محددة، قبل فتح المجال على قضايا أخرى تابعة لها،

ولتوضيح مدى فعالية التحاجج الفلسفي في المواقف الحرجة. خاصة في أثناء الجدل والحوار والتواصل بين الآراء والأفكار. ولتأكيد فعالية التفكير الفلسفي المنتج والمبدع. المهم؛ أنّنا أضفنا للمكتبة، إضافة معرفية جديدة تكون في متناول الجميع، وبالله التوفيق.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

(1) أرسطو، الخطابة، تر/ عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2، بغداد، 1986م-1356، نقلا عن: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم،

(2) ابن منظور، لسان العرب، مج.2 ، دار صادر، بيروت، [ط.1] ، 1997 ،

(3) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، الطبعة: الدار البيضاء،2000م.

(4) أعراب، حبيب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي>>: عناصر استقصاء نظري <<، عالم الفكر، [ع.1] ، المجلد 30 ، يوليوز سبتمبر 2001م ،

(5) ابن رشد أبو الوليد، تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمان بدوي، بيروت، دار القلم، د-ت.

(6) أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة المدارس للنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2011.

(7) أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، تر/ محمد العمري، علامات، ديسمبر 1996م،

(8) باتريك شارودو / تعريب: أحمد الودرني، الحجاج بين النظرية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة: الأولى، 2009م.

(9) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق درويش، المكتبة العصرية، ج1، لبنان، 2001م،

(10) جابر عصفور، بلاغة المقموعين، ضمن: المجاز والتمثيل في العصور الوسطى، دار قرطبة، ط2، 1993، الدار البيضاء،

(11) جعفر آل ياسين، المنطق السينوي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، (ت1403ه/ 1983م)،

(12) جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة (نشر الكتروني) .

(13) حمادي صمود وآخرون، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة تونس 1، تونس، 2009م.

(14) حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر والتوزيع، ط1، 1999م،

(15) حمو النقاري وآخرون، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، كلية الآداب بالرباط، المغرب، الطبعة: الأولى 2006م.

(16) الحاجة سعود، استراتيجية الشرعية والاستمرار للأنظمة السياسية العربية.ص68-69.

(17) الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه علوم في اللغة. جامعة الحاج لخضر.باتنة، 2009-2010، ص15-16-19.

(18) الخفاجي، سر الفصاحة،

(19) رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر/ عمر أوكان، المغرب: افريقيا الشرق، ط1، 1994م،

(20) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم-من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة-بنيته وأساليبه، ص26.

(21) صابر الحباشة، التداولية والحجاج: مداخل ونصوص، صفحات للنشر، دمشق، الطب عة1 2008م.

(22) صابر الحباشة، الحجاج في التداولية: مدخل إلى الخطاب البلاغي، بحث مستل من مجلة: ثقافات، البحرين 2011م.

(23) صادق الحسيني الشيرازي، الموجز في المنطق، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط3، 1401ه/1981م.

(24) طه، عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، البيضاء، المغرب، [ط.3]، 2007م

(25) طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، كلية الآداب، الرباط/ المغرب،2000م.

(26)طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998م.

(27) عامر مصباح، الإقناع الاجتماعي-خلفيته النظرية والياته العملية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2006م.

(28) عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، الطبعة: الأولى 2001م.

(29) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات تطبيقية-ط،1 41شارع إيران لافايت تونس، 2011م.

(30) عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف .ومنشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة: الأولى 2013م.

(31) على الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.
(32) علي رزق، نظريات في أساليب الإقناع: دراسة مقارنة، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م.
(33) فيليب بروتون وجيل جوتييه، تعريب: محمد صالح الغامدي تاريخ نظريات الحجاج، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، السعودية، الطبعة الأولى، 2011م.
(34) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين الى غوفمان، تر/ صابر حباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 2007م،
(35) كلود حجاج، تعريب: رضوان ظاظا، إنسان الكلام: مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة: الأولى 2003م.
(36) محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة: بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة: الأولى 2008م.
(37) محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع، دار النشر للجامعات، القاهرة، الطبعة: 2014م.
(38) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، مصر، ذ3، 1979م،
(39) محمد مفتاح، المتلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، المركز الثقافي العربي، 1994م.
(40) محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، دار الثقافة، المغرب،
(41) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الخامسة: بيروت، دار الطليعة، 1994 بيروت لبنان.
(42) الهادي حمو، مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم.
(43) هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف/حمادي صمود، منوبة، جامعة تونس الأولى، كلية الآداب،
(44) آن روجولو جاكمو شلير، التداولية اليوم، تر :سيف الدين دغنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط1 ، 2003م
(45) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر :محمد يحياتي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،
(46)عمر بلخير تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1، 2003 .م

ب/_مراجع باللغة الأجنبية:

47_ M, Meyer, Principia rhétorica, Fayard, 2008_, p36,
48_ PerelemanK Traité de l'argumentation, op, cit,
49_ O, Reboul, Introduction à la Rhétorique, op, cit,
50_R, Blanché, Le raisonnement, Paris, éd, P, U, F ? 1973,1er chap.
51-Minuit, 1984, p210Ducrot, Le dire et le dit, Paris, .
52_Aubenque, Le problème de lettre, op, cit, p132 133
53_R, Blanché, Le raisonnement, Paris, éd, P, U, F ? 1973,1er chap.
54_Aubenque, P,Aristote in encyclopédie universalis,
55_,,,,,,,,,,,,, Le Probléme de létre chez Aristote, Paris ;éd, P,U,F, 1991
56_Ricoeur,Histoiret et Vérité, Paris ,éd,Seuil,1995-